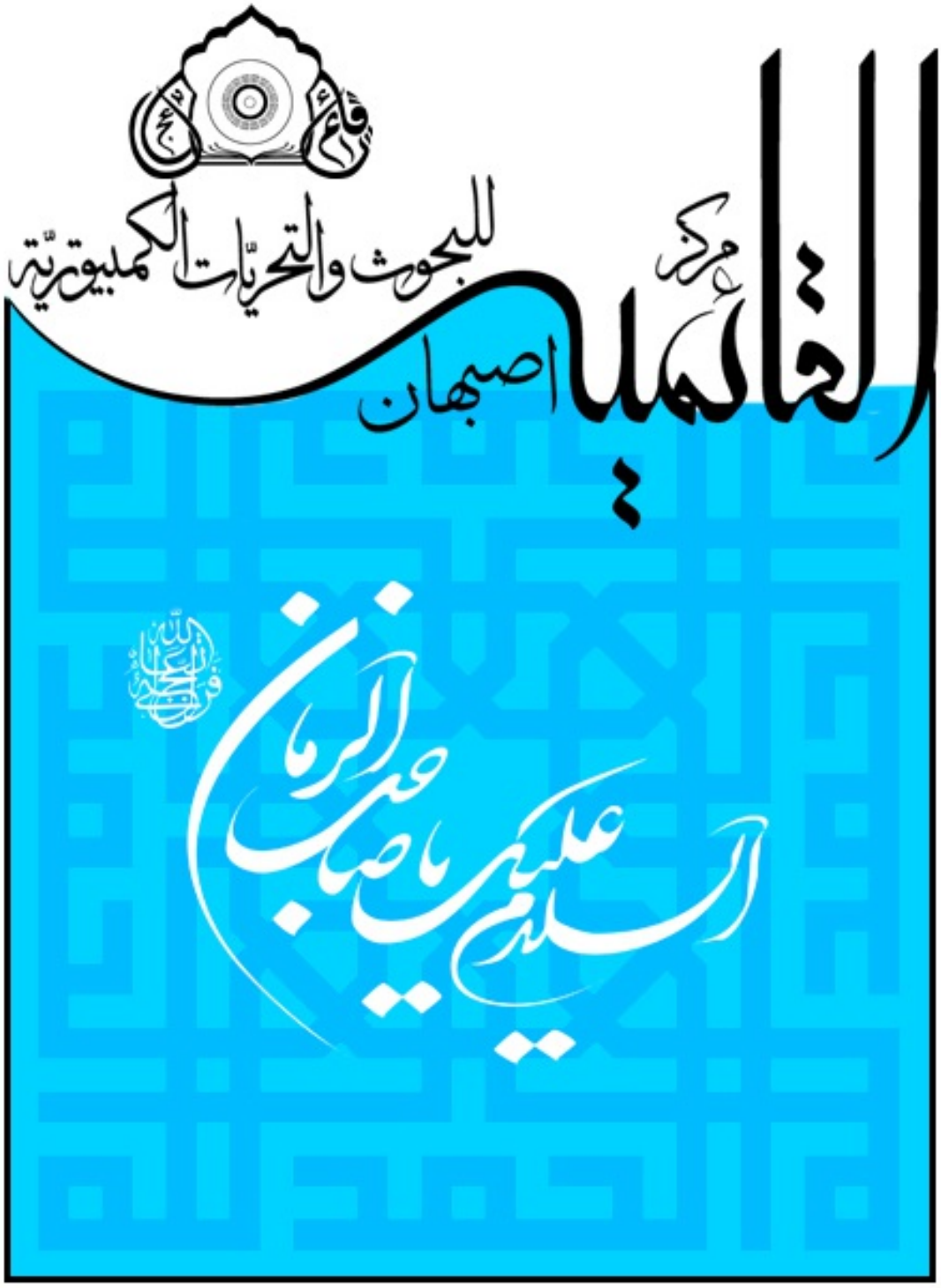

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مع الركب الحسيني

الامام الحسين عليه السلام

في مكه المكرمه

تاليف :

نجم‌الدين الطبسي

جلد(۲)

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الحسين عليه السلام فى مكه المكرمه ، مع الركب الحسينى

كاتب:

نجم الدين طبسى

نشرت فى الطباعة:

سپهر انديشه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الحسین علیه السلام فی مکه المکرمه ، معالرکب الحسینی المجلد ۲ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
مع الرکب الحسینی من المدینة الی المدینة (الجز الثانی) ----- ۱۶
مقدمة مرکز الدراسات الإسلامیّة التابع لممثلیّة الولی الفقیه فی حرس الثورة الإسلامیة ..... ص : ۳ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
مقدمة المؤلف (الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة) ..... ص : ۷ ----- ۱۷
اشارة ----- ۱۷
مکّة المکرّمة والترکیبة القبلیة فیها ..... ص : ۱۲ ----- ۱۹
وفی الختام: ..... ص : ۲۰ ----- ۲۳
الفصل الأول ..... ص : ۲۳ ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
الفصل الأوّل: حرکة الإمام أبی عبدالله الحسین علیه السلام فی مکّة ..... ص : ۲۳ ----- ۲۳
ورود الإمام الحسین علیه السلام مکّة المکرّمة ..... ص : ۲۳ ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة ..... ص : ۲۳ ----- ۲۳
منزل الإمام الحسین علیه السلام بمکّة ..... ص : ۲۵ ----- ۲۴
رسائل الإمام علیه السلام إلی الولایات الأخری ..... ص : ۲۷ ----- ۲۵
رسالته علیه السلام إلی البصرة ..... ص : ۲۷ ----- ۲۵
نصّ رسالة الإمام علیه السلام إلی أهل البصرة ..... ص : ۳۰ ----- ۲۶
نماذج من أشراف البصرة الذین کتب إلیهم الإمام علیه السلام ..... ص : ۳۱ ----- ۲۷
اشارة ----- ۲۷
۱۱- مالک بن مسمع: ..... ص : ۳۱ ----- ۲۷

۲- الأحنف بن قیس: ..... ص : ۳۱ ---- ۲۷
۳- مسعود بن عمرو بن عدی الأزدی: ..... ص : ۳۴ ---- ۲۸
۴- قیس بن الهیثم السلمی: ..... ص : ۳۴ ---- ۲۸
۵- المنذر بن الجارود العبدی: ..... ص : ۳۵ ---- ۲۸
الشهید الأوّل فی الثورة الحسینیّة: ..... ص : ۳۷ ---- ۲۹
إجتماع الإمام علیه السلام برسل أهل الکوفة ومبعوثیهم ..... ص : ۳۹ ---- ۳۰
رسالة الإمام الحسین علیه السلام إلی أهل الکوفة: ..... ص : ۴۰ ---- ۳۰
سفیر الإمام الحسین علیه السلام إلی الکوفة: ..... ص : ۴۲ ---- ۳۱
اشارة ---- ۳۱
ماذا یعنی کتمان الأمر هنا؟ ..... ص : ۴۴ ---- ۳۱
من هو مسلم بن عقیل علیه السلام ..... ص : ۴۶ ---- ۳۲
هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟!: ..... ص : ۴۸ ---- ۳۳
اشارة ---- ۳۳
یقول السیّد المقرّم قدس سره: ..... ص : ۵۰ ---- ۳۴
مسلم بن عقیل علیه السلام فی الکوفة ..... ص : ۵۳ ---- ۳۵
اشارة ---- ۳۵
وقال الشیخ المفید قدس سره: ..... ص : ۵۶ ---- ۳۵
رسالة الإمام علیه السلام الی محمد بن الحنفیة ومن قِبله من بنی هاشم ..... ص : ۶۰ ---- ۳۵
اشارة ---- ۳۵
معنی محتوی الرسالة: ..... ص : ۶۲ ---- ۳۶
رسالة أخری من الإمام الحسین علیه السلام ..... ص : ۶۶ ---- ۳۸
إرساله علیه السلام قیس بن مسهّر إلی الکوفة مرّة ثانیة ..... ص : ۶۸ ---- ۳۹
اشارة ---- ۳۹
من هو قیس بن مسهّر الصیداوی؟ ..... ص : ۶۹ ---- ۳۹

رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام ..... ص : ۷۳ ---- ۴۱
خُطَبُ الإمام عليه السلام فی مكّة المكرّمة ..... ص : ۷۵ ---- ۴۲
اشارة ---- ۴۲
الخطبة الأولى ..... ص : ۷۶ ---- ۴۲
اشارة ---- ۴۲
ملاحظات مستفادة من هذه الخطبة الشريفة: ..... ص : ۷۸ ---- ۴۳
الخطبة الثانية ..... ص : ۸۱ ---- ۴۴
يوم الخروج من مكّة المكرّمة ..... ص : ۸۲ ---- ۴۵
لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحج؟ ..... ص : ۸۳ ---- ۴۵
اشارة ---- ۴۵
تعليقة العلّامة المجلسی قدس سره ..... ص : ۸۵ ---- ۴۵
تعليل الشيخ جعفر التستری قدس سره ..... ص : ۸۷ ---- ۴۶
اشارة ---- ۴۷
أمّا الواقعیّ ..... ص : ۸۷ ---- ۴۷
وأمّا التكليف الظاهری ..... ص : ۸۸ ---- ۴۷
تمام الحق فی القول ... . ص : ۸۸ ---- ۴۷
قول السيد المرتضى قدس سره ..... ص : ۹۱ ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۸
الجواب: ..... ص : ۹۱ ---- ۴۹
عمرة التمتع أم عمرة مفردة؟ ..... ص : ۹۳ ---- ۴۹
هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمرة التمتّع إلى العمرة المفردة؟ ..... ص : ۹۳ ---- ۴۹
كلمات بعض الفقهاء ..... ص : ۹۶ ---- ۵۱
هل خرج الإمام عليه السلام من مكّة سرّاً!؟ ..... ص : ۹۸ ---- ۵۱
لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه!؟ ..... ص : ۱۰۳ ---- ۵۳

الفصل الثانی ..... ص : ۱۱۳ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
الفصل الثانی: حرکة السلطة الأمویة فی الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة ..... ص : ۱۱۵ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
حرکة السلطة الأمویّة المحلّیة فی الکوفة ..... ص : ۱۱۸ ---- ۵۷
اشارة ---- ۵۷
تأمّلٌ وملاحظات ..... ص : ۱۲۴ ---- ۵۸
۱)- سکون ما قبل العاصفة فی الکوفة ..... ص : ۱۲۴ ---- ۵۸
۲)- «الغشم» وسیلة خروج الأمویین من مأزقهم الکبیر! ..... ص : ۱۲۵ ---- ۵۹
۳)- سرّ التراخی فی موقف النعمان بن بشیر ..... ص : ۱۲۶ ---- ۵۹
حرکة السلطة الأمویة المرکزیة فی الشام ..... ص : ۱۳۰ ---- ۶۱
اشارة ---- ۶۱
تأمّل وملاحظات ..... ص : ۱۳۲ ---- ۶۲
۱)- سرجون النصرانی .. والإقتراح المتوقّع! ..... ص : ۱۳۲ ---- ۶۲
۲)- ماذا یعنی عهد معاویة- أواخر أیّامه- لعبیداللّه علی الکوفة!؟ ..... ص : ۱۳۵ ---- ۶۳
۳)- یزید یستخدم أسلحة أبیه فی الإرهاب الدینی!! ..... ص : ۱۳۶ ---- ۶۳
۴)- من هو عبیداللّه بن زیاد!؟ ..... ص : ۱۳۸ ---- ۶۴
هل غیّرت السلطة الأمویة المرکزیة والی مکّة؟ ..... ص : ۱۴۴ ---- ۶۶
عزل الولید بن عتبة عن ولایة المدینة ..... ص : ۱۴۵ ---- ۶۷
رسالة یزید إلی عبداللّه بن عبّاس ..... ص : ۱۴۶ ---- ۶۷
ملاحظات حول هذه الرسالة ..... ص : ۱۴۸ ---- ۶۸
رسالة یزید إلی (القرشیین) فی المدینة ..... ص : ۱۵۲ ---- ۷۰
التخطیط لإغتیال الإمام علیه السلام أو إعتقاله فی مکّة ..... ص : ۱۵۳ ---- ۷۰
حرکة السلطة الأمویة المحلیّة فی البصرة ..... ص : ۱۵۵ ---- ۷۱

حرکة السلطة الأمویة المحلیة الجدیدة فی الکوفة ..... ص : ۱۵۸ ---- ۷۲
السفر السریع إلی الکوفة ..... ص : ۱۵۸ ---- ۷۲
خدعة ابن زیاد تنطلی حتی علی النعمان بن بشیر! ..... ص : ۱۶۱ ---- ۷۳
الخطاب الإرهابیّ الأوّل ..... ص : ۱۶۲ ---- ۷۳
اشارة ---- ۷۴
إشارة: ..... ص : ۱۶۳ ---- ۷۴
الإجراء الإرهابی الأوّل ..... ص : ۱۶۴ ---- ۷۴
اشارة ---- ۷۵
إشارة: ..... ص : ۱۶۵ ---- ۷۵
قتل عبداللّه بن یقطر «۲» الحمیری (رض) ..... ص : ۱۶۶ ---- ۷۵
اشارة ---- ۷۵
الروایة الأولی: ..... ص : ۱۶۷ ---- ۷۶
اشارة ---- ۷۶
أما الروایة الثانیة: ..... ص : ۱۶۷ ---- ۷۶
من هو عبداللّه بن یقطر الحمیری؟ ..... ص : ۱۷۰ ---- ۷۷
اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم ..... ص : ۱۷۲ ---- ۷۸
حبس میثم التمّار ..... ص : ۱۷۵ ---- ۷۸
میثم التمّار رضوان اللّه تعالی علیه ..... ص : ۱۷۶ ---- ۷۹
التجسس لمعرفة مکان قیادة الثورة ..... ص : ۱۸۱ ---- ۸۱
حبس هانی بن عروة المرادی ..... ص : ۱۸۲ ---- ۸۱
أعوان السلطة .. والخدعة المشترکة! ..... ص : ۱۸۸ ---- ۸۳
تسخیر الأشراف لتخذیل الناس عن مسلم علیه السلام ..... ص : ۱۹۰ ---- ۸۴
تفتیش دور الکوفة بحثاً عن مسلم علیه السلام ..... ص : ۱۹۱ ---- ۸۵
تجمید الثغور وتوجیه عساکرها إلی حرب الحسین علیه السلام ..... ص : ۱۹۲ ---- ۸۵

حرکة السلطة الأمویّة المحلّیة فی مکة المکرمة ..... ص : ۱۹۳ ---- ۸۵
قلق الوالی من تواجد الإمام علیه السلام فی مکّة ..... ص : ۱۹۳ ---- ۸۵
سفر الأشدق الی المدینة المنوّرة وتهدیده أهلها ..... ص : ۱۹۵ ---- ۸۶
تنفیذ أمر یزید باعتقال الإمام علیه السلام أو اغتیاله فی مکّة ..... ص : ۱۹۷ ---- ۸۷
محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام علیه السلام من الخروج عن مکّة ..... ص : ۲۰۱ ---- ۸۹
الفصل الثالث ..... ص : ۲۰۷ ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۰
الفصل الثالث: حرکة الأمّة فی الأیّام المکیّة من عمر النهضة الحسینیة ..... ص : ۲۰۷ ---- ۹۰
اشارة ---- ۹۰
حرکّة الأمّة فی الحجاز ..... ص : ۲۱۰ ---- ۹۱
اشارة ---- ۹۱
إحتفاء الناس فی مکّة المکرّمة بالإمام علیه السلام ..... ص : ۲۱۰ ---- ۹۱
وجهاء الأُمّة .. مشورات ونصائح ..... ص : ۲۱۱ ---- ۹۱
اشارة ---- ۹۱
اشارة: ..... ص : ۲۱۳ ---- ۹۲
تحرّک عبدالله بن عبّاس ..... ص : ۲۱۴ ---- ۹۳
اشارة ---- ۹۳
المحاورة الأولی: ..... ص : ۲۱۵ ---- ۹۴
تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۱۹ ---- ۹۵
المحاورة الثانیة: ..... ص : ۲۲۱ ---- ۹۶
تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۲۲۳ ---- ۹۷
معنی الإستخارة: ..... ص : ۲۲۷ ---- ۹۹
المحاورة الثالثة: ..... ص : ۲۲۹ ---- ۱۰۰
المحاورة الرابعة: ..... ص : ۲۳۲ ---- ۱۰۰

اشارة ----- ۱۰۰
إشارة: ..... ص : ۲۳۲ ----- ۱۰۰
والملاحظ المتأمّل يرى: ..... ص : ۲۳۴ ----- ۱۰۱
خلاصة القضية: ..... ص : ۲۳۴ ----- ۱۰۱
لماذا تخلّف ابن عباس (رض) عن الإمام عليه السلام!؟ ..... ص : ۲۳۵ ----- ۱۰۲
رسائل ابن عباس (رض) إلى يزيد ..... ص : ۲۴۷ ----- ۱۰۵
تحرّک محمد بن الحنفية (رض) ..... ص : ۲۵۳ ----- ۱۰۷
اشارة ----- ۱۰۷
إشارة: ..... ص : ۲۵۶ ----- ۱۰۸
لماذا تخلّف محمّد بن الحنفية عن الإمام عليه السلام؟ ..... ص : ۲۵۸ ----- ۱۰۹
اشارة ----- ۱۰۹
فی الأولى: ..... ص : ۲۵۸ ----- ۱۰۹
وفی الثانية: ..... ص : ۲۵۹ ----- ۱۰۹
زيادة .. ربّما كانت أمويةا! ..... ص : ۲۶۴ ----- ۱۱۱
تحرّک عبدالله بن جعفر (رض) ..... ص : ۲۶۶ ----- ۱۱۲
اشارة ----- ۱۱۲
الأولى:- ..... ص : ۲۶۷ ----- ۱۱۲
والثانية:- ..... ص : ۲۶۷ ----- ۱۱۲
والثالثة:- ..... ص : ۲۶۸ ----- ۱۱۲
تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۶۹ ----- ۱۱۳
تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۷۲ ----- ۱۱۴
لماذا لم يلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالامام عليه السلام ..... ص : ۲۷۶ ----- ۱۱۶
عبدالله بن الزبير .. والنصائح المتناقضة! ..... ص : ۲۷۸ ----- ۱۱۶
اشارة ----- ۱۱۶

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۸۶ ---- ۱۱۹
عبدالله بن عمر .. والمشورة المریبة! ..... ص : ۲۸۹ ---- ۱۲۰
اشارة ---- ۱۲۰
تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۹۶ ---- ۱۲۲
الأوزاعی .. والنهی عن المسیر إلی العراق! ..... ص : ۳۰۰ ---- ۱۲۴
عمر بن عبدالرحمن المخزومی .. والنصیحة الصائبة! ..... ص : ۳۰۳ ---- ۱۲۵
اشارة ---- ۱۲۵
تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۳۰۴ ---- ۱۲۵
لقاء جابر بن عبدالله الأنصاری (رض) مع الإمام علیه السلام ..... ص : ۳۰۶ ---- ۱۲۶
لولا تقارب الأشیاء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء! ..... ص : ۳۱۱ ---- ۱۲۸
اشارة ---- ۱۲۸
تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۳۱۱ ---- ۱۲۸
ولأبی سعید الخدری مشورة أیضاً ..... ص : ۳۱۵ ---- ۱۲۹
اشارة ---- ۱۲۹
تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۳۱۵ ---- ۱۳۰
کلام المامقانی (ره) فی الفائدة السادسة والعشرین: ..... ص : ۳۱۸ ---- ۱۳۱
مناقشة کلام المامقانی (ره) ..... ص : ۳۲۰ ---- ۱۳۲
رسالة المشور بن مخرمة ..... ص : ۳۲۲ ---- ۱۳۲
اشارة ---- ۱۳۲
تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۳۲۲ ---- ۱۳۳
رسالة عمرة بنت عبدالرحمن ..... ص : ۳۲۴ ---- ۱۳۴
اشارة ---- ۱۳۴
إشارة: ..... ص : ۳۲۴ ---- ۱۳۴
حرکة الأمّة فی الکوفة ..... ص : ۳۲۵ ---- ۱۳۴

أوّل اجتماع للشيعة في الكوفة بعد هلاك معاوية ..... ص : ۳۲۸ ---- ۱۳۵
رسل الكوفة إلى الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۳۴ ---- ۱۳۵
اشارة ---- ۱۳۶
إشارة: ..... ص : ۳۳۷ ---- ۱۳۶
دفعة أخرى من الرُسُل والرسائل! ..... ص : ۳۳۸ ---- ۱۳۶
ثمّ دفعة أخرى! ..... ص : ۳۳۸ ---- ۱۳۷
دور المنافقين في موجة الرسائل: ..... ص : ۳۴۰ ---- ۱۳۷
التعاطف الكبير مع سفير الحسين عليهما السلام ..... ص : ۳۴۴ ---- ۱۳۸
الإجتماع الأوّل مع سفير الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۴۶ ---- ۱۳۸
اشارة ---- ۱۳۸
إشارة: ..... ص : ۳۴۶ ---- ۱۳۹
الكوفة بانتظار الحسين عليه السلام ..... ص : ۳۴۷ ---- ۱۳۹
أهل الكوفة .. والمبادرة المطلوبة ..... ص : ۳۴۹ ---- ۱۴۰
حركة الأمّة في البصرة ..... ص : ۳۵۶ ---- ۱۴۳
اشارة ---- ۱۴۳
ردّ رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۵۷ ---- ۱۴۳
۱)- ردّ الأحنف بن قيس: ..... ص : ۳۵۷ ---- ۱۴۳
۲)- خيانة المنذر بن الجارود: ..... ص : ۳۵۸ ---- ۱۴۴
۳)- يزيد بن مسعود النهشلي .. والموقف المحمود: ..... ص : ۳۵۸ ---- ۱۴۴
ملاحظات وتأمّل: ..... ص : ۳۶۱ ---- ۱۴۵
المؤتمر الشيعيّ السرّيُّ في البصرة ..... ص : ۳۶۸ ---- ۱۴۷
اشارة ---- ۱۴۷
إشارة: ..... ص : ۳۶۹ ---- ۱۴۸
خمسمائة من البصريين في سفر ابن زياد الى الكوفة! ..... ص : ۳۷۰ ---- ۱۴۸

اشارة ----- ۱۴۸
إشارة: ..... ص : ۳۷۲ ----- ۱۴۸
الملتحقون بالركب الحسينيّ فی مكّة المكرّمة ..... ص : ۳۷۳ ----- ۱۴۹
اشارة ----- ۱۴۹
۱)- الملتحقون به علیه السلام فی مكّة من أهل المدينة: ..... ص : ۳۷۴ ----- ۱۴۹
۲)- الملتحقون به علیه السلام فی مكّة ولم تحدّد التواريخ والتراجم أمكنة إنطلاقهم ..... ص : ۳۷۶ ----- ۱۵۰
: جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاریّ الخزرجی (رض): ..... ص : ۳۷۶ ----- ۱۵۰
: عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصاری الخزرجی (رض): ..... ص : ۳۷۹ ----- ۱۵۲
: عمّار بن حسّان الطائی (رض): ..... ص : ۳۸۰ ----- ۱۵۲
۲)- الملتحقون به علیه السلام فی مكّة من أهل الكوفة: ..... ص : ۳۸۱ ----- ۱۵۳
: بُريرُ بن خُضير الهمدانی المشرقی (رض): ..... ص : ۳۸۱ ----- ۱۵۳
: عابس بن أبی شبيب الشاكری (رض): ..... ص : ۳۸۲ ----- ۱۵۳
: شوذب بن عبداللّه الهمدانی الشاكری (رض): ..... ص : ۳۸۴ ----- ۱۵۴
: قيس بن مسهّر الصيداوی (رض): ..... ص : ۳۸۴ ----- ۱۵۴
: عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبی (رض): ..... ص : ۳۸۵ ----- ۱۵۵
: الحجّاج بن مسروق الجعفی (رض): ..... ص : ۳۸۷ ----- ۱۵۵
: يزيد بن مغفل الجعفی (رض): ..... ص : ۳۸۷ ----- ۱۵۶
۳)- الملتحقون به علیه السلام فی مكّة من أهل البصرة: ..... ص : ۳۸۹ ----- ۱۵۶
اشارة ----- ۱۵۷
: الحجّاج بن بدر التميمی السعدی (رض): ..... ص : ۳۸۹ ----- ۱۵۷
: قعنب بن عمر النمری (رض): ..... ص : ۳۸۹ ----- ۱۵۷
: يزيد بن ثبيط العبدی وإبناه عبدالله وعبيدالله (رض): ..... ص : ۳۹۰ ----- ۱۵۷
: الأدهم بن أميّة العبدی (رض): ..... ص : ۳۹۱ ----- ۱۵۸
: سيف بن مالک العبدی (رض): ..... ص : ۳۹۱ ----- ۱۵۸

: عامر بن مسلم العبدیّ ومولاه سالم (رض): ..... ص : ۳۹۱ ---------- ۱۵۸

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---------- ۱۵۹

الامام الحسين عليه السلام فى مكه المكرمه ، معالركب الحسينى المجلد ۲

اشارة

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ۱۳۳۴

عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام فى مكه المكرمه/ تاليف نجم‌الدين الطبسى

مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ۱۴۲۷ق=۱۳۸۵.

مشخصات ظاهرى : ص ۴۸۰

فروست : (معالركب الحسينى من المدينه الى المدينه؛ الجزآ الثانى)

شابک : ۹۶۴-۷۹۳۵-۵۱-X

وضعيت فهرست نويسى : فهرستنويسى قبلى

يادداشت : عربى

يادداشت : فهرست نويسى براساس اطلاعات فيپا

يادداشت : كتابنامه: ص. ۴۷۲ - ۴۵۵؛ همچنين به‌صورت زيرنويس

موضوع : حسين بن على (ع)، امام سوم، ۶۱ - ۴ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : واقعه كربلا، ق۶۱

موضوع : مكه -- تاريخ -- قرن ق۱

رده بندى كنگره : BP۴۱/۴م۶۳ ج. ۲، ۱۳۸۵

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۹۵۳

شماره كتابشناسى ملى : م۸۵-۱۱۱۰۵

مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الثانى)

مقدمة مركز الدراسات الإسلاميّة التابع لممثليّة الولى الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية ..... ص : ۳

اشارة

الحمد للّه‌الذى جعل الحمد مفتاحاً لذكره و دليلًا على نعمه و آلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

و بعدُ: فهذا الكتاب هو الجزء الثانى من سلسلة أجزاء الدراسة التأريخية التفصيلية (مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة)، و يختص هذا الجزء بالمقطع الثانى من مقاطع هذه الدراسة، و هو مقطع «الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية»، أى الأيام التى أقام الإمام الحسين عليه السلام فيها بمكّة المكرمة بعد إعلانه عن رفضه مبايعة يزيد بعد موت معاوية بن أبى سفيان.

و فترة الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية من أصعب أيام هذه النهضة المباركة على صعيد المتابعة التاريخيه، لأنها أقلّ مقاطع هذه النهضة المقدّسة من حيث كميّة الوثائق التأريخية التى تحدّثت عنها، مع أنّ هذه الفترة هى أطول مقاطع النهضة الحسينية إذ بلغت ما يقارب مائة و خمسة و عشرين يوماً، و لا شكّ أنها كانت مليئة بالمهم من وقائع حركة الإمام عليه السلام لأنّ مكّة المكرّمة فى تلك الأيام كانت محطّ و ملتقى جموع المعتمرين والحجّاج.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴

ولـذا فقـد عمد مؤلّف هذا الكتاب- من أجل سدّ ثغرة قلّة وثائق هذه الفترة- إلى دراسـتها من خلال متابعات ثلاث: الأولى هى متابعة حركة الإمام عليه السـلام، والثانية متابعة حركة السلطة الأموية فى مواجهة حركة الإمام عليه السلام، والثالثة هى متابعة حركة الأمّة إزاء قيام الإمام عليه السلام.

فجاءت هـذه الدراسـة غنيّة و جديـدة بمعنى الكلمـة من حيث النظم والمحتوى، والإلتفاتـة البكر، والإسـتنباط الذكىّ الرائع، والتبويب المغنى عن عناء المتابعات المرهقة.

و مؤلـف هـذا البحـث هـو سـماحة الشـيخ المحقّق الأسـتاذ نجمالـدين الطبسـى، صـاحب الخبرة الطويلـة فى ميـدان التحقيـق العلمى والتـأريخى، إذ هـو أحـد محقّقى موسوعـة: «معجم أحـاديث المهـدى عليه السـلام»، و من مؤلفـاته القيّمـة: كتـاب «موارد السـجن فى النصوص والفتاوى»، و كتاب «النفى والتغريب»، و كتاب «الوهابية:

دعاوى و ردود».

ولا يسـعنا هنا إلّاأن نتقـدّم الى شـيخنا المحقّق مؤلف هذا الكتاب بالشـكر الجزيل على ما بذله من جهد متواصل و عناء كبير من أجل إنجاز هذا البحث القيّم، داعين له بمزيد من الموفقية والنجاح فى ميدان خدمة الحقّ والحقيقة و نصرة دين اللَّه تعالى.

كمـا نتقـدّم بالشـكر الجزيـل إلى الأـخ الأسـتاذ المحقّق على الشـاوى الـذى آزر مؤلّف الكتاب مؤازرة صـميمية، و بـذل جهـداً كبيراً مشكوراً فى مراجعة و نقد و تنظيم هذا البحث القيّم، داعين له بمزيد من الموفقية فى ميدان التحقيق و مؤازرة المحقّقين، و فى مواصلة عنايته الكبيرة فى خدمة الأجزاء الباقية من هذه الدراسة القيّمة.

مركز الدراسات الإسلاميّة

لممثليّة الولى الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷

مقدمة المؤلف (الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية) ..... ص : ۷

اشارة

ارتحل الإمام الحسـين عليه السـلام عن المدينـة المنوّرة سـنة ستين للهجرة إلى مكّـة المكرّمة بعد موت معاوية بن أبى سـفيان على أثر إعلانه رفض البيعـة ليزيـد، وكان عليه السـلام قد أقام فى مكّة المكرّمة منذ اليوم الثالث من شـعبان الى اليوم الثامن من ذى الحجة من نفس السنة، أى ما لايقلّ عن مائة وخمسة وعشرين يوماً، وهى فترة طويلة نسبياً فى إطار حساب عمر النهضة الحسينيّة المباركة، غير أن هـذه الفترة برغم طولها تعتبر الفترة المجهولـة من عمر هـذه النهضة المباركة إذا قورنت مع فتراتها الأخرى من حيث الوقائع والأحداث التى سـجلها التاريـخ عنها، ذلك لأن كتب التأريخ مرّت على هذه الفترة المكيّة مرور الكرام، فعدا وقائع أيّام ما قبيل خروج الإمام عليه السـلام من مكـة التى حظيت بنوع من العنايـة التأريخيّة التفصـيلية، نلاحظ أنّ التأريخ لم يسـجّل عن بقيّة هذه الأيام المكيّة الطويلة إلّا ملاحظات عامة هى أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح.

هـذا مع أنّ دراسـة النهضة الحسـينيّة واستيعاب أبعادها وفهم أسـرارها منال لا يبلغ منه المحقق أقصـى غايته بمعزل عن معرفة مجريات وقائع هـذه الأيام المكيّة ودراسـة الأجواء والتحركات المؤيّدة والمضادة التى كانت تعايشـها النهضة الحسـينيّة والإمام عليه السـلام فى مكّة.

وتتزاحم فى ذهن المتأمل فى هذه الفترة المكيّة أسئلة كثيرة، قد يكون أوّلها

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸

هو السؤال عن علّة ارتحال الإمام عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكّة المكرّمة لا إلى سواها. هل أراد الإمام عليه السلام أن يتّخذ من مكّة مركزاً لانطلاق الثورة على الحكم الأمويّ!؟ أم كان عليه السلام يريد استثمار أشهر الحج فى مكّة المكرّمة لإيصال صوت هذه النهضة المباركة والتعريف بأهدافها الى كلّ العالم الإسلامى آنذاك؟

وكان يمكن للمتأمّل أن يجيب بالإيجاب على محتوى الشقّ الأوّل من السؤال، أو يتبنّى الجمع بين محتوى الشقّين الأوّل والثانى معاً لو كان فى مكّة المكرّمة قاعدة شعبية كبيرة موالية لأهل البيت عليهم السلام، ولكن هل كانت هذه القاعدة الشعبية الموالية موجودة فعلًا آنذاك!؟

من المؤسف أنّ مثل هذه القاعدة الشعبية الموالية لم تتوفر للإمام الحسين عليه السلام ولا لأخيه الإمام الحسن عليه السلام من قبله ولا لأبيهما الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام من قبلهما، بسبب ما تركته معارك الإسلام الأولى كبدرٍ وأُحدٍ وغيرهن فى قلوب بطون قريش من أحقادٍ على أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام خاصة وعلى أهل البيت عليهم السلام فأضبّت على عداوتهم وأكبّت على منابذتهم، ذلك لأنها لا تنسى عليّاً عليه السلام الذى ناوش ذؤبانها وقتل صناديدها، وكيف تنساه «وهو صاحب لواء رسول اللّه صلى الله عليه و آله والمهاجرين» «۱»!؟ كيف تنسى قريش علياً عليه السلام وقد أورد أوّلها النار وقلّد آخرها العار على حدّ قول الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عبّاس «۲»!؟ كيف تحبّه وقد قتل فى بدرٍ وأُحد من ساداتهم سبعين رجلًا تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟ هكذا قال ابن عمر لأميرالمؤمنين علىّ عليه السلام الذى ردَّ عليه قائلًا:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹

ماتركتْ بدرُ لنا مُذيقا ولا لنا من خلفنا طريقا «۱»

عن علىّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبى الحسن عليه السلام، قال: سألته عن أميرالمؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه الى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله!؟ فقال عليه السلام:

«إنّما مالوا عنه الى غيره وقد عرفوا فضله لأنه قد كان قتل من آبائهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وأقربائهم المحادّين للّه‌ولرسوله عدداً كثيراً، وكان حقدهم عليه لذلك فى قلوبهم فلم يحبّوا أن يتولّى عليهم، ولم يكن فى قلوبهم على غيره مثل ذلك، لأنه لم يكن له فى الجهاد بين يدى رسول اللّه صلى الله عليه و آله مثل ما كان له، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه». «۲»

وقد مارس ساسة السقيفة ومؤيدوهم عملًا إعلامياً مدروساً ومتواصلًا لتأجيج ثائرة قريش على علىّ عليه السلام ولترسيخ حقدها عليه، فهاهو عمر بن الخطّاب مثلًا ينظر الى سعيد بن العاص فيقول له: «مالى أراك كأنّ فى نفسك علىَّ شيئاً، أتظنّ أنّى قتلت أباك؟ واللّه لوددت أنّى كنت قاتله! ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، ولكنّى مررت به فى يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته ورغتُ عنه! فقال: إلى أين يابن الخطّاب!؟ وصمد له علىٌ فتناوله، فواللّه ما رمت مكانى حتى قتله». «۳»

وكان علىٌ عليه السلام حاضراً فى المجلس فقال:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰

«اللّهُمَّ غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدّم، فمالك تُهيِّج الناس علىَّ!؟». «۱»

وقد لخّصت سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام علّة كراهية قريش لعلىّ عليه السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار اللواتى جئن لعيادتها فى مرضها قبل شهادتها حيث قالت عليها السلام:

«وما الذى نقموا من أبى الحسن!؟ نقموا منه واللّه نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره فى ذات اللّه». «۲»

وما برح أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله يشكو الى اللّه ما فعلت به قريش من غصب حقّه وتصغير

عظيم شأنه حتى مضى شهيداً، ومن شكايا بثّه الى اللّه تعالى فى هذا قوله عليه السلام:

«مالنا ولقريش!؟ وما تنكر منّا قريش غير أنّا أهل بيت شيّد اللّه فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا اللّه عليهم، فنقموا على اللّه أن اختارنا عليهم، وسخطوا مارضى اللّه، وأحبّوا ماكره اللّه، فلمّا اختارنا اللّه عليهم شركناهم فى حريمنا، وعرّفناهم الكتاب والنبوّة، وعلّمناهم الفرض والدين، وحفّظناهم الصحف والزبر، وديّناهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقّنا، وألَتونا «۳» أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللّهم فإنّى أستعديك على قريش فخذ لى بحقّى منها، ولا تدع مظلمتى لديها، وطالبهم- ياربّ- بحقّى، فإنّك الحكم العدل، فإنّ قريشاً

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱

صغّرت عظيم أمرى ...». «۱»

ويقول عليه السلام فى نفثة أخرى وهو يدعو اللّه تعالى على قريش:

«فأَجزِ قريشاً عنى بفعالها، فقد قطعت رحمى، وظاهرت علىَّ، وسلبتنى سلطان ابن عمّى ..». «۲»

ويجيب عليه السلام أخاه عقيلًا فى كتاب إليه: «فدع عنك قريشاً وتركاضهم فى الضلال، وتجوالهم فى الشقاق، وجماحهم فى التيه، فإنّهم قد أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب رسول اللّه صلى الله عليه و آله قبلى، فجزت قريشاً عنّى الجوازى، فقد قطعوا رحمى، وسلبونى سلطان ابن عمى ..». «۳»

ويلخّص عليه السلام موقفه فى صبره على الطامّة الكبرى فى انحراف الأمّة عن وصيّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله وغصب قيادة السقيفة حقّه الإلهى فى الخلافة:

«ما رأيت منذ بعث اللّه محمّداً صلى الله عليه و آله رخاءً، والحمد للّه، واللّه لقد خفت اللّه صغيراً وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين وأعادى المنافقين حتى قبض اللّه نبيّه صلى الله عليه و آله فكانت الطامّة الكبرى، فلم أزل حذراً وجلًا أخاف أن يكون ما لا يسعنى معه المقام، فلم أرَ- بحمد اللّه- إلّا خيراً، واللّه مازلت أضرب بسيفى صبياً حتى صرت شيخاً، وإنّه ليصبّرنى على ما أنا فيه أنّ ذلك كلّه فى اللّه ...». «۴»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲

مكّة المكرّمة والتركيبة القبلية فيها ..... ص : ۱۲

إنّ تركيبة مكّة المكرّمة الإجتماعية آنذاك تركيبة قبلية، فهى بيوتات وعشائر وبطون، وتتألف قريش من خمسة وعشرين بطناً، «۱» و «ما أن أعلن النبى صلى الله عليه و آله نبوّته رسمياً، واختياره لولىّ عهده، حتى وقفت قريش وقفة رجل واحد بقيادة البيت الأموى، وأعلنت رفضها المطلق للنبوّة والكتاب وولاية العهد، وصرّحت بأنها ستجنّد كلّ طاقاتها الماديّة والمعنوية لصدّ أهل مكّة خاصة والعرب عامة عن إتباع محمد صلى الله عليه و آله والدخول فى دينه، وانقسم المجتمع المكى الى قسمين:

الأوّل: وهو الأكثر عدداً ومدداً ظاهرياً، ويتألّف من ثلاثة وعشرين بطناً من بطون قريش ومن والاهم من الموالى والأحابيش.

الثانى: وهو الأقلّ عدداً، ويتألّف من رسول اللّه محمد صلى الله عليه و آله ومن بطنه الهاشمى وبطن بنى المطّلب بن عبد مناف، ومن والى هذين البطنين من الموالى والأحابيش، مضافاً إليهم الذين اعتنقوا الدين الإسلامى». «۲»

وقد «قرّرت البطون استعمال كلّ الوسائل لعزل محمد صلى الله عليه و آله عن الهاشميين، فإن هم أصرّوا على عدم التخلّى عنه فلابدّ من عزل الهاشميين أنفسهم عن البطون، وفرض محاصرتهم ومقاطعتهم، فإن لم تُجدِ هذه الوسائل تعيّن على البطون أن تختار رجالًا منها يشتركون جميعاً فى قتل محمد صلى الله عليه و آله فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وإن لم تنجح محاولة القتل، وجب ملاحقة محمد صلى الله عليه و آله، ومحاربته حتى يتمّ القضاء التام عليه وعلى دعوته». «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳

لكنّ هـذه البطون المناوئة للدعوة المحمّدية أحسّت بالخيبة وبقوّة الصدمة وشدّة النكسة وهول ما أصابها من بنى هاشم عامة ومن علىّ بن أبى طالب عليهما السـلام خاصـة بعـد تعاظم أمر رسول اللّه صـلى الله عليه و آله واشـتداد شوكته، خصوصاً بعد معركة بدر الكبرى التى عبّأت فيها قريش كلّ قواها، إذ «مابقى أحـد من عظماء قريش إلّا أخرج مالًا لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره»، «۱» ويرى أبوسفيان أنّ لوازم المواجهة مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله تقتضى العداء الى آخر الدهر، هاهو يخاطب الرجل الجهنى وهو يستقصيه أخبار جيش النبى صلى الله عليه و آله قبيل وقعة بدر الكبرى قائلًا:

«واللات والعُزّى لئن كتمتنا أمر محمّد لا تزال قريش لك معادية آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله شىء فى هذا العير». «۲»

لقـد ترسّـخ حقـد قريش على بنى هاشم عامة وعلى أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب عليهما السـلام خاصة منذ انجلت بدر الكبرى عن انكسار قريش وانـدحارها، وإنها لتعلم أنّ علياً عليه السـلام هو السـبب الرئيس فى انهزامها وخسارتها المفجعة، فهو الذى قتل الوليد ثم شرك فى قتل عتبـة وشـيبة، ولقـد تفرّد عليه السـلام بقتل خمسـة وثلاثين رجلًا ببدر- على ما أثبتهُ رواة العامة والخاصة معاً- سوى من اختلفوا فيه، ومن شرك أميرالمؤمنين عليه السلام غيره فى قتله. «۳»

وهو عليه السلام صاحب الموقف الفذ الفريد فى الشجاعة والثبات يوم أحد، وكشاهد على هذا الموقف العُجاب ننقل من ميدان موقعة أحد هذه اللقطة: «قد كانت راية قريش مع طلحة بن أبى طلحة العبدرى من بنى عبد الدار، فبرز ونادى:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴

يامحمّـد، تزعمـون أنكـم تجهّزونـا بأسـيافكم الى النـار ونجهّزكم بأسـيافنا الى الجنّـة، فمن شـاء أن يلحق بجنّته فليـبرز إلىّ. فـبرز إليه أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يقول:

ياطلحُ إنْ كنتم كما تقول لكم خيول ولنا نصولُ

فاثبت لننظر أيّنا المقتول وأيّنا أولى بما تقولُ

فقد أتاك الأسدُ الصؤول بصارم ليس به فلولُ

ينصره القاهر والرسولُ

فقال طلحة: من أنت ياغلام؟

قال: أنا علىّ بن أبى طالب.

قال: قد علمتُ ياقضم «۱» أنه لايجسرُ علىَّ أحدٌ غيرك!.

فشدَّ عليه طلحة فضربه، فاتّقاه أميرالمؤمنين عليه السلام بالحجفة، ثمّ ضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب علىّ عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵

أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لايعيش منها أبداً.

ثم أخـذ الرايـة أبوسـعيد بن أبى طلحـة، فقتله علىّ عليه السـلام، وسـقطت رايته الى الأرض. فأخـذها عثمان بن أبى طلحـة فقتله علىّ، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخذها مسافع بن أبى طلحة، فقتله علىّ عليه السلام، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبى طلحة فقتله علىّ عليه السلام، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخـذها عُزير بن عثمان فقتله علىّ عليه السـلام، وسـقطت الراية الى الأرض. فأخذها عبداللّه بن جميلة بن زهير فقتله علىّ عليه السـلام وسـقطت الرايـة الى الأرض. فقتل أمير المؤمنين التاسع من بنى عبدالـدار وهو أرطأة بن شـرحبيل مبارزة، وسـقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مولاهم صوأب فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها بشماله، فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، فسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يابنى عبدالدار، هل أُعذرت فيما بينى وبينكم؟ فضربه أميرالمؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية الى الأرض ...». «۱»

فبنو عبدالدار يعادون بنى هاشم عامة وعلياً وآل علىّ عليهم السلام خاصة ويبغضونهم الى يوم الدين، حتى وإن عرفوا أنّ علياً «أحد الأربعة الذين أمر اللّه نبيّه أن يُحبّهم»، «۲» أو سمعوا أنّه يقول فيه: «لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق»، «۳»

أو أنه «أحبّ الخلق إلى اللّه»، «۴»

أو أنه «وليُّ النبىّ صلى الله عليه و آله فى الدنيا والآخرة». «۵»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶

ولبطون قريش الأخرى نصيبها من القتلى الذين مضوا الى جهنم بسيف أميرالمؤمنين عليه السلام فى بدر وأحد ومعارك الإسلام الأخرى، هذا فضلًا عمّن قُتل منهم فى حربى الجمل وصفّين، وأولاء عدا من حدّه علىّ عليه السلام لفسقه، أو فرّ من طائلة عدل علىّ عليه السلام وقصاصه.

لذا فقد كان أهل مكّة وكثير من أهل الحجاز لايميلون الى بنى هاشم عامة والى علىّ وآل علىّ عليهم السلام خاصة، ومالوا الى قيادة السقيفة ثمّ إلى بنى أميّة بعدهم، يقول الإمام على بن الحسين عليهما السلام كاشفاً عن تلك الحقيقة:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا ..». «۱»

ويقول أبوجعفر الإسكافى فى هذا الصدد: «أمّا أهل مكّة فكلّهم كانوا يبغضون علياً قاطبة، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بنى أميّة عليه». «۲»

لقد كان لحركة النفاق بجميع فصائلها دور مدروس ومخطّط وذو أثر بالغ فى تأجيج ضغائن الجاهلية ضد أهل البيت عليهم السلام عامة وضد أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام خاصة، ولمّا تسلّم الحزب الأموى قيادة حركة النفاق بزعامة معاوية بن أبى سفيان الذى مابرح يبكى على قتلى مشركى قريش فى بدر حتى لحظات احتضاره، «۳» كان الهمّ الأكبر للأمويين هو فصل الأمّة عن أمير المؤمنين على عليه السلام حتىّ على الصعيد الوجدانى، فأمر معاوية بسبّه ولعنه والبراءة منه، واضطهد محبّيه معيشياً وسياسياً

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷

اضطهاداً رهيباً. «۱»

من كلّ ما مضى تتأكد لنا حقيقة أنّ أهل البيت عليهم السلام لم تكن لهم قاعدة شعبية فى مكة المكرّمة خاصة، قاعدة شعبية واسعة تتولاهم وتدعم مواقفهم وتنصرهم، أو تحبّهم على الأقلّ، والأمر كما وصفه الإمام السّجاد عليه السلام:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا»!!

ومن هنا أيضاً تتأكّد لنا حقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد من توجّهه الى مكّة المكرّمة أهل هذه المدينة بالأساس، بل كان قصده الرئيسى فى التوجّه إليها هو إبلاغ وفود العالم الإسلامى من المعتمرين والحجّاج بقيامه ونهضته للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، طلباً للنصرة وإتماماً للحجّة على الناس.

ومن هنا نرجّح أنّ ماورد فى بعض الروايات من أنّ أهل «۲» مكّة فرحوا بالإمام عليه السلام فرحاً شديداً، أو عكف الناس بمكّة يفدون إليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون مايروون عنه ... ليس المراد بذلك جلّ أهل مكّة بالذات بل المراد بذلك هم جموع الوافدين على مكّة من معتمرين وحجّاج ونزر قليل جداً من المكيّين الذين استوطنوا مكّة بعد فتحها وبعد انتشار الإسلام ومما يؤكّد ماذهبنا إليه أن التأريخ لم يحدّثنا أنّ أحداً من المكيين قد التحق بالإمام عليه السلام وسار معه الى العراق.

والأيام التى قضاها الإمام أبو عبداللَّه الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة تشكّل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸

المقطع الأطول من عمر النهضة الحسينيّة المقدّسة، ولاشك أنّ ما يقارب المائة وخمسة وعشرين يوماً مساحة زمنية حفلت ثناياها بكثير من الإتصالات واللقاءات والمحاورات والمراسلات وأنشطة أخرى متعدّدة غيرها كان الإمام أبوعبداللَّه الحسين عليه السلام قد قام بها، ولو كان التأريخ قد سجّل لنا جميع تلك الوقائع وتفاصيلها، لكان أغنى المؤرخين والمتتبعين المحقّقين بمادة تأريخية مهمة، ولأعانهم عوناً كبيراً على كشف كثير من الغموض المحيط ببعض الأحداث والمواقف الواقعة فى إطار تأريخ هذه النهضة المباركة.

لكنّ المؤسف فعلًا- كما قلنا فى بداية هذه المقدّمة- أنّ التأريخ لم يسجل لنا عن هذه الأيام المكيّة إلّا ملاحظات عامّة غضّت الطرف وأغمضته عن كثير من التفاصيل التأريخية اللازمة فى الإجابة على كثير من التساؤلات التى تنقدح فى ذهن المتأمل حول تلك الفترة وما جرى فيها وبعدها.

ويمكن للمتتبع أن يحدّد المحاور العامة التى سجلها التأريخ لهذه الفترة المكيّة بما يأتى:

۱- إنشداد الناس فى مكّة الى الإمام عليه السلام واحتفاؤهم به، وتضايق عبداللَّه بن الزبير والسلطة الأموية المحلّية فى مكّة لذلك.

۲- محاولات بعض وجهاء الأمّة لثنى الإمام عليه السلام عن التوجّه الى العراق فى إطار لقاءات ومحاورات النصح والمشورة وبعض المكاتبات فى هذا الصدد.

۳- رسائل أهل الكوفة الى الإمام عليه السلام، ورسائل الإمام عليه السلام إليهم والى أهل البصرة.

۴- إرسال الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة.

۵- خطب الإمام عليه السلام قبيل مغادرة مكّة، والمحاولات الأخيرة لثنيه عن التوجّه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹

الى العراق.

ومجموع الروايات التأريخية الواردة فى إطار هذه المحاور تعتبر نزراً قليلًا جداً إذا قيست إلى ما يمكن أن تتضمّنه فترة لا تقلّ عن مائة وخمسة وعشرين يوماً من وقائع وأحداث، خصوصاً فى مدينة مكّة المكرّمة وفى أيّام كانت هذه المدينة قد غصّت بجموع غفيرة من معتمرين وحجّاج وفدوا إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامى، وفيهم شخصيات مهمة كثيرة يستبعد المتأمّل ألا تكون لها لقاءات كثيرة وطويلة مع الإمام الحسين عليه السلام الذى هو آنذاك الرمز الدينى والروحى لهذه الأمّة.

ومن أجل جبران هذا النقص فى المادّة التأريخية لفترة الأيام المكيّة من عمر النهضه الإسلامية رأينا أن نتابع وقائع وأحداث هذه الفترة من خلال الزوايا الثلاث التالية:

۱- حركة الإمام الحسين عليه السلام فى هذه الفترة.

۲- حركة السلطة الأموية فى مواجهة الإمام عليه السلام.

۳- حركة الأمّة إزاء قيام الإمام عليه السلام.

وقد حاولنا- فضلًا عن الروايات المبذولة فى إطار هذه الزوايا الثلاث- أن نلتقط كلّ الشوارد والإشارات التأريخيّة المتفرّقة فى كتب التأريخ والتراجم وغيرها ونجمعها فى متجهاتها كيما نزيح بأضواء جديدة بعض الغموض الجاثم على مساحة كبيرة من تلك الفترة، لنكون بذلك قد قدّمنا جديداً فى إطار هذه الدراسة التأريخية التحليلية النقدية.

تُرى هل وفّقنا الى ذلك؟

التقييم فى ذلك متروك الى القارىء الكريم.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰

وفى الختام: ..... ص: ۲۰

أود أن أتقدم بالشكر والتقدير الفائق إلى صاحب الفضيلة الأستاذ المحقّق على الشاوى المحترم حيث أتحفنا بملاحظات قيمة، مع بذل غاية جهده فى تنظيم وترصين هذا الجهد المتواضع: كتاب «الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة» فله الفضل علىَّ والأيادى.

واستميح سيّدى الوالد المرحوم آية الله الطبسى عذراً إذ لم أوفّق حتّى الآن لتنفيذ ما أوصى به إلينا من تحقيق وطبع ونشر مؤلّفه القيّم- المخطوط- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وعسى أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية خير لإنجاز ما طلبه منّا فى قريب عاجل إن شاء الله تعالى.

نجم الدين الطبسى

قم المقدّسة

۱۹/ محرّم الحرام/ ۱۴۲۱ ه. ق

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳

الفصل الأول ..... ص: ۲۳

اشارة

حركة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى مكّة

الفصل الأوّل: حركة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى مكّة ..... ص: ۲۳

ورود الإمام الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة ..... ص: ۲۳

اشارة

سار الإمام عليه السلام بالركب الحسينىّ من المدينة المنورة حتى وافى مكّة المكرّمة، فلمّا نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية الكريمة: «ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسى ربّى أن يهدينى سواء السبيل»، «۱» وذلك ما قاله رسول اللّه موسى بن عمران عليه السلام حينما خرج من مصر إلى مدين.

وقيل: إنه لمّا قدم مكّة قال: «اللّهمَّ خِرْ لى واهدنى سواء السبيل». «۲»

وقد دخل عليه السلام مكّة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان. «۳» أو دخلها عليه السلام يوم الجمعة، «۴» ومكث فيها أربعة أشهر وخمسة أيّام.

الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة ..... ص: ۲۳

قال ابن كثير: «وعكف الناس بمكّة يفدون إليه، ويجلسون حواليه،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴

ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه». «۱»

وقال الشيخ المفيد قدس سره: «فأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ...». «۲»

وقال ابن الصباغ: «فأقبل الحسين حتى دخل مكّة المشرّفة ونزل بها، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه، وكذلك من بها من المجاورين والحجاج والمعتمرين من سائر أهل الآفاق». «۳»

وذكر بعض المؤرّخين أنّ أهل مكّة فرحوا به عليه السلام فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشيّاً. «۴»

ويبدو أنّ بعض المتتبعين المعاصرين- كباقر شريف القرشيّ- قد استفاد من مجموع مثل هذه النصوص أنّ المكيّين أنفسهم هم الذين احتفوا بالإمام عليه السلام وكانوا يختلفون إليه بكرة وعشياً، فأطلق القول هكذا: «وقد استقبل الإمام عليه السلام استقبالًا حافلًا من المكيّين، وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشيّاً، وهم يسألونه عن أحكام دينهم وأحاديث نبيّهم». «۵»

لكننا نرجّح- كما قدّمنا فى مقدمة الكتاب- أنّ الذين احتفوا بالإمام الحسين عليه السلام وكانوا يفدون إليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون مايروون عنه، هم أهل الأقطار الأخرى من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵

المعتمرين والحجاج المتواجدين آنذاك فى مكّة، وفيهم من المكيين القليل ممن ليسوا من بطون قريش، ممن سكن مكّة بعد الفتح وبعد انتشار الإسلام فى الأرض، ذلك لأنّ قريشاً توارثت العداء لعليّ وآل عليّ عليهم السلام، والظاهر أنّ جلّ المكيّين آنذاك هم من قريش، ولا ننسى قول الإمام السجاد عليه السلام:

«ما بمكّة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا ...». «۱»

منزل الإمام الحسين عليه السلام بمكّة ..... ص : ۲۵

صرّح الذهبى بأنّ الإمام الحسين عليه السلام «نزل بمكّة دار العبّاس»، «۲» وكذلك قال المزّى، «۳» ومن قبلهما ابن عساكر، «۴» غير أنّ بعضاً آخر من المؤرخين ذكروا أنه عليه السلام «نزل فى شِعب عليّ عليه السلام»، «۵» ولامنافاة بين القولين و لأنّ دارالعبّاس بن عبدالمطلب كانت فى شعب عليّ عليه السلام.

لكن السؤال الذى قد يفرض نفسه هنا هو:

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام دار العبّاس بن عبدالمطّلب؟

هل هناك غرض سياسى أو اجتماعى أو تبليغى من وراء ذلك؟ أم أنه عليه السلام لم يُرد أن يكون لأحدٍ عليه منّة بذلك؟ أو أنّه عليه السلام خشى أن ينزل على أحدٍ فيكلّف المنزول به ثمناً باهضاً وحرجاً شديداً، لأنّ السلطة الأموية بعد ذلك سوف تضطهد صاحب المنزل بأشدّ عقوباتها؟ أو أنه عليه السلام لم يُرد أن يمنح رجلًا من أهل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶

مكّة بنزوله عنده اعتباراً اجتماعياً ومنزلة فى قلوب الناس لا يستحقّها أو يستثمرها بعد ذلك لمنافعه الخاصة؟

أم أنّ الإمام عليه السلام لم ينزل من دور بنى هاشم فى مكّة إلا دار العباس بن عبدالمطلب لأنّ بنى هاشم لم تبق لهم دار فى مكّة إلّا دار العبّاس، ذلك لأنّ عقيل ابن أبى طالب كان قد باع دور المهاجرين من بنى هاشم خشية أنّ تستولى عليها قريش وتصادرها، لأنّ قريشاً عمدت حينذاك الى مصادرة منازل المهاجرين من المسلمين الى المدينة انتقاماً وإرهاباً، ولم يكن العبّاس بن عبدالمطلب قد هاجر آنذاك على فرض إسلامه حين هجرة النبى صلى الله عليه و آله- فسلمت داره من المصادرة.

يقول الواقدى: «قيل للنبى: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ قال: فهل ترك لنا عقيل منزلًا؟ وكان عقيل قد باع «۱» منزل رسول اللّه صلى

الله عليه و آله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكّة». «۲»

ويعلل السيد على خان الشيرازى هذه المصادرة قائلًا: «كان عقيل قد باع دور بنى هاشم المسلمين بمكّة، وكانت قريش تعطى من لم يُسلم مال من أسلم، فباع دور قومه حتى دار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فلما دخل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله مكّة يوم الفتح قيل:

ألا تنزل داركَ يارسول اللَّه صلى الله عليه و آله؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار؟». «۳»

أمّا الشيخ الطوسى فيعلّل هذه المصادرة بسبب الهجرة لا بسبب الإسلام فقط حيث يقول: «.. قول النبى صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّة وقد قيل له: ألا تنزل داركَ؟ فقال:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷

وهل ترك لنا عقيل من ربع؟ لأنه كان قد باع دور بنى هاشم لمّا خرجوا الى المدينة ..». «۱»

وفى الإجابة عن السؤال المثار حول سبب اختيار الإمام عليه السلام دار العبّاس بن عبدالمطّلب نقول: مما لاشك فيه أنّ سبب هذا الإختيار لاينحصر فى كون دار العبّاس هى الدار السانحة آنذاك، وذلك لأنّ الإمام عليه السلام كان مقتدراً ذا سعة، وكان بإمكانه بل من اليسير عليه أن يهيأ داراً أو أكثر من دار فى مكة له ولغيره من أفراد الركب الحسينىّ، ونرى ألا منافاة بين جميع الدواعى المعقولة لهذا الإختيار، سواء التى ذكرناها فى معرض التساؤل أو التى لم نذكرها، فمن الممكن أن يجتمع السبب السياسى مع السبب الاجتماعى مع السبب التبليغى مع الأسباب الأخرى وتتعاضد جميعها فى متّجه واحد لتشكّل العلّة التامّة لهذا الإختيار.

رسائل الإمام عليه السلام إلى الولايات الأخرى ..... ص : ۲۷

رسالته عليه السلام إلى البصرة ..... ص : ۲۷

كانت الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام على صلة بالإمام أبى عبداللَّه الحسين عليه السلام رغم الإضطهاد والإرهاب والمراقبة الشديدة من قبل الحكم الأموىّ على محبّى أهل البيت عليهم السلام، فكانت الشيعة فى أنحاء البلاد الإسلامية تبعث الى الإمام الحسين عليه السلام المكاتيب وتسأله عمّا يهمّها من أمور دينهم، وكان للبصرة نصيبها من الصلة بالإمام عليه السلام، وقد أثبت التأريخ بعض رسائل شيعتها إليه، كالرسالة التى بعثوا بها إلى الإمام عليه السلام يسألونه فيها عن معنى الصمد، وبعث إليهم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸

بجوابها ... «۱»

لكنّ الملفت للإنتباه فى الرسالة التى بعث بها الإمام عليه السلام إلى اشراف البصرة ورؤساء الأخماس «۲» فيها هو أنَّ الإمام عليه السلام كان البادىء بالمكاتبة، وقد دعا فيها أولئك الأشراف والرؤساء ومن يتبعهم من أهل البصرة إلى نصرته، فى وقت لم يكن أحدٌ من أولئك قد بعث من قبل إلى الإمام عليه السلام بكتاب يدعوه فيه إلى القيام والنهضة ضد الحكم الأموى، كما فعل أشراف الكوفة ووجهاؤها وكثير من أهلها الذين كانت رسائلهم تنهال على مكّة حتى بلغت فى يوم واحدٍ ستمائة رسالة!

فما هى علّة مبادرة الإمام عليه السلام الى الكتابة إلى أشراف البصرة ورؤسائها؟

لايشك مطّلع على التأريخ الإسلامى بالأهمية الخاصة التى كانت تتمتع بها كلٌ من ولايتى الكوفة والبصرة وأثرهما البالغ على حركة أحداث العالم الإسلامى آنذاك، خصوصاً وأنّ هاتين الولايتين المهمتين لم تنغلقا لصالح الحكم الأموى كما انغلق الشام تماماً لصالحه آنذاك، فمحبّو أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فى كلّ من هاتين الولايتين برغم الإرهاب والقمع الأموىّ كانت لهم

اجتماعاتهم ومنتدياتهم السريّة، وتطلّعاتهم الى يوم الخلاص من كابوس الحكم الأمويّ.

نعم، هناك فارق واضح بين الكوفة والبصرة من حيث تأريخ كلّ منهما فى نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن حيث عدد الشيعة فى كلّ منهما، ومن حيث درجة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹

تحفّزهم للتحرّك ضد الحكم الأمويّ.

ويُضافُ الى ذلك أنّ البصرة آنذاك كانت تحت سيطرة وال قويّ وإرهابى مستبدّ هو عبيداللّه بن زياد الذى كان قد هيمن على إدارة أمورها، وأحكم الرقابة الشديدة على أهلها، فى وقت كانت الكوفة قد تراخت أزمّة أمورها بيد وال ضعيف يميل الى العافية والسلامة هو النعمان بن بشير، فكان الشيعة فى الكوفة أقدر على الحركة والفعل من الشيعة فى البصرة عموماً، مما قد يفسّر سبب مبادرة أهل الكوفة وبهذا الكمّ الكثير إلى المبادرة فى الكتابة إلى الإمام عليه السلام ودعوته إليهم، فى وقت لم تصل إلى الإمام عليه السلام رسالة من أهل البصرة يدعونه فيها إليهم أو يظهرون فيها استعدادهم لنصرته. «۱»

فبادر الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى أهل البصرة عن طريق أشرافها ورؤساء الأخماس فيها، لأنَّ أهلها- عدا خُلَّص الشيعة منهم- لايتجاوزون أشرافهم فى اتخاذ موقف وقرار، فكان لابدَّ من مخاطبتهم عن طريق أشرافهم ورؤساء الأخماس، وإن كان بعض هؤلاء ممّن يميل إلى بنى أميّة، وبعضهم ممن لا يؤتمن، وبعضهم ممن لا تتسق مواقفه باتجاه واحد ..

ولعلّ الإمام عليه السلام أراد إلقاء الحجّة على الجميع، «۲» مع ما قد تثمره رسالته من صدّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰

المتردّد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الإنضمام إلى أىّ فعل مضاد لحركة الإمام عليه السلام، وما تثمره هذه الرسالة أيضاً من إعلام البصريين الراغبين فى نصرته بأمر نهضته وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى وأمثاله.

نصّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة ..... ص : ۳۰

قال الطبرى: «قال أبومخنف: حدّثنى الصقعب بن زهير، عن أبى عثمان النهدى، قال: كتب الحسين مع مولىً لهم يُقال له سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكرى، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيداللّه بن معمر.

فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أمّا بعد، فإنّ اللّه اصطفى محمّداً على خلقه وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضه اللّه إليه، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أرسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقَّ الناس بمقامه فى الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحقّ، فرحمهم اللّه وغفر لنا ولهم. «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱

وقد بعثتُ رسولى إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه، فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة اللّه». «۱»

وقد نقل ابن نما الكتاب باختصار واختلاف قائلًا:

«كتب عليه السلام كتاباً إلى وجوه أهل البصرة، منهم الأحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود

النهشلى.

وبعث الكتاب مع زرّاع السدوسى، وقيل مع سليمان المكنّى بأبى رزين، فيه:

«أدعوكم إلى اللّه وإلى نبيّه، فإنّ السنّة قد أُميتت، فإن تجيبوا دعوتى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد». «۲»

نماذج من أشراف البصرة الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۱

اشارة

من هم أولئك البصريون الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام رسالته؟ هل كانوا جميعاً من محبّى أهل البيت عليهم السلام أو شيعة لهم؟ أم كانوا جميعاً على هوى واحد لبنى أميّة؟ أم كانوا مختلفين فى الميل والهوى؟

يحسن منا هنا أن نلقى ضوءً- وإن كان يسيراً- يكشف لنا عن هوية نماذج من هذه الشخصيات ومتجهات ميولها، لعلّنا بذلك نتعرّف على حقيقة الوضع النفسى والإجتماعى لولاية البصرة آنذاك، كما يساعدنا ذلك على معرفة سبب كون رسالة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲

الإمام عليه السلام بذلك النصّ بالتحديد، لأنّ نوع المخاطَب مؤثّر فى نوع الخطاب، فمن هذه الشخصيات المؤثرة فى حياة المجتمع البصرى آنذاك:

۱۱- مالك بن مسمع: ..... ص : ۳۱

كان رأيه مائلًا إلى بنى أميّة، وكان مروان بن الحكم قد لجأ إليه يوم الجمل، وكان مالك بن مسمع يأمر الناس بعد واقعة الطف وقتل الإمام الحسين عليه السلام بتجديد البيعة ليزيد بن معاوية. «۱»

۲- الأحنف بن قيس: ..... ص : ۳۱

قيل إنّه ولد فى عهد النبىّ صلى الله عليه و آله ولم يدركه، ومات عام ۶۷ ه، وقد روى فضائل علىّ عليه السلام عن أبى ذر، وعندما قرأ ابن عبّاس كتاب علىّ عليه السلام على أهل البصرة كان الأحنف أوّل رجل أجابه وقال: نعم، واللّه لنجيبنّك ... وهو الذى اقترح على أميرالمؤمنين عليه السلام أن يجعله حكماً، وقد وجّهه علىّ عليه السلام إلى الخوارج.

وهو الذى بعث إلى علىّ قائلًا: إن شئتَ أتيتك فى مائتى فارس فكنت معكَ، وإن شئتَ اعتزلت ببنى سعد فكففت عنك ستّة آلاف سيف. فاختار علىّ عليه السلام اعتزاله. «۲»

وعلى ضوء هذه المواقف يراه الرجالى المعروف المامقانىّ حسناً. «۳»

ويقول رجالىّ آخر وهو النمازى: «يظهر منه كماله وحكمته ورضاية أميرالمؤمنين عليه السلام به، وأنه من السفراء الفصحاء». «۴»

ولكن أليس الأحنف بن قيس هو القائل بعد أن دعاه الإمام أبوعبداللّه الحسين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳

إلى نصرته ولم يجبه: «قد جرّبنا آل أبىالحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك ولا جمعاً للمال ولا مكيدة للحرب». «۱»

أليس الأحنف بن قيس هو الذى ساعد مصعب بن الزبير على قتل المختار، «۲» وكان على خمس تميم فى قتل المختار. «۳»

أليس هو القائل فى صفين- وهو مع علىّ عليه السلام- «هلك العرب». «۴»

وفى هذا مؤشّر على ضعف اعتقاد الأحنف بأميرالمؤمنين عليه السلام وبالحسنين عليهما السلام، إذ لو كان له اعتقاد راسخ بهم عليهم

السلام لكان سلماً لمن سالمهم وحرباً لمن حاربهم، ولما همّه بعد ذلك، هلكت العرب فى حقّ أو بقيت.

ولذا لم يرتض رجاليّ آخر وهو التسترى «۵» تحسين المامقانى له، كما سكت الخوئى «۶» فى المعجم عن تأييده أو تضعيفه.

ومن المواقف الدالّة على عدم رسوخ اعتقاده بأمير المؤمنين عليه السلام بل الدالّة على تردده وضعف يقينه ووهن موقفه فى وجوب نصرة أهل الحقّ وخذلان أهل الباطل أنه حينما قرأت رسالة معاوية على أهل البصرة لتحريضهم على أميرالمؤمنين عليه السلام تحت شعار الأخذ بثأر عثمان أنّ الأحنف قال: «أمّا أنا فلا ناقة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴

لى فى هذا ولا جمل، واعتزل أمرهم». «۱»

۳- مسعود بن عمرو بن عدى الأزدى: ..... ص : ۳۴

وهو أحد قادة الأزد فى معركة الجمل فى جيش عائشة وطلحة والزبير، «۲» وهو الذى أجار ابن مرجانة لمّا نابذه الناس ومنعه منهم، «۳» ومكث ابن مرجانة تسعين يوماً بعد موت يزيد ثم خرج إلى الشام، وبعث معه مسعود بن عمرو مائة من الأزد عليهم قرّة بن قيس حتى قدموا به إلى الشام، وكان ابن زياد قد استخلف مسعود بن عمرو على البصرة حينما تركها متوجهاً إلى الشام. «۴»

۴- قيس بن الهيثم السلمى: ..... ص : ۳۴

لمّا استنصر عثمان بأهل البصرة قام قيس فخطب وحرّض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، وأتاهم قتل عثمان فرجعوا، «۵» وكان قيس هذا والياً لعثمان على خراسان، «۶» وقد ولى شرطة البصرة على عهد معاوية لعبد اللّه بن عامر، ثم بعثه والياً على خراسان سنتين حيث عزله عنها بعد ذلك وعاقبه وسجنه، «۷» وكان من أخواله فتشفّعت فيه أمّه فأخرجه «۸» ... ثم عطف على قيس فاستخلفه على البصرة ... ثمّ ولىّ معاوية على البصرة زياد بن سميّة سنة ۴۵ ه، فبعث قيس بن الهيثم على مرود الروذ والفارياب والطالقان، ثم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵

انعزل قيس بعزل يزيد لعبد الرحمن بن زياد، فلمّا هلك يزيد كان قيس بالبصرة.

وكان قيس هذا على المقاتلة لابن الزبير فى مقاتلة مثنّى بن مخربة الداعى إلى المختار سنة ۶۶ ه، وكان على خمس أهل العالية مع مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار سنة ۶۷ ه، وكان قيس سنة ۷۱ ه يستأجر الرجال ليقاتلوا معه خالد بن عبداللّه داعية عبدالملك بن مروان معيناً وناصراً لابن الزبير، وكان يحذّر أهل العراق من الغدر بمصعب. «۱»

۵- المنذر بن الجارود العبدى: ..... ص : ۳۵

ولّاه الإمام علىّ عليه السلام بعض أعماله فخان فيه، فكتب عليه السلام إليه:

«أمّا بعد، فإنّ صلاح أبيك غرّنى منك، وظننت أنّك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقى إلىَّ عنك لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقى لآخرتك عتاداً، أتعمّر دنياك بخراب آخرتك!؟ وتصل عشيرتك بقطيعة دينك!؟ ولئن كان ما بلغنى عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، من كان بصفتك فليس بأهل أن يُسدَّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يُعلى له قدر أو يُشرك فى أمانة أو يؤمن على جباية، فأقبل إلىَّ حين يصلُ إليك كتابى هذا إن شاء اللّه».. «۲»

وقال عليه السلام فى المنذر بن الجارود هذا أيضاً:

«إنّه لنظّارٌ فى عطفيه، مختالٌ فى بُردَيْه، تفّال فى شِراكَيْه». «۳»

أى أنه ذو زهوٍ، معجب بنفسه ومظهره، متكبر، همّه فى نظافة ظاهره لا فى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶

طهارة الباطن وتزكية النفس وتهذيب المحتوى والعروج إلى آفاق المعنويات السامية.

و «كان علىّ عليه السلام ولّاه فارساً فاحتاز مالًا من الخراج .. وكان المال أربعمائة ألف درهم، فحبسه علىّ عليه السلام، فشفع فيه صعصعة وقام بأمره وخلّصه». «۱»

ولقد شفّع المنذر بن الجارود خيانته فى الأموال بخيانته فى النفوس حيث قدّم نسخة رسالة الإمام الحسين عليه السلام إليه مع رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين إلى عبيداللَّه بن زياد تقرّباً إليه وطمعاً فى الزلفة منه، وكانت نتيجة هذه الخيانة أن قُتل رسول الإمام عليه السلام صبراً.

ولقد كافأ ابن زياد ابن الجارود على خيانته فولاه السند حيث توفى فيها سنة ۶۱ ه، «۲» فلم يهنأ بجائزته إلا شهوراً قليلة.

هذه صورة موجزة لمجموعة من أشراف البصرة آنذاك، قد تمثّل جلّ أشراف البصرة المعروفين يومها، ورأيناها مؤلّفة من ذى هوىً أموى خالص كمالك بن مسمع، ومعادٍ لأهل البيت عليهم السلام كمسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم السلمى، أو ذى معرفة بحقّ أهل البيت عليهم السلام ضعيف اليقين مترددٍ واهن المواقف كالأحنف بن قيس، أو طالبٍ للدنيا متكبر معجب بنفسه متملّق للأمراء غير مؤتمن كالمنذر بن الجارود العبدى.

وكما قلنا من قبل، فقد اضطرّ الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى هؤلاء لأنهم المنفذ الوحيد إلى جلّ أهل البصرة الذين كانوا تبعاً لأشرافهم فى فهم الأحداث وتبنّى المواقف، وكان لابدّ من إلقاء الحجّة على الجميع من خلال هذا الطريق، فلعلَّ ثمّة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷

من يهتدى ويُسعد بإبلاغ الحجّة.

وهنا لابدّ من التنبيه أنّ من أشراف البصرة مجموعة تعرف حقّ أهل البيت عليهم السلام وتواليهم ولها مواقف كريمة ورائعة فى المبادرة إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى الذى دعا قومه إلى نصرة الإمام عليه السلام وعبّأهم روحياً بهذا الإتجاه، وهو من الأشراف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام بتلك النسخة أيضاً، وسيأتى تفصيل موقفه فى فصل حركة الأمّة فيما يأتى من البحث، وقد دعا له الإمام عليه السلام بهذا الدعاء المبارك:

«مالكَ، آمنك اللَّه يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر». «۱»

وكيزيد بن ثبيط العبدى، وهو من أشراف البصرة أيضاً، ومن الشيعة، وقد بادر- بعدما علم بما عزم عليه الإمام الحسين عليه السلام- إلى الإلتحاق بركب الإمام عليه السلام فى مكّة، مع ولديه عبداللَّه وعبيداللَّه وجماعة آخرين من الشيعة البصريين، ورزقوا الشهادة بين يدى الإمام أبى عبداللَّه الحسين عليه السلام فى كربلاء يوم العاشر من المحرم. «۲»

الشهيد الأوّل فى الثورة الحسينيّة: ..... ص: ۳۷

يُطلق لقب (الشهيد الأوّل) فى الثورة الحسينية عادةً على مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو المشهور، وهذا صحيح إذا أردنا بذلك الشهيد الأوّل من شهداء بنى هاشم فى هذه الثورة المقدّسة، ولكننا إذا أردنا (الشهيد الأوّل) من شهداء هذه الثورة المقدّسة عموماً فإنّ رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة ورؤساء الأخماس فيها هو ذلك الشهيد الأوّل رضوان اللَّه تعالى عليه، الذى قتله عبيداللَّه بن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸

زياد قبل يوم من تركه البصرة متوجهاً إلى الكوفة، وذلك بسبب خيانة المنذر بن الجارود العبدى، الذى زعم «۱» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيداللَّه بن زياد- وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيداللَّه بن زياد- فأخذ عبيداللَّه بن زياد الرسول فصلبه، «۲» أو قدّمه فضرب عنقه. «۳»

وقد ذهب جلّ المؤرّخين إلى أنّ اسم هذا الرسول هو سليمان، إلا أنّ ابن نما ذكر- على قول- أن إسمه زراع السدوسى حيث قال: «وبعث الكتاب مع زراع السدوسى، وقيل مع سليمان المكنّى بأبى رزين ..»، «۴» لكنّ السلام الوارد عليه فى زيارة الناحية المقدّسة يؤكّد أنّ إسمه سليمان: «السلام على سليمان مولى الحسين ابن أميرالمؤمنين، ولعن اللَّه قاتله سليمان بن عوف الحضرمى» «۵»

ويُكنى سليمان بأبى رزين، وقيل إنّ أبا رزين «هو إسم أبيه، وأمّه كبشة، جارية للحسين عليه السلام، فتزوجها أبورزين فولدها سليمان»، «۶» لكنّ المحقّق السماوى ضبط اسم هذا الشهيد هكذا: سليمان بن رزين. «۷»

وكان سليمان قد خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ثم بعثه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۹

الإمام عليه السلام برسالته إلى البصرة، «۱» وهذا كاشف عن ثقته به واعتماده عليه ومنزلته الخاصة عنده.

إجتماع الإمام عليه السلام برسل أهل الكوفة ومبعوثيهم ..... ص : ۳۹

بعد أن علم أهل الكوفة بامتناع الإمام عليه السلام عن البيعة ليزيد، وأنه عليه السلام قد صار إلى مكّة، تقاطرت رسائلهم الكثيرة إليه بلا انقطاع، وقد أبدوا فيها استعدادهم لنصرته والقيام معه، ودعوه فيها إلى القدوم إليهم.

«وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن الناس ...»، «۲» وكان هانى بن هانى وسعيد بن عبداللَّه الحنفى آخر الرسل القادمين عليه.

«فقال الحسين عليه السلام لهانى وسعيد بن عبداللَّه الحنفى:

خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب معكما إلىّ؟

فقالا: يا أميرالمؤمنين، «۳» اجتمع عليه شبث بن ربعى، وحجّار بن أبجر، ويزيد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۰

ابن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمد بن عمير بن عطارد. «۱»

قال: فعندها قام الحسين عليه السلام فتطهّر وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ثمّ انفتل من صلاته وسأل ربّه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة، ثمّ جمع الرسل فقال لهم: إنى رأيتُ جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى منامى، وقد أمرنى بأمر وأنا ماضٍ لأمره.

فعزم اللَّه لى بالخير، إنه ولىّ ذلك والقادر عليه إن شاء اللَّه تعالى» «۲».

رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة: ..... ص : ۴۰

«... ثم كتب مع هانى بن هانى وسعيد بن عبداللَّه «۳»، وكانا آخر الرسل:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۱

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

من الحسين بن علىّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين:

أمّا بعدُ: فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۲

فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام فأقبل لعلّ اللّه أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

وإنّى باعث إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل، فإن كتب إلىَّ أنه قد اجتمع رأى ملأـكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ماقدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن شاء اللّه، فلعمرى ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات اللّه، والسلام» «۱».

سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة: ..... ص : ۴۲

اشارة

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسرّحه مع قيس بن مسهر الصيداوى «۲»، وعمارة بن عبداللّه السلولى «۳»، وعبداللّه وعبدالرحمن ابنى شدّاد الأرحبى «۴»، وأمره

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۴

بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك ..» «۱».

ماذا يعنى كتمان الأمر هنا؟ ..... ص : ۴۴

هل يعنى أن يكتم مسلم بن عقيل عليه السلام أمر سفارته مادام فى الطريق حتى يصل الى الكوفة؟ أم يعنى أن يتّبع مسلم بن عقيل عليه السلام الأسلوب السرّى فى تعبئة أهل الكوفة للنهضة مع الإمام عليه السلام؟ أم يعنى أن يكتم أمر مكانه وزمان تحركاته ومواقع مخازن أسلحته وأشخاص قياداته ومعتمديه من أهل الكوفة وكلمة السرّ فى وثبته؟ أم غير ذلك؟

وماذا يعنى اللطف هنا؟ هل هو اللطف مع الناس وهو من أخلاق الإسلام؟

أم اللطف هنا بمعنى عدم المواجهة المسلّحة مع السلطة المحلّية الأموية فى الكوفة حتى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك؟

وهل كانت مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام- على ضوء هذه الرواية- منحصرة فى معرفة الرأى العام الكوفى، ومعرفة صدق أهل الكوفة فيما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام؟

هناك رواية أخرى تقول إنّ رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة حوت أيضاً هذه العبارات:

«... وقد بعثت إليكم أخى وابن عمّى مسلم بن عقيل بن أبى طالب، وأمرته

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۵

أن يكتب إلىَّ بحالكم وخبركم ورأيكم ورأى ذوى الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إليكم إن شاء اللّه، ولا قوة إلّا باللّه، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم، فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه ولا تخذلوه، فلعمرى ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط كالذى يحكم بغير الحقّ ولا يهتدى سبيلًا ...» «۱».

ومن هذا النصّ يتجلّى لنا أنّ مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة لم تنحصر فى استطلاع الرأى العام الكوفى ومعرفة حقيقة ومصداقية التوجهات فيها، بل كانت مهمته الأساسية فيها هى الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحلّية الأموية فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأموى كلّه، والدليل على هذا قوله عليه السلام:

«فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه ولا تخذلوه ..».

ويتابع ابن أعثم الكوفى روايته التأريخية قائلًا:

«ثم طوى الكتاب، وختمه، ودعا بمسلم بن عقيل فدفع إليه الكتاب، وقال:

إنّى موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى اللَّه من أمرك مايحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامضِ ببركة اللَّه وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق اهلها، وادع الناس الى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجّل علىّ بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء اللَّه تعالى. ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكيا جميعاً» «۲».

ومن هذه الرواية نستفيد أنّ «كتمان الأمر» فى الرواية الأولى لايعنى اتّباع

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۶

مسلم بن عقيل أسلوب العمل السرّى فى الدعوة إلى طاعة الإمام عليه السلام ذلك لأن ظاهر قوله عليه السلام «وادع الناس إلى طاعتى» هو العلانية فى العمل. نعم قد يلزم الأمر أن تكون البداية والمنطلق من أهل الثقة والولاء، وهذا ما يشعر به قوله عليه السلام: «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها».

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قد أشعر مسلم بن عقيل عليه السلام أو أخبره بأنّ عاقبة أمره الفوز بالشهادة من خلال قوله عليه السلام: «وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء!» والعلم بأن المصير هو القتل لايمنع من المضىّ فى أداء التكليف إذا كان الأمر متعلقاً بإحدى مصالح الإسلام العُليا. ومما يدلّ على أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد علم من قول الإمام عليه السلام أنه متوجّه إلى الشهادة، وأنّ هذا آخر العهد بابن عمّه الإمام الحسين عليه السلام هو أنهما تعانقا وودّع أحدهما الآخر وبكيا جميعاً!

وتقول رواية تأريخية: «فخرج مسلم من مكّة فى النصف من شهر رمضان، حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوّال ..» «۱».

من هو مسلم بن عقيل عليه السلام ..... ص : ۴۶

إنه مسلم بن عقيل بن أبى طالب، من أصحاب علىّ والحسنين عليهما السلام، وقد تزوّج رقيّة «۲» بنت الإمام علىّ عليه السلام، وكان على ميمنة جند أميرالمؤمنين عليه السلام يوم صفين مع الحسن والحسين عليهما السلام وعبداللَّه بن جعفر «۳».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۷

قال الخوئى: «وكيف كان فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة، فقد كان بصفين فى ميمنة أميرالمؤمنين عليه السلام ..» «۱».

وعليه لا يعقل أن يكون عمره الشريف يوم بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة ۲۸ سنة على ما قاله المامقانى «۲»، لأنّ صفين كانت عام ۳۷ للهجرة، ومعناه أن عمره يوم صفين كان أقل من عشر سنين!!.

هذا وقد أخبر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله علياً عليه السلام بأنّ مسلماً عليه السلام سوف يقتل فى محبّة الحسين عليه السلام، فقد روى الصدوق قدس سره فى أماليه: «قال علىّ عليه السلام لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: يارسول اللَّه، إنّك لتحبّ عقيلًا؟ قال: إىواللَّه، إنى لأحبّه حبين: حباً له، وحبّاً لحبّ أبى طالب له، وإنّ ولده لمقتول فى محبّة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّى عليه الملائكة المقرّبون، ثمّ بكى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله حتى جرت دموعه على صدره، ثمّ قال: إلى اللَّه أشكو ما تلقى عترتى من بعدى». «۳»

وكان مسلم عليه السلام مثالًا سامياً فى الأخلاق الإسلامية عامة وفى الشجاعة والجرأة والبأس خاصة، وقد شهدت له ملحمته فى الكوفة بتلك الأخلاقية السامية عامة وتلك الشجاعة خاصة، حتى قال عدوّه محمد بن الأشعث وهو يصفه لابن زياد: «.. أولم تعلم أيها الأمير

أنّك بعثتنى إلى أسد ضرغام وسيف حسام فى كفّ بطل همام من آل خير الأنام ..» «۴».

«ونقل عن بعض كتب المناقب: أنّ مسلم بن عقيل كان مثل الأسد، وكان من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۸

قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمى به فوق البيت» «۱».

وفى بعض كتب المناقب: أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد «۲».

ومن مواقفه الكاشفة عن شجاعته الهاشمية الفذّة موقفه أمام معاوية أيّام حكمه وقد طلب منه ردّ المال وأخذ الأرض، حيث قال له مسلم: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف! «۳».

هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟!: ..... ص : ۴۸

اشارة

روى الطبرى فى تأريخه، والشيخ المفيد قدس سره فى إرشاده أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بعث إلى الإمام الحسين عليه السلام أثناء طريقه إلى الكوفة يطلب منه أن يعفيه من مهمة السفارة إلى أهل الكوفة، فى قصة هى على رواية الطبرى كمايلى:

«فأقبل مسلم حتى أتى المدينة، فصّلى فى مسجد رسول اللّه، وودّع من أحبّ من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به، فضلّا الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى تنتهى الى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً (وفى رواية الإرشاد: ومات الدليلان عطشاً)، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى الى الحسين وذلك بالمضيق من بطن الخُبيت (وفى رواية الإرشاد: بطن الخبت): أمّا بعدُ، فإنّى أقبلت من المدينة معى دليلان لى فجارا عن الطريق وضلّا، واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۴۹

إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيّرتُ من وجهى هذا، فإن رأيت أعفيتنى منه وبعثت غيرى، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

أمّا بعدُ، فقد خشيت ألّا يكون حملك على الكتاب إلىَّ فى الاستعفاء من الوجه الذى وجّهتك له إلا الجبن، فامضِ لوجهك الذى وجهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب (وفى رواية الإرشاد: فلما قرأ مسلم الكتاب قال:) هذا مالستُ أتخوّفه على نفسى ..» «۱».

إنّ من يراجع ترجمة حياة مسلم بن عقيل- على اختصارها فى الكتب- وله معرفة بالعرف العربى آنذاك عامة وبالشمائل الهاشمية خاصة لايتردد فى أنّ هذه القصة مختلقة وأنها من وضع أعداء أهل البيت عليهم السلام لتشويه صورة وسمعة هذا السفير العظيم.

فإنّ مسلماً عليه السلام كان أحد قيادات ميمنة جيش أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، وهو الذى خاطب معاوية وكان آنذاك الطاغية ذا اليد المطلقة فى العالم الإسلامى: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف!، وهو الذى ودّع الإمام الحسين عليه السلام وداع فراق لا لقاء بعده إلّا فى الجنّة بعد أن عرف أنّه متوجّه إلى الشهادة لا محالة من قول الإمام عليه السلام له: وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۰

تُرى هل تخشى الموت نفس مطمئنّة بالسعادة بعده!؟ وهل تتطيّر من لقاء الموت نفس مشتاقة الى لقاء اللّه ولقاء رسوله صلى الله عليه

و آله والأحبّة الماضين من أهل البيت عليهم السلام!؟ وهل فارقت الطمأنينة نفس مسلم عليه السلام لحظة ما!؟ وهذه سيرته فى الكوفة تشهد له بثبات وطمأنينة مستيقن من أمره، لايفوقه فى مستوى ثباته إلّا الإمام المعصوم عليه السلام. وهل يعقل العارف المتأمّل أو يقبل أنّ الإمام الحسين عليه السلام يُرسل فى هذه السفارة الخطيرة من يعتوره جبن أو يتطيّر من وجهته لعارضٍ من المألوف أن يصيب كثيراً من المسافرين فى تلك الأيام!؟ ثمّ هل من الأدب الحسينى أنّ يخاطب الإمام عليه السلام ابن عمّه مسلماً عليه السلام بهذا النوع من الخطاب ويتهمه بالجبن!؟

يقول السيّد المقرّم قدس سره: ..... ص : ۵۰

«فإنّ المتامّل فى صكّ الولاية الذى كتبه سيد الشهداء لمسلم بن عقيل لايفوته الإذعان بما يحمله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش، وأنه لايهاب الموت، وهل يعدو بآل أبى طالب إلّا القتل الذى لهم عادة وكرامتهم من اللّه الشهادة؟ ولو كان مسلم هيّاباً فى الحروب لما أقدم سيد الشهداء على تشريفه بالنيابة الخاصة عن التى يلزمها كلّ ذلك.

فتلك الجملة التى جاء بها الرواة، وسجلها ابن جرير للحطّ من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف واضحة الخلل، كيف وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لايعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجّلها ليشوّه بها مقام شهيد الكوفة كما هى عادته فى رجالات هذا البيت، ولكنّ العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتى سجّلها فى كتابه، مع أنه لم يزل يلهج بالطعن فى أمثالها ويحكم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۱

بأنها من وضع آل الزبير ومن حذا حذوهم» «۱».

ويظهر أنّ السيّد المقرّم يرى صحة أصل الحادثة وموت الدليلين وأنّ مسلم ابن عقيل عليه السلام بعث برسالة الى الإمام عليه السلام وأنّ الإمام عليه السلام قد بعث إليه بجواب، ولكن المضمون الذى ينسب فيه التطيّر والجبن الى مسلم بن عقيل عليه السلام هو من الموضوعات المختلقة التى لا صحة لها «۲».

غير أنّ الشيخ باقر شريف القرشى ينكر أصل الرسالة والجواب ويراهما من الموضوعات حيث يقول:

۱- «إنّ مضيق الخبت الذى بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع مابين مكّة والمدينة حسب مانصّ عليه الحموى (معجم البلدان ۲: ۳۴۳) فى حين أنّ الرواية تنصّ على أنّه استأجر الدليلين من يثرب، وخرجوا إلى العراق فضلّوا عن الطريق وماتا الدليلان، ومن الطبيعى أنّ هذه الحادثة وقعت مابين المدينة والعراق، ولم تقع مابين مكّة والمدينة.

۲- إنّه لو كان هناك مكان يُدعى بهذا الإسم يقع مابين يثرب والعراق لم يذكره الحموى فإنّ السفر منه الى مكّة ذهاباً وإياباً يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيّام، فى حين أنّ سفر مسلم من مكّة الى العراق قد حدّده المؤرّخون فقالوا: إنّه سافر من مكّة فى اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة فى اليوم الخامس من شوّال، فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهى أسرع مدّة يقطعها المسافر

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۲

من مكّة الى المدينة (ثم الى الكوفة) «۱» ... وإذا استثنينا من هذه المدّة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فإنّ مدّة سفره من مكّة إلى الكوفة تكون أقلّ من عشرة أيّام، ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن.

۳- إنّ الإمام اتهم مسلماً- فى رسالته- بالجبن، وهو يناقض توثيقه له من أنه ثقته وكبير أهل بيته، والمبرّز بالفضل عليهم، ومع اتصافه بهذه الصفات كيف يتّهمه بالجبن!؟

۴- إنّ اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول، فإنّه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلها وحده من دون أن يعينه أو يقف إلى جنبه أىّ أحد، وقد أشاع فى تلك الجيوش المكثفة القتل

مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً، ولمّا جيء به أسيراً الى ابن زياد لم يظهر عليه أيّ ذل أو انكسار، ويقول فيه البلاذرى: إنه أشجع بنى عقيل وأرجلهم (أنساب الأشراف ۲: ۸۳۶)، بل هو أشجع هاشمى عرفه التأريخ بعد أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ هذا الحديث من المفتريات الذى وضع للحطّ من قيمة هذا القائد العظيم الذى هو من مفاخر الأمّة العربية والإسلامية»»

.ولـذا فنحن نرجّح رأى القرشـى على رأى المقرّم فى هـذه المسألـة، ونذهب للذى ذهب إليه فى أنّ أصل الرسالة والجواب لا صحة لهما، والشك قوىّ فى أنّ الحادثة أيضاً لا صحة لها.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۳

مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة ..... ص : ۵۳

اشارة

كان الإمام الحسين عليه السلام قد أوصى مسلم بن عقيل عليه السلام- كما مرَّ بنا- أن يكون نزوله فى الكوفة عند أوثق أهلها «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها» «۱»

، ذلـك لأـن من الطبيعى أن تكون انطلاقة عمله السياسى الثورى فى دعوة النـاس الى طاعـة الإمـام عليه السـلام وتعبئتهم للقيام معه، وتخذيلهم عن آل أبى سفيان، من منزل يكون صاحبه من أوثق أهل الكوفة فى الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن كثير فى تأريخه: «فلمّا دخل الكوفة نزل على رجل يُقال له مسلم بن عوسجة الأسدى «۲».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۴

وقيل نزل فى دار المختار بن أبى عبيدالثقفى «۱» ..» «۲».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۵۶

وقال الشيخ المفيد قدس سره: ..... ص : ۵۶

«... ثمّ أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل فى دار المختار بن أبى عبيدة، وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً. فكتب مسلم الى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً، ويأمره بالقدوم ..» «۱».

لكنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بعد قدوم عبيداللّه بن زياد الى الكوفة والياً عليها من قبل يزيد، وحصول التطورات السريعة المتلاحقة التى أدّت إلى ضرورة تحوّل عمل مسلم بن عقيل من حالة العلانية إلى السرّ، اضطرّ الى تغيير مقرّه فتحوّلَ الى دار هانى بن عروة «۲» زعيم مراد وشيخها وهو شريف من أشراف الكوفة ومن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۰

وجوه الشيعة فيها.

رسالة الإمام عليه السلام الى محمد بن الحنفية ومن قِبله من بنى هاشم ..... ص : ۶۰

اشارة

روى ابن عساكر وابن كثير أنّ الإمام عليه السلام بعث الى المدينة (وهو فى مكّة) يستقدم إليه من خفّ من بنى هاشم، فخفَّ إليه جماعة منهم، وتبعهم إليه محمد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۱

ابن الحنفية، ولكنّ الرواية لم تحدّد من هم أفراد هذه الجماعة الهاشمية «۱».

وقال الذهبى: «بعث الحسين عليه السلام الى المدينة، فقدم عليه من خفَّ معه من بنى عبدالمطلب، وهم تسعة عشر رجلًا، ونساء ...» «۲».

ومفاد ذلك أنّ هؤلاء لم يرافقوا الحسين عليه السلام حين خروجه من المدينة بل التحقوا به بعد الدعوة التى حملتها تلك الرسالة إلى المدينة.

لكنّ المصادر التأريخية الشيعية روت أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث من مكّة إلى أخيه محمد بن الحنفية ومن قبله من بنى هاشم فى المدينة رسالة موجزة العبارة عظيمة الدلالة هى من روائع رسائله عليه السلام.

ففى رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتب هذه الرسالة من مكّة ونصّها:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

من الحسين بن علىّ إلى محمّد بن علىّ ومن قبله من بنى هاشم.

أمّا بعدُ: فإنّ من لحق بى استشهد، ومن لم يلحق بى لم يُدرك الفتح والسلام.» «۳»

كما رويت رواية هذه الرسالة بتفاوت يسير عن الإمام الصادق عليه السلام، وظاهرها

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۲

أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتبها بعد خروجه من مكّة «۱».

معنى محتوى الرسالة: ..... ص : ۶۲

قال المجلسى قدس سره فى تعليقة له على هذه الرسالة: «لم يبلغ الفتح أى لم يبلغ ما يتمنّاه من فتوح الدنيا والتمتّع بها، وظاهر هذا الجواب ذمّه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيّرهم فى ذلك فلا إثمَ على من تخلّف». «۲»

فالمجلسى قدس سره فسّر الفتح بالمكاسب والفتوح الدنيوية والتمتّع بها، كما احتمل أن يكون المعنى أنّ الإمام عليه السلام خيّر بنى هاشم فى مسألة الإلتحاق به فلا إثم على من تخلّف عنه ولم يلتحق به!!

لكنّ القرشىّ فسّره بفتح من نوع آخر لم يكن ولا يكون لغير الإمام أبى عبداللَّه الحسين عليه السلام مدى العصور وإلى قيام الساعة، فقال: «لقد أخبر الأسرة النبوية بأنّ من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنه لاينال الفتح، فأى فتح هذا الذى عناه الإمام؟

إنّه الفتح الذى لم يحرزه غيره من قادة العالم وأبطال التأريخ، فقد انتصرت مبادئه وانتصرت قيمه، وتألّقت الدنيا بتضحيته، وأصبح إسمه رمزاً للحق والعدل، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكاً لأمّة دون أمّة ولا لطائفة دون أخرى، وإنّما هى ملك للإنسانية الفذّة فى كلّ زمان ومكان، فأى فتح أعظم من هذا الفتح، وأى نصرٍ أسمى من هذا النصر؟» «۳».

وقد يفسّر هذا الفتح بتفسير آخر، وهو أنّ المراد بهذا الفتح هو التحولات

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۳

والتغيرات الحاسمة لصالح الإسلام الناشئة عن شهادته عليه السلام فى عصره وفى العصور المتعاقبة إلى قيام الطالب بدمه الإمام المهدى عليه السلام الذى يمثل قيامه الفصل الأخير من نهضة جدّه الحسين عليه السلام، والذى يمثّل ظهوره على كلّ الأرض ظهور

الدين المحمدىّ على الدين كلّه وذلك هو الثمرة الأخيرة لنهضة عاشوراء «۱».

ولعلّ المرحوم السيّد المقرّم ذهب إلى بعض أبعاد هذا المعنى بقوله: «كان الحسين عليه السلام يعتقد فى نهضته أنه فاتح منصور لما فى شهادته من إحياء دين رسول اللّه، وإماتة البدعة، وتفظيع أعمال المناوئين، وتفهيم الأمّة أنهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير فى كتابه الى بنى هاشم: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح.

فإنه لم يرد بالفتح إلّا ما يترتّب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهّرة، وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب على الأمّة القيام فى وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبيداللّه لمّا قال له حين رجوعه إلى المدينة: من الغالب!؟ فقال السجّاد عليه السلام:

إذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم تعرف الغالب! «۲»

فإنه يشير إلى تحقق الغاية التى ضحّى سيد الشهداء نفسه القدسية لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور اللّه، وما أراده أبوه من نقض مساعى الرسول صلى الله عليه و آله، وإماتة الشهادة له بالرسالة بعد أن كان الواجب على الأمّة فى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۴

الأوقات الخمس الإعلان بالشهادة لنبىّ الإسلام ...» «۱».

وقد راجعنا موارد كلمة الفتح فى القرآن الكريم فوجدناها إثنى عشر هى:

۱- «فإن كان لكم فتح من اللّه قالوا ألم نكن معكم ...». «۲»

۲- «فعسى اللّه أن يأتى بالفتح أو أمرٍ من عنده ...». «۳»

۳- «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح). «۴»

۴- «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». «۵»

۵- «قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم». «۶»

۶- «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً». «۷»

۷- «فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً».

۸- «فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً». «۹»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۵

۹- «فافتح بينى وبينهم فتحاً ونجنى ومن معى من المؤمنين». «۱»

۱۰- «لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ...». «۲»

۱۱- «وأخرى تحبّونها نصر من اللّه وفتح قريب». «۳»

۱۲- «إذا جاء نصر اللّه والفتح». «۴»

ومعنى الفتح فى هذه الموارد: إمّا فتح مكّة، أو فتح بلاد المشركين، أو فتح اللّه لمحمّد صلى الله عليه و آله على جميع خلقه، أو بمعنى نصر محمّد صلى الله عليه و آله، أو النصر بمحمد صلى الله عليه و آله، أو بمعنى القضاء والحكم، أو القضاء بعذاب المشركين فى الدنيا، أو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة «۵».

وورد فى تفسير القمى فى (وأخرى تحبّونها نصر من اللّه وفتح قريب): يعنى فى الدنيا بفتح القائم، وأيضاً قال: فتح مكّة «۶».

وورد فى كتاب تأويل الآيات عن الإمام الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون» «۷» أنه قال:

«يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم، لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان مالم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذى ينفعه إيمانه، ويعظم عند اللَّه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۶

قدره وشأنه، وتزخرف له يوم البعث جنانه، وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين وذرّيته الطيبين صلوات اللَّه عليهم أجمعين» «۱».

والمتأمل يجد أنّ الفتح فى رسالة الإمام الحسين عليه السلام بأىّ معنىً كان من معانيه القرآنية لاينسجم مع ماذهب إليه العلامة المجلسى قدس سره فى أنّ المراد به فى هذه الرسالة هو ما يُتمنّى من فتوح الدنيا والتمتّع بها!.

رسالة أخرى من الإمام الحسين عليه السلام ..... ص : ۶۶

روى صاحب الفتوح أنّ يزيد بن معاوية كتب من الشام كتاباً إلى أهل المدينة من قريش وبنى هاشم، وأرفق مع كتابه أبياتاً من الشعر يخاطب فيها الإمام الحسين عليه السلام أساساً، ويفهم من سياق رواية ابن أعثم الكوفى أنّ الرسالة وصلت إلى المدينة والإمام عليه السلام فى مكّة، كما يقوّى هذا الظن قول ابن أعثم بعد ذكره الأبيات الشعرية: «فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات ثم وجّهوا بها وبالكتاب إلى الحسين ابن علىّ عليهما السلام».

والأبيات هى:

«ياأيها الراكب الغادى لطيّته على عذافرة فى سيره «۲»

قحمُ

أبلغ قريشاً على نأى المزار بها بينى وبين الحسين اللَّهُ والرحمُ

وموقف بفناء البيت ينشده عهد الإله وما توفى به الذممُ

غنيتم قومكم فخراً بأمِّكمُ أمٌّ لعمرى حصان برّة كرمُ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۷

هى التى لايُدانى فضلها أحدٌ بنت الرسول وخير الناس قد علموا

وفضلها لكم فضلٌ وغيركم من يومكم لهم فى فضلها قسمُ

إنى لأعلم حقاً غير ما كذبٍ والطرف يصدقُ أحياناً ويقتصمُ

أن سوف يُدرككم ما تدّعون بها قتلى تهاداكم العُقبان والرخمُ

ياقومنا لاتشبّوا الحرب إذ سكنتْ تمسّكوا بحبال الخير واعتصموا

قد غرّت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأممُ

فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فرُبّ ذى بذخ زلّت به قدم» «۱»

وتقول الرواية أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا نظر فى الكتاب علم أنه كتاب يزيد ابن معاوية، فكتب عليه السلام الجواب:

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم «وإنْ كذّبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا برىء مما تعملون» «۲». والسّلام» «۳».

ومن ظاهر هذه الرواية لايمكن القطع بأنّ الإمام كتب الجواب ليزيد أو أرسله إليه وإن كان المخاطَب فيها هو يزيد، إذ قد يكون الإمام عليه السلام بعث بالجواب إلى أهل المدينة الذين وجّهوا بالكتاب وبالأبيات إليه، ثم هم بعد ذلك يوصلونه أو ينقلون محتوى الجواب إلى يزيد.

ولم تـذكر هـذه الروايـة من هم أهل المدينـة من قريش وبنى هاشم الـذين أرسل إليهم يزيد الكتاب، لكن ابن عساكر قال: كتبه يزيد إلى عبداللَّه بن العباس، وذكر

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۸

الأبيات الشعرية بتفاوت «۱».

والمتأمّل فى أبيات يزيد وفى جواب الإمام عليه السـلام يرى سـنن اللَّه تكرر نفسها فى المواجهات بين الربانيين والطواغيت، فهذا يزيد بمنطق الطاغوت فى أبياته يهدّد الإمام عليه السلام بالإضطهاد والقتل فى الدنيا! وذلك قصارى ما يستطيعه الطغاة.

أمّا الإمام عليه السـلام فبمنطق الرَّبانيّين فيصـرّح بانفصام الآصـرة بين عمل المهتـدين وعمل الضالين وبالبراءة بينهم، تصـريحاً يسـتبطن التهديد بالجزاء الأخروى وبعذاب اللَّه الذى لافتور فيه ولا انقطاع.

وفى متن الجواب ازدراء كامل بيزيد إذ لم يذكر الإمام عليه السـلام اسـمه ولم يلقّبه بلقب، ولم يسـلّم عليه، مما يُفهم منه أنّ يزيد لعنه اللَّه مصداق تام للمكذّب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام.

إرساله عليه السلام قيس بن مسهّر إلى الكوفة مرّة ثانية ..... ص : ۶۸

اشارة

يظهر من النصوص التأريخية أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث قيس بن مسهّر الصيداوى إلى الكوفة مرّتين، إذ كان قد بعثه فى المرّة الأولى مع مسـلم بن عقيل عليه السلام فدخل الكوفة «۲»، ثم بعثه مسـلم عليه السلام سفيراً عنه إلى الإمام الحسين عليه السلام، ثم بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة مرّة ثانية ليستعلم خبر مسلم بن عقيل عليه السلام، فاعتقل فى الطريق وجرى عليه ماجرى.

ففى التذكرة: «ثم دعا مسلم بن عقيل فبعثه مع قيس بن مسهّر الصيداوى ...» «۳».

وفيها أيضاً: «كان الحسين عليه السلام قد بعث قيس بن مسهّر إلى مسلم بن عقيل ليستعلم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۶۹

خبره قبل أن يصل إليه، فأخذه ابن زياد وقال له: قم فى الناس واشتم الكذّاب ابن الكذّاب، يعنى الحسين عليه السلام!

فقام على المنبر وقال: أيّها الناس، إنّى تركت الحسين بالحاجز، وأنا رسوله إليكم لتنصروه، فلعن اللَّه الكذّاب بن الكذّاب ابن زياد.

فطرح من القصر فمات» «۱».

من هو قيس بن مسهّر الصيداوى؟ ..... ص : ۶۹

لم نعثر على ترجمـة وافيـة لهـذا البطـل الفـذّ رغم التتبع والإسـتقصاء! فجميع من ترجموا له اكتفوا بأنه حمل كتاباً من أهل الكوفـة إلى الإمـام الحسـين عليه السـلام، وأنه رجع مع مسـلم إلى الكوفـة، ثمّ إنّه حمـل كتابـاً من مسـلم إلى الإمام عليهما السـلام فى الطريق إلى الكوفـة، ثم إنه حمـل كتاباً من الإمام عليه السـلام إلى أهل الكوفـة، وتعرّض أثناء الطريق إليها إلى الإعتقال فى القادسـيـة، ثمّ كان منه ذلك الموقف الصلب الذى عبّر عن شجاعته وولائه وعظمته.

إنّه: «قيس بن مُسَهَّر بن خالد بن جندب ... الأسدىّ الصـيداوى، وصـيدا بطن من أسد. كان قيس رجلًا شـريفاً فى بنى الصـيدا شـجاعاً مخلصاً فى محبّة أهل البيت عليهم السلام.

قال أبو مخنف: اجتمعت الشيعة بعد موت معاوية فى منزل سليمان بن صرد الخزاعى، فكتبوا للحسين بن على عليهما السلام كتباً يدعونه فيها للبيعة، وسرّحوها إليه مع عبداللَّه بن سبع وعبداللَّه بن وال، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع قيس بن مسهّر الصيداوى وعبدالرحمن بن عبداللَّه الأرحبى، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع سعيد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۰

بن عبداللَّه وهانى بن هانى ...

فدعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل وأرسله إلى الكوفة، وأرسل معه قيس بن مسهّر وعبدالرحمن الأرحبى، فلما وصلوا إلى المضيق من بطن خبت كما قدّمنا جار دليلاهم فضلّوا وعطشوا، ثم سقطوا على الأرض، فبعث مسلم قيساً بكتاب إلى الحسين عليه السلام يخبره بما كان، فلمّا وصل قيس إلى الحسين بالكتاب أعاد الجواب لمسلم مع قيس وسار معه إلى الكوفة «۱». قال: ولمّا رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة فى الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرّح الكتاب مع قيس وأصحبه عابس الشاكرى وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكّة ولازموه، ثمّ جاءوا معه.

قال أبو مخنف: ثمّ إنّ الحسين لما وصل إلى الحاجر من بطن الرمّة كتب كتاباً إلى مسلم وإلى الشيعة بالكوفة وبعثه مع قيس، فقبض عليه الحصين بن تميم، وكان ذلك بعد قتل مسلم، وكان عبيداللَّه نظّم الخيل ما بين خفّان إلى القادسيّة وإلى القطقطانة «۲» والى لعلع «۳» وجعل عليها الحصين، وكانت صورة الكتاب:

«من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم. فإنى أحمد إليكم اللَّه الذى لا إله إلّا هو. أمّا بعدُ: فإنّ كتاب مسلم جاءنى يخبرنى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۱

فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألت اللَّه أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أحسن الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التروية، فإذا قدم رسولى عليكم فانكمشوا فى أمركم وجدّوا، فإنى قادم عليكم فى أيامى هذه إن شاء اللَّه، والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته».

قال: فلمّا قبض الحصين على قيس بعث به إلى عبيداللَّه، فسأله عبيداللَّه عن الكتاب، فقال: خرقته.

قال: ولمَ!؟

قال: لئلا تعلم مافيه.

قال: إلى من؟

قال: إلى قوم لا أعرف أسماءهم.

قال: إنْ لم تخبرنى فاصعد المنبر وسبّ الكذّاب بن الكذّاب يعنى به الحسين عليه السلام.

فصعد المنبر فقال:

أيّها الناس، إنّ الحسين بن علىّ خير خلق اللَّه، وابن فاطمة بنت رسول اللَّه، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر، فأجيبوه.

ثمّ لعن عبيداللَّه بن زياد وأباه، وصلّى على أميرالمؤمنين، فأمر به ابن زياد، فأُصعد القصر، ورمى به من أعلاه، فتقطّع ومات.

وقال الطبرى: لمّا بلغ الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات فى ممانعة الحرّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۲

جاءه أربعة نفر ومعهم دليلهم الطرمّاح «۱» بن عدىّ الطّائى، وهم يجنبون فرس نافع المرادى، فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وعن رسوله، فأجابوه عن الناس، وقالوا له: رسولك من هو؟

قال: قيس!

فقال مجمع العائذى:

أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعنك وأباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعانا إلى نصرتك، وأخبرنا بقدومك، فأمر به ابن زياد فأُلقى من طمار القصر، فمات رضى اللّه عنه.

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام وقال:

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، اللّهمَّ اجعل لنا ولهم الجنّة منزلًا، واجمع بيننا وبينهم فى مستقرّ رحمتك ورغائب مذخور ثوابك» «۲».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۳

فهو رضوان اللّه تعالى عليه من شهداء الثورة الحسينيّة فى الكوفة وليس من شهداء الطف، لكنّه شريكهم فى الأجر والشرف، ولذا خُصَّ بالسلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة والرجبية «۱».

وليس صحيحاً ما ورد فى المناقب أنّه كان حاملًا رسالة الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء إلى سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شدّاد وعبداللّه بن وال وآخرين، وذلك لأنّ قيساً قتل قبل ورود الإمام عليه السلام كربلاء «۲».

نعم، لقد كان قيس بن مسهّر رضوان اللّه تعالى عليه رسولًا أساسياً بين مكّة والكوفة أو على وجه الدقّة بين الإمام الحسين ومسلم عليهما السلام، فقد بعثه الإمام عليه السلام مع مسلم فى النصف من شهر رمضان، وعلى فرض صحة أصل وقوع حادثة المضيق من بطن الخبت فقد أرسله مسلم إلى الإمام عليه السلام، ثم حمل جواب الإمام عليه السلام إلى مسلم. ثم «لمّا رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة فى الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرّح الكتاب مع قيس وأصحبه عابساً الشاكرى وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكّة ولازموه، ثمّ جاؤوا معه» «۳»، ثم بعثه الإمام عليه السلام من بطن الرمّة فى الثامن من ذى الحجّة أو بعده.

رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام ..... ص : ۷۳

روى الطبرى أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد كتب إلى الإمام عليه السلام من الكوفة قبل أن يُقتَل لسبع وعشرين ليلة:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۴

«أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لايكذب أهله، إنّ جمعَ أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابى، والسلام عليك» «۱».

وفى رواية ابن نما:

«أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعنى منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابى، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاتُه» «۲».

وفى رواية الدينورى:

«... فأقدم، فإنّ جميع الناس معك، ولا رأى لهم فى آل أبى‌سفيان» «۳».

وتقول الرواية التأريخية أنّ قيس بن مسهّر الصيداوى حمل هذه الرسالة الى الإمام عليه السلام فى مكّة، وأصحبه مسلم عابسَ الشاكرى وشوذباً مولاه «۴».

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام قد علّق عزمه فى التوجّه الى الكوفة على تقرير مسلم عن حال أهل الكوفة، وقد صرّح عليه السلام لأهل الكوفة فى رسالته الأولى إليهم بذلك حيث قال:

«... فإن كتب إلىَّ أنه قد اجتمع رأى ملأكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۵

شاء اللَّه ...». «۱»

وعلى ضوء رسالة مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجّه إلى الكوفة، وكتب رسالته الثانية إلى أهلها «۲» فى الحاجر من بطن الرمّة «۳»، وحملها قيس ابن مسهّر إلى الكوفة، لكنه قبض عليه أثناء هذه السفارة فى الطريق، فمزّق الرسالة كى لا تقع فى أيدى الأعداء.

خُطَبُ الإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة ..... ص : ۷۵

اشارة

من المؤسف أنّ التأريخ لم يسجّل لنا طيلة مكث الإمام عليه السلام فى مكّة المكرمة إلا خطبته المشهورة التى ورد فيها قوله عليه السلام خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وهى الخطبة التى خطبها قبل خروجه من مكّة، وخطبة أخرى قصيرة تضمّنت باقة من قصار الحكم!!

ويصعب على المتأمل أن يقتنع بأنّ الإمام عليه السلام طيلة ما يقارب مائة وخمسة وعشرين يوماً فى مكّة وفى أيّام موسم الحجّ آنذاك لم يخطب فى محافل مكّة إلّا هاتين الخطبتين، مع ما حدّثنا به التأريخ أنّ الناس كانوا يجتمعون إليه ويلتفون حوله، ويأخذون عنه، ويضبطون ما يسمعونه منه!

فهل يُعقل أنّ الإمام عليه السلام لم يستثمر تلك الأجواء الدينية القدسية فى بيت اللَّه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۶

الحرام للتبليغ بالحقّ والتعريف به وبنهضته المقدّسة!؟

إنها ثغرة من ثغرات التأريخ المبهمة، وعثرة من عثراته المؤلمة!

الخطبة الأولى ..... ص : ۷۶

اشارة

قال المحقّق المتتبع الشيخ السماوى قدس سره: «ولمّا جاء كتاب مسلم الى الحسين عزم على الخروج، فجمع أصحابه فى الليلة الثامنة من ذى الحجّة فخطبهم ..» «۱».

غير أنّ السيد ابن طاووس قدس سره لم يذكر أنه خطبها فى أصحابه، بل قال: «ورُوى أنه عليه السلام لمّا عزم على الخروج الى العراق قام خطيباً ...» «۲».

وقال ابن نما قدس سره: «ثم قام خطيباً ...» «۳».

وقد يستفاد من نص ابن طاووس وابن نما أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة فى الناس فى مكة لا فى خصوص أصحابه.

والخطبة هى:

«الحمد للَّه، ما شاء اللَّه، ولا قوّة إلّا باللَّه، وصلى اللَّه على رسوله، خُطّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف، وخِيرَ لى مصرع أنا لاقيه، كأنى بأوصالى تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن منّى أكرُشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى اللَّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين، لن

تشذّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لحمته، وهى مجموعة له فى حظيرة القدس، تقرُّبهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلًا فينا مهجته

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۷

وموطّناً على لقاء اللَّه نفسه فليرحل معنا فإننى راحل مصبحاً إن شاء اللَّه تعالى» «۱».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۸

ملاحظات مستفادة من هذه الخطبة الشريفة: ..... ص : ۷۸

۱- شبّه الإمام عليه السلام حتمية عدم انفلات الإنسان من طوق قهرية الموت بعدم انفلات عنق الفتاة من طوق القلاد المحكم، وتشبيه الموت بالقلادة على جيد الفتاة وهى زينة لها إلفاتة رائعة إلى أنّ الموت خطوة تكاملية فى مسار حركة الإنسان التكوينية، وهو زينة للمؤمن خاصة فى مسار حركة المصير لكونه معبراً للمؤمن من دار العناء والتزاحم والإبتلاء والشدائد الى دار النعيم والجزاء الأوفى والسعادة الأبدية، ولاشك أنّ الشهادة وهى أفضل وأشرف الموت أحرى بحقيقة الزينة من مطلق الموت، ولا يؤتاها إلا ذو حظّ عظيم.

۲- فى قوله عليه السلام: «خِيرَ لى مصرع أنا لاقيه» إشارة إلى أنّ هذا المصرع اختيار إلهى لا على نحو القهر والجبر طبعاً، بل على نحو التشريف بكرامة التكليف فى الظروف الصعبة الخاصة المؤدية إلى أنْ يتحرّك الإمام عليه السلام نحو هذا المصرع تعبّداً وامتثالًا لأمر اللَّه تعالى فى آداء هذا التكليف فى مثل تلك الظروف.

كما أنّ فى قوله هذا إشارة إلى علمه بمصيره ومآل أمره.

۳- فى قوله عليه السلام: «لامحيص عن يوم خُطّ بالقلم» إشارة جليّة إلى حتمية وقوع هذا المصرع، وتحقّق ذلك المصير قضاء من اللَّه تعالى، لا على نحو القهر والجبر كذلك، بل على نحو أنّ حركة الأحداث فى علم اللَّه تبارك وتعالى ستؤول فى النهاية بمشيئة اللَّه تعالى إلى تحقّق هذا المصرع وبالكيفية التى وقع بها.

۴- فى هذه الخطبة ركّز الإمام عليه السلام على أن مصيره فى التوجه إلى العراق هو القتل، واشار إلى بشاعة القتلة بأنّ أوصاله تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۷۹

وكربلاء، ولعلّ فى قوله عليه السلام بين النواويس وكربلاء إشارة إلى امتداد الجيش الأموى وكثافته الشديدة على امتداد مابين هاتين المنطقتين ..

وشرط على من يلتحق به أن يكون باذلًا فى موالاة أهل البيت عليهم السلام مهجته، وموطّناً على لقاء اللَّه نفسه، أى لا مصير إلّا القتل والصبر على السيوف والأسنّة!

فماذا اراد الإمام عليه السلام من وراء ذلك .. ولماذا!؟

إنّ القائد الربانى فى حركته نحو تحقيق أهدافه يسعى كغيره من القادة إلى تهيأة العدّة والعدد ويتوسّل الى ذلك بالأسباب الظاهرة المألوفة، ولكنه يختلف عن القادة الساعين الى تحقيق النصر الظاهرى فقط فى انّه لا- يبتغى الأعوان كيفما كانوا، بل القائد الربّانى يبتغى أعواناً ربّانين من نوعه، هدفهم الأساس فى كلّ ما هم ساعون إليه مرضاة الربّ تبارك وتعالى، أعواناً هادين مهديين، مصرّين على المضىّ فى طريق ذات الشوكة مع علمهم بمصيرهم، ومن أولئك تتشكّل العدّة الحقيقية للقائد الربّانى التى يرسم بحسبها خطّة الفعل ونوع المواجهة، فهو لا- يعتمد فى رسم خطط ونوع المواجهة على كلّ من التحق به، وكثير منهم الطامعون وأهل الريبة والعصيان، فلابد من تمحيصهم، ولابدّ من تنقية الركب الحسينىّ من كلّ أولئك قبل الوصول الى ساحة المواجهة، ولذا كان لابدّ من أن يختبر حقيقة النيّات والعزائم بالإعلام والتأكيد على أنّ المصير هو القتل والصبر على السيوف والأسنة، وأنّ ذلك لا يقوى عليه إلّا

باذل فى حقيقة الموالاة مهجته، موطّن على لقاء اللَّه نفسه!!

وهذا الإختبار من سنن منهج القيادة الربانيّة، وقد حدّثنا القرآن الحكيم عن هذه السنّة فى اختبار النهر على يد طالوت عليه السلام:

«فلمّا فصل طالوت بالجنود قال إنّ اللَّه مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۰

منى، ومن لم يطعمه فإنه منى، إلّا من اغترف غرفة بيده، فشربوا منه إلّا قليلًا منهم، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنّون أنهم ملاقوا اللَّه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن اللَّه واللَّه مع الصابرين» «۱».

يُضاف الى ذلك أنّ القائد الربّانى حينما يُطلع أنصاره على ما سوف يلقى ويلقونه من مصير وما سوف يواجهونه من شدائد ومكاره يكون بذلك قد فتح لهم باب علّو الدرجة وسمّو المنزلة والمثوبة العليا عند اللَّه تبارك وتعالى فى حال إصرارهم على المضىّ على طريق الجهاد فى سبيل اللَّه.

والمتأمل فى تفاصيل حركة الإمام الحسين عليه السلام يرى أنّ الإمام عليه السلام كان قد دأب على الإخبار بمصرعه منذ أن كان فى المدينة، وفى الطريق الى مكة، وفى مكّة، وفى منازل الطريق منها الى العراق، مغربلًا بذلك الركب الحسينى من جميع من أرادوا الدنيا من وراء الإلتحاق به، ولم يكتف بذلك بل عرّض حتى الصفوة الخالصة من أنصاره لهذا الاختبار، لتعلو بثباتهم درجاتهم الرفيعة عند اللَّه تبارك وتعالى، وهكذا كان، حتى رأوا منازلهم فى الجنّة عياناً تلكم العشيّة، ثمّ فى الغد الرهيب نراه عليه السلام قد رسم خطّته الحربية على أساس قوّته الحقيقية المؤلّفة من تلكم الصفوة القليلة الخالصة من كل شائبة!

۵- فى قوله عليه السلام: «لن تشذّ عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لُحمته، وهى مجموعة له فى حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده ...» إشارة إلى أنّ مسار أهل البيت عليهم السلام امتداد لمسار رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وهم معه فى درجته ومنزلته، وتقرّ عين الرسول صلى الله عليه و آله بما

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۱

جعل اللَّه لهم وخصّهم به من كرامة الدنيا والآخرة «۱». ولعل فى قوله عليه السلام «وينجز بهم وعده» إشارة إلى أنّ الوعد الإلهى بإظهار دين اللَّه على الدين كلّه على كلّ الأرض سيتحقق فى النهاية على يد رجل من أبناء رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ومن أبناء الحسين عليه السلام هو الإمام المهدى المنتظر عليه السلام «۲».

الخطبة الثانية ..... ص: ۸۱

إنّ التأمّل فى محتوى الخطبة الثانية وعدم ارتباط مضامينها بمضامين الخطبة الأولى يقوّى الظنّ فى أنّ مناسبة الخطبة الثانية بعيدة عن مناسبة الخطبة الأولى زماناً ومكاناً، غير أن الحائرى صاحب كتاب معالى السبطين أورد الخطبة الأولى نقلًا عن اللهوف لابن طاووس، ثمّ قال بعدها: «وخطب بعدها هذه الخطبة ...» وأورد الخطبة الثانية، علماً بأنّ اللهوف لم يحتو لا على هذه الإشارة ولا على الخطبة الثانية نفسها! واللَّه العالم عن أىّ مصدر أخذ صاحب معالى السبطين هذه الخطبة وتلكم الإشارة.

ونحن نورد هذه الخطبة هنا بعد الخطبة الأولى، لأنّ هذا الفصل يختصّ بكلّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۲

ما يرتبط بحركة الإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة، ولأنّ من المحتمل أن يكون الإمام عليه السلام قد اشار عقيب الخطبة الأولى بالإشارات الأخلاقية التى تضمنتها مقاطع الحكم القصار التى احتوتها الخطبة الثانية.

والخطبة الثانية هى:

«إنّ الحلم زينة، والوفاء مروّة، والصلة نعمة، والإستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلوّ ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ، ومجالسة أهل الفسق ريبة» «۱».

يوم الخروج من مكّة المكرّمة ..... ص : ۸۲

روى الشيخ المفيد قدس سره، وكذلك الطبرى روى عن أبى مخنف أنّ يوم خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة متجهاً الى العراق كان يوم الثامن من ذى الحجّة: «ثمّ خرج منها لثمان مضين من ذى الحجّة، يوم الثلاثاء، يوم التروية، فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عقيل» «۲»، وهذا هو المشهور.

لكنّ المزّى وابن عساكر ذكرا أنّ خروجه عليه السلام من مكّة كان فى يوم الإثنين فى العاشر من ذى الحجّة سنة ستين: «فخرج متوجهاً إلى العراق فى أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة، وذلك يوم الإثنين فى عشر من ذى الحجّة سنة ستين» «۳».

لكنّ السيّد ابن طاووس قدس سره قال: «كان قد توجّه الحسين عليه السلام من مكّة يوم

الثلاثاء لثلاث مضين من ذى الحجّة» «۱».

وأمّا سبط ابن الجوزى فقد قال فى تذكرة الخواص: «وأمّا الحسين عليه السلام فإنه خرج من مكّة سابع ذى الحجّة سنة ستين ...» «۲».

ولا يخفى أنّ المشهور هو الصحيح والقول الفصل لأنه ورد عن لسان الإمام عليه السلام نفسه فى رسالته الثانية إلى أهل الكوفة، حيث قال فيها:

«... وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجّة يوم التروية ...» «۳».

وروى ابن كثير فى تاريخه عن الزبير بن بكّار عن محمد بن الضحاك أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج من مكّة الى الكوفة مرّ بباب المسجد الحرام وقال:

لا ذعرتُ السوام فى فلق الصبح مغيراً ولا دُعيت يزيدا

يوم أُعطى مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدننى أن أحيدا» «۴»

لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحج؟ ..... ص : ۸۳

اشارة

فى حركة أحداث النهضة الحسينية هناك مجموعة من الوقائع ملفتة للإنتباه

ومثيرة للإستغراب وداعية إلى التساؤل عن العلّة من ورائها، ومن أبرز هذه الوقائع خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة فى يوم التروية، وللمؤرّخين والمحققين والفقهاء تعاليق وآراء فى صدد هذه الواقعة نورد منها هنا ثلاثة أقوال، أحدها للعلّامة المجلسىّ (ره) والثانى للشيخ التسترى (ره) والثالث للسيّد المرتضى (ره)، ولنا بينها رأى وإيضاح:

تعليقة العلّامة المجلسى قدس سره ..... ص : ۸۵

قال العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: «قد مضى فى كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار كثيرة دالّة على أنّ كلًّا منهم عليهم السلام كان مأموراً بأمور خاصة مكتوبة فى الصحف السماوية النازلة على الرسول صلى الله عليه و آله فهم كانوا يعملون بها. ولاينبغى قياس الأحكام المتعلّقة بهم على أحكامنا، وبعد الاطّلاع على أحوال الانبياء عليهم السلام، وانّ كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف من الكفرة، .....

ويدعونهم الى دينهم، ولايبالون بماينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والإلقاء فى النار وغير ذلك.

لاـينبغى الاـعتراض على أئمّـة الـدين فى أمثال ذلـك، مع أنه مع ثبوت عصـمتهم بـالبراهين والنصوص المتواترة لاـ مجال للإعتراض عليهم، بل يجب التسليم لهم فى كلّ ما يصدر عنهم.

على أنّك لو تأملت حقّ التأمّل علمت أنه عليه السلام فدى نفسه المقدسّة دين جده، ولم يتزلزل أركان دولة بنى أميّة إلّا بعد شهادته، ولم يظهر للناس كفرهم وضلالتهم إلّا عند فوزه بسعادته. ولوكان عليه السلام يسالمهم ويوادعهم كان يقوى سلطانهم، ويشتبه على الناس أمرهم، فتعود بعد حين أعلام الدين طامسة، وآثار الهداية مندرسة، مع أنه قد ظهر لك من الاخبار السابقة أنه عليه السلام هرب من المدينة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۶

خوفاً من القتل الى مكّة، وكذا خرج من مكّة بعدما غلب على ظنّة أنهم يريدون غيلته وقتله، حتّى لم يتيسّر له- فداه نفسى وأبى وأمى وولدى- أن يتمّ حجّه، «۱» فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كانوا لعنهم اللّه ضيّقوا عليه جميع الأقطار، ولم يتركوا له موضعاً للفرار.

ولقد رأيت فى بعض الكتب المعتبرة أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر عظيم، وولّاه أمر الموسم، وأمّره على الحاجّ كلهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة، ثمّ إنه دسَّ مع الحاجّ فى تلك السنة ثلاثين رجلًا من شياطين بنى أميّة، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أى حال اتفق، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة. «۲»

وقد روى بأسانيد أنّه لمّا منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج الى الكوفة قال:

واللّه ياأخى لو كنت فى حُجر هامة من هوامّ الأرض لاستخرجونى منه حتى يقتلونى! «۳»

بل الظاهر أنّه صلوات اللّه عليه لو كان يسالمهم ويبايعهم لايتركونه لشدّة عداوتهم وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكلّ حيلة، ويدفعونه بكلّ وسيلة، وإنّما كانوا يعرضون البيعة عليه أوّلًا لعلمهم بأنّه لا يوافقهم فى ذلك، ألا ترى إلى مروان لعنه اللّه كيف كان يشير على والى المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان عبيداللّه بن زياد عليه لعائن اللّه إلى يوم التنادِ يقول: إعرضوا عليه فلينزل على

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۷

أمرنا ثمّ نرى فيه رأينا، ألا ترى كيف أمّنوا مسلماً ثم قتلوه!!

فأمّا معاوية لعنه اللّه فإنه مع شدّة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم، وكان يعلم أنّ قتلهم علانية يوجب رجوع الناس عنه وذهاب ملكه وخروج الناس عليه، فكان يداريهم ظاهراً على أىّ حال، ولذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرّض له الحسين، ولذلك كان يوصى ولده اللعين بعدم التعرّض للحسين عليه السلام لأنه كان يعلم أنّ ذلك يصير سبباً لذهاب دولته ...» «۱».

تعليل الشيخ جعفر التسترى قدس سره ..... ص : ۸۷

اشارة

وللشيخ التسترى كلام عميق فى تفسير سرّ إصدار الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكّة أيّام الحجّ والخروج الى العراق، يقول قدس سره:

«كان للحسين عليه السلام تكليفان واقعى وظاهرى:

أمّا الواقعىّ ..... ص : ۸۷

الذى دعاه للإقدام على الموت، وتعريض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك، فالوجه فيه أنّ عتاة بنى أميّة قد اعتقدوا أنهم على الحق وأنّ علياً وأولاده وشيعتهم على الباطل «۲» حتى جعلوا سبّه من أجزاء صلاة الجمعة، وبلغ الحال ببعضهم أنّه نسى اللعن فى خطبة الجمعة فذكره وهو فى السفر فقضاه! وبنوا مسجداً سمّوه «مسجد الذكر»، فلو بايع الحسين عليه السلام يزيد وسلّم الأمر إليه لم يبق من الحقّ أثر، فإنّ كثيراً من الناس يعتقد بأنّ المحالفة لبنى أميّة دليل استصواب رأيهم وحسن سيرتهم، وأمّا بعد محاربة الحسين عليه السلام لهم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۸

وتعريض نفسه المقدّسة وعياله وأطفاله للفوادح التى جرت عليهم فقد تبين لأهل زمانه والأجيال المتعاقبة أحقيّته بالأمر وضلال من بغى عليه.

وأمّا التكليف الظاهرى ..... ص : ۸۸

فلأنه عليه السلام سعى فى حفظ نفسه وعياله بكلّ وجه فلم يتيسّر له، وقد ضيّقوا عليه الأقطار حتى كتب يزيد إلى عامله على المدينة أن يقتله فيها، فخرج منها خائفاً يترقّب، فلاذ بحرم اللّه الذى هو أمن الخائف وكهف المستجير، فجدّوا فى إلقاء القبض عليه أو قتله غيلة ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة، فالتزم بأن يجعل إحرامه عمرة مفردة وترك التمتع بالحجّ، فتوجّه إلى الكوفة لأنهم كاتبوه وبايعوه وأكّدوا المصير إليهم لإنقاذهم من شرور الأمويين، فألزمه التكليف بحسب الظاهر الى موافقتهم إتماماً للحجّة عليهم لئلا يعتذروا يوم الحساب بأنّهم لجأوا إليه واستغاثوا به من ظلم الجائرين فاتهمهم بالشقاق ولم يُغثهم، مع أنه لو لم يرجع إليهم فإلى أين يتوجّه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهو معنى قوله لابن الحنفية: لو دخلتُ فى حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقتلونى!» «۱».

تمام الحق فى القول ... . ص : ۸۸

وأقول: لاشك فى دقّة جلّ المضامين التى طرحها الشيخ التسترى أعلى اللّه مقامه، خصوصاً فى الإلفات إلى أنّ للإمام عليه السلام تكليفين أحدهما ظاهرى وآخر واقعى هما فى طول بعضهما ولا تنافى بينهما، وقد أجاد قدس سره فى تفصيل هذه الإلتفاتة التى هى من جديد ما قدّمه الشيخ التسترى فى وقته، لكنّ لنا تحفّظاً على قوله قدس سره: «مع أنه لو لم يرجع إليهم- أى إلى أهل الكوفة- فإلى أين يتوجّه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ...» ذلك لأنّ هناك أكثر من رواية تأريخية تفيد أنه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۸۹

كان بإمكانه عليه السلام أن يتوجّه إلى اليمن مثلًا ومناطق أخرى غيرها، فهذا محمّد بن الحنفيه يقول له:

«تخرج إلى مكة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدّك وأبيك، وهم

أرأف الناس وأرقّهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنت بك الدار وإلا بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد الى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم اللَّه بيننا وبين القوم الفاسقين» «۱».

وهذا الطرمّاح يقول له:

«فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك اللَّه به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى يُدعى (أجأ)، فأسير معك حتى أُنزلك (القُرَيّة)». «۲»

وفى نصّ آخر:

«فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل (أجأ) فإنه جبل منيع، واللَّه ما نالنا فيه ذلٌ قطّ، وعشيرتى يرون جميعاً نصرك، فهم يمنعونك ما أقمت فيهم». «۳»

إذن فالحقّ فى هذه النقطة ليس كما ذهب إليه الشيخ التسترى قدس سره فى أنه عليه السلام لم يكن له ملجأ يتوجّه إليه من مكّة إلا الكوفة.

ولعلّ الصواب فى هذه المسألة إضافة إلى ما تفضّل به العلامة المجلسى قدس سره

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۰

والشيخ التسترى قدس سره هو: أنّ الإمام عليه السلام أراد أن (ينجو) من أن يُقتل فى المدينة أو فى مكّة خاصة، قتلة يُقضى بها على ثورته فى مهدها، وتهتك بها حرمة البيت:

«ياأخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية فى الحرم فأكون الذى يُستباح به حرمة هذا البيت.» «۱»

، حيث يتمكّن الأمويون فى كلّ ذلك أن يدّعوا أنهم بريئون مما جرى على الإمام عليه السلام سواء فى المدينة أو فى مكّة أو فى الطريق، فيحافظوا بذلك على الإطار الدينى لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءً حين يطالبون هم بدم الإمام عليه السلام، فيقتلون من أمروه هم بقتله! أو يتّهمون بريئاً ليقتلوه! فيخدعون الناس بادعائهم أنهم أصحاب دمه الآخذون بثأره، فيزداد الناس انخداعاً بهم ومحبّة لهم وتصديقاً بما يستظهرون من التدين والإلتزام، فتكون المصيبة على الإسلام والأمة الإسلامية أدهى وأمرّ!! ... فحيث إن لم يبايع يقتل، فقد سعى عليه السلام ألّا يقتل فى ظروف زمانية ومكانية وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدّها العدوّ، وسعى عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقّق مصرعه الذى لابدّ منه على أرض يختارها هو، ولا يستطيع العدوّ فيها أن يعتّم على مصرعه، فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هذا المصرع الذى سيهزّ الأعماق فى وجدان الأمة ويحرّكها بالإتجاه الذى أراده الحسين عليه السلام، كما سعى عليه السلام أن تجرى وقائع المأساة فى وضح النار لا فى ظلمة الليل ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكّن العدوّ من أن يعتّم على هذه الوقائع الفجيعة ويغطّى عليها، ولعل هذا هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامى والتبليغى فى طلب الإمام عليه السلام عصر تاسوعاء أن يمهلوه إلى صبيحة عاشوراء!» «۲». فتأمّل!

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۱

قول السيد المرتضى قدس سره ..... ص : ۹۱

اشارة

وللسيّد الشريف المرتضى أعلى اللَّه مقامه فى سرّ إصرار الإمام عليه السلام على التوجّه الى الكوفة رأى غريب حيث قال قدس سره: «فإن قيل: ما العذر فى خروجه صلوات اللَّه عليه من مكّة بأهله وعياله إلى الكوفة، والمستولى عليها أعداؤه، والمتأمّر فيها من قبل يزيد اللعين، منبسط الأمر والنهى!؟ وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه صلوات اللَّه عليهما، وأنّهم غادرون خوّانون، وكيف خالف ظنّه

ظنّ جميع نصحائه فى الخروج، وابن عبّاس رحمه اللّه يشير بالعدول عن الخروج! ويقطع على العطب فيه! وابن عمر لمّا ودّعه عليه السلام يقول له: «أستودعك اللّه من قتيل» إلى غير ذلك ...

الجواب: ..... ص : ۹۱

قلنا قد علمنا أنّ الإمام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقّه والقيام بما فُوِّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقّة يتحمّل مثلها، وسيّدنا أبوعبداللّه عليه السلام لم يسرِ طالباً الكوفة إلا بعد توثّق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبة من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرّائها تقدّمت إليه فى أيّام معاوية، وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم وقال فى الجواب ما وجب، ثمّ كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باقٍ، فوعدهم ومنّاهم، وكانت أيّام معاوية صعبة لايطمع فى مثلها، فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبة وبذلوا الطاعه وكرّروا الطلب والرغبة، ورأى عليه السلام من قوّتهم على ما كان يليهم فى الحال من قبل يزيد، وتسلّطهم عليه، وضعفه عنهم ما قوى فيه ظنّه أنّ المسير هو الواجب، تعيّن عليه ما فعله من الإجتهاد والتسبّب، ولم يكن فى حسبانه عليه السلام أنّ القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتّفق ما اتفق من الأمور الغريبة، فإنّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۲

مسلم بن عقيل لمّا دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها! ...» «۱».

وواضحٌ أنّ جواب السيد الشريف المرتضى قدس سره قائم على مبنى أهل التسنن فى أنّ الإمام عليه السلام كغيره من الناس يعمل على أساس ما يؤدّى إليه الظن، وهو مأجور على اجتهاده أخطأ أم اصاب إلّا أنّ أجره على الصواب أجران! وأنّ الإمام لم يكن يعلم منذ البدء بمصيره! وأنّه إنّما قام بسبب رسائل أهل الكوفة!

ويبدو أن الشريف المرتضى قدس سره- وهو من أكابر متكلّمى الشيعة- قد اعتمد هذا اللون من الإجابة على تلك التساؤلات ليخاطب به العقل السنّى فى بغداد آنذاك، والمتسننون آنئذٍ هم الأكثرية فيها ..

وإلّا فإنّ هذا الجواب مخالف لاعتقاداتنا بالإمامة وأنّ الأئمّة عليهم السلام يعلمون ما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة علماً موهبياً من اللّه تبارك وتعالى، هذا فضلًا عن الروايات التأريخية الكثيرة التى مفادها أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بمصيره ومصرعه، وأنه كان يخبر عن ذلك حتى فى أيّام طفولته.

ثمّ إنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة ليزيد لم يكن بسبب رسائل أهل الكوفة إليه بعد موت معاوية، ذلك لأنّ الثابت أنّ هذه الرسائل لم تصل إليه إلّا بعد رفضه البيعة وقيامه وخروجه من المدينة وورود مكّة، وهى لم تصل إليه إلّا بعد حوالى أربعين يوماً من أيامه فى مكّة!

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۳

عمرة التمتع أم عمرة مفردة؟ ..... ص : ۹۳

هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمرة التمتّع إلى العمرة المفردة؟ ..... ص : ۹۳

أم أنه عليه السلام ابتداءً دخل فى إحرام العمرة المفردة لعلمه بأنّ الظالمين سوف يصدّونه عن إتمام حجّه!؟

إنّ الذى يظهر من بعض المتون التأريخية «۱» ومن صريح أقوال بعض المحدّثين هو أنّ الإمام عليه السلام قد بدّل إحرامه من الحجّ أو

من عمرة التمتع إلى العمرة المفردة.

ولكنّ ظاهر بل صريح بعض النصوص- ومنها نصوص صحيحة- هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دخل فى إحرام العمرة المفردة ابتداءً ولم يكن ثمّة تبديل فى الإحرام، وقد تبنّى هذا القول من الفقهاء السيّد محسن الحكيم قدس سره والسيّد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۴

الخوئى قدس سره والسيد السبزوارى قدس سره، وأشار إليه بعض المؤرّخين «۱».

لقد تعرّض الفقهاء لهذا البحث فى مسألة حكم الخروج من مكّة لمن أتى بالعمرة المفردة فأقام الى هلال ذى الحجّة، فقد ذهب بعضهم الى القول بوجوب أداء الحجّ فيما لو أدرك يوم التروية، وهو رأى ابن البرّاج «۲» وهو قول نادر. كما ذهب بعض آخر الى القول بالاستحباب خصوصاً إذا أقام إلى هلال ذى الحجّة ولاسيّما إذا أقام فى مكّة الى يوم التروية وهو اليوم الثامن، وهو قول صاحب الجواهر «۳».

وبعض الروايات التى مفادها حرمة الخروج حملت على الكراهة استناداً الى روايات أخرى منها خبر اليمانى فى أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج قبل يوم التروية بيوم وقد كان معتمراً.

وفيما يلى النصوص ثم كلمات الفقهاء:

۱- الكلينى: «على بن ابراهيم، عن أبيه، ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عيسى، عن ابراهيم بن عمر اليمانى، عن أبى عبداللَّه عليه السلام أنه سُئِل عن رجل خرج فى أشهر الحجّ معتمراً ثم رجع الى بلاده؟ قال: لابأس وإن حَجَّ فى عامه ذلك وأفرد الحجّ، فليس عليه دم، فإنّ الحسين بن على عليهما السلام خرج

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۵

قبل التروية بيوم الى العراق وقد كان دخل معتمراً» «۱».

ومفاد هذا الخبر: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يوم خروجه من مكّة محرماً حتى بإحرام العمرة، بل كان قد أحرم للعمرة يوم وروده مكّة المكرّمة. فتأمل.

وقد عبّر المجلسى فى المرآة عن هذا الحديث بالحسن كالصحيح «۲».

ولقد روى الشيخ الطوسى هذا الحديث فى التهذيب عن الكلينى، غير أنّ فيه:

«إنّ الحسين خرج يوم التروية» «۳».

وعبّر المجلسىُ عنه أيضاً فى ملاذ الأخيار بالحسن الصحيح «۴».

وقال صاحب الجواهر: «وفى التهذيب: خرج يوم التروية، ولعلّه الأصحّ لصحيح معاوية ...» «۵».

۲- الكلينى: «على بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرّار، عن يونس، عن معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: من أين افترق المتمتّع والمعتمر؟

فقال: إنّ المتمتّع مرتبط بالحجّ، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء، وقد اعتمر الحسين بن على فى ذى الحجّة ثمّ راح يوم التروية إلى العراق والناس يروحون إلى منى، ولابأس بالعمرة فى ذى الحجّة لمن لا يريد الحجّ.» «۶».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۶

وعبّر عنها المجلسى فى الملاذ: «مجهول» وقال: «قوله: وقد اعتمر: لعلّ المراد أنّ عمرة التمتع أيضاً إذا اضطر الإنسان يجوز أن يجعلها عمرة مفردة كما فعله الحسين عليه السلام، ويحتمل أن يكون عليه السلام لعلمه بعدم التمكّن من الحجّ نوى الإفراد ولعلّه من الخبر أظهر.» «۱».

إذن فالمجلسى يرى فى الحديث احتمالين:

الأوّل: التبديل من عمرة التمتع الى عمرة مفردة.

الثانى: أنّه عليه السلام منذ البدء قد نوى الإفراد، وليس ثمّ تبديل.

ويرى المجلسى أنّ الإحتمال الثانى أظهر من الخبر، لكنه فى البحار يصرّح بالإحتمال الأوّل حيث يقول: «ولقد رأيت فى بعض الكتب المعتبرة ... حلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة.» «۲»

وقال فى نفس الصفحة من كتابه قبل هذا: «وكذا خرج من مكّة بعدما غلب على ظنه أنهم يريدون غيلته وقتله، حتى لم يتيسّر له- فداه نفسى وأبى وأمى وولدى- أن يتمّ حجّة، فتحلّل وخرج منها خائفاً يترقّب ...» «۳».

كلمات بعض الفقهاء ..... ص : ۹۶

۱- قال السيد محسن الحكيم فى مستمسك العروة الوثقى: «... وأمّا مافى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۷

بعض كتب المقاتل من أنّه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنها كانت عمرة تمتّع وعدل بها إلى الافراد، فليس مما يصحّ التعويل عليه فى مقابل الأخبار المذكورة التى رواها أهل البيت عليهم السلام» «۱».

۲- ويقول السيد السبزوارى قدس سره فى مهذّب الأحكام: «... كما يسقط بهما- أى رواية اليمانى ورواية معاوية بن عمار- مافى بعض المقاتل من أنّ الحسين عليه السلام بدّل حجّة التمتّع الى العمرة المفردة، لظهورهما فى أنه عليه السلام لم يكن قاصداً للحجّ من أوّل الأمر، بل كان قاصداً للعمرة المفردة، فلا يبقى موضوع للتبديل حينئذ.» «۲».

۳- وقال السيّد الخوئى فى معتمد العروة الوثقى: «لاريب فى أنّ المستفاد من الخبرين أنّ خروج الحسين عليه السلام يوم التروية كان على طبق القاعدة لا لأجل الإضطرار «۳»، ويجوز ذلك لكلّ أحد وإن لم يكن مضطرّاً، فيكون الخبران- أى خبر اليمانى وخبر معاوية- قرينة على الإنقلاب الى المتعة قهراً والإحتباس بالحجّ إنّما هو فيما إذا أراد الحجّ، وأمّا إذا لم يرد الحجّ فلا يحتبس بها للحجّ ويجوز له الخروج حتى يوم التروية.» «۴».

وممّا يضعّف القول بوقوع التبديل الى العمرة المفردة قول المشهور بعدم جواز التبديل الى العمرة المفردة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۸

قال الشيخ الوالد قدس سره: «المشهور بين الأصحاب رضوان اللّه عليهم أنّ من دخل مكّة بعمرة التمتع فى أشهر الحج لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا أن يخرج من مكّة حتّى يأتى بالحجّ لأنها مرتّبة (مرتبطة) بالحجّ، نعم عن ابن إدريس القول بعدم الحرمة وأنه مكروه، وفيه أنه مردود بالأخبار.» «۱».

كما يضعّف أيضاً القول بوقوع التبديل الى العمرة المفردة هو أنه لو كان لأجل الصدّ ومنع الظالم فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدى كما أشار إليه الشهيد الأوّل فى الدروس «۲» والشهيد الثانى فى المسالك «۳».

فلابدّ إذن من تأويل العبارات التى ظاهرها التبديل، والمهمّ المعوَّل عليه هو عبارة الشيخ المفيد قدس سره فى الإرشاد: «لأنه لم يتمكّن من تمام الحج»، وأمّا القول الوارد فى بعض الكتب من أنّه عليه السلام: «لم يتمكن من إتمام الحجّ» فهو مما ورد بعد زمان كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد قدس سره، ولعلّه وقع بسبب تصحيف غير مقصود، أو بسبب تصرّف مقصود قام على عدم التفريق بين «التمام» و «الإتمام»، واللّه العالم.

هل خرج الإمام عليه السلام من مكّة سرّاً!؟ ..... ص : ۹۸

قال المرحوم المحقّق الشيخ السماوى فى كتاب (إبصار العين): «ولمّا جاء كتاب مسلم إلى الحسين عزم على الخروج، فجمع أصحابه فى الليلة الثامنة من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۹۹

ذىالحجّة، فخطبهم فقال: ..» «۱»، ثم أورد خطبته المعروفة بعبارتها الشهيرة «خُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة» والتى ورد فى آخرها قوله عليه السلام:

«فمن كان باذلًا فينا مهجته، موطّناً على لقاء اللَّه نفسه فليرحل معنا، فإننى راحل مصبحاً إن شاء اللَّه تعالى».

وقد يُستفاد من قول الشيخ السماوى قدس سره: «فجمع أصحابه ..» أنّ هذه الخطبة التى أعلن فيها الإمام عليه السلام عن موعد ارتحاله عن مكّة لم تكن أمام محضر عام، بل كانت فى اجتماع خاص اقتصر على أصحابه عليه السلام فقط، فموعد السفر لم يعلم به إلّا أصحابه، ولم يخرج الموعد إذن عن كونه سراً من أسرار حركة الركب الحسينى من مكّة، أى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج بركبه من مكّة الى العراق سرّاً!

لكنّ الملفت للإنتباه أنّ الشيخ السماوى قدس سره لم يذكر المصدر الذى أخذ عنه قوله «فجمع أصحابه ..»، كما أننا لم نعثر على مصدر من المصادر التأريخية المعروفة والمعتبرة- والتى يحتمل أنّ الشيخ السماوى قدس سره قد أخذ عنها- كان قد ذكر هذه العبارة «فجمع أصحابه ..».

بل إنّ المصادر التى ذكرت هذه الخطبة بالذات لم تذكر تلكم العبارة، ففى اللهوف: «وروى أنّه عليه السلام لمّا عزم على الخروج الى العراق قام خطيباً فقال: ..» «۲»، وفى مثير الأحزان: «ثم قام خطيباً فقال: ..» «۳»، وفى كشف الغمة: «ومن كلامه عليه السلام لمّا عزم على الخروج الى العراق، قام خطيباً فقال: ..» «۴».

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۰

هذه هى المصادر الأساسية التى نعلم أنها ذكرت هذه الخطبة ..

ومع هذا، فإنّ خروج الإمام عليه السلام من مكّة لم يكن سرّاً حتى على فرض أنّ الإمام عليه السلام كان قد خطب هذه الخطبة فى أصحابه فقط، ذلك لأنّ الذين كانوا ملتفّين حول الإمام عليه السلام وهو فى مكّة كثيرون، وفيهم من يريد الدنيا وفيهم من يريد الآخرة، ولم يُغربل هذا الجمع الكبير إلّا فى منازل الطريق إلى العراق منزلًا بعد منزل حتى لم يبق معه إلا الصفوة التى استشهدت بين يديه فى الطف. فمن البعيد جداً أن تكون حركة الركب الحسينى من مكّة إلى العراق سرّاً، والمحيطون بالإمام عليه السلام فى مكّة آنذاك خليط من أناس نواياهم شتّى، ثمّ هل يُتصوَّر أنّ حركة الركب الحسينى وهو كبير نسبياً فى مكّة المكرّمة وهى آنذاك صغيرة نسبياً- بكلّ ما تستلزمه حركة مثل هذا الركب الكبير من مقدّمات واستعدادات- تخفى عن أعين السلطة الذين كانوا يتحسسون الصغيرة والكبيرة من حركة الإمام عليه السلام!؟

يذهب بعض المحقّقين المتتبعين إلى عكس ما أورده الشيخ السماوى قدس سره حيث يقول: «ولمّا عزم الإمام عليه السلام على مغادرة الحجاز والتوجّه إلى العراق أمر بجمع الناس ليلقى عليهم خطابه التأريخى، وقد اجتمع إليه خلق كثير فى المسجد الحرام من الحجّاج وأهالى مكّة، فقام فيهم خطيباً، فاستهلّ خطابه بقوله ..» «۱»، ثم أورد تلكم الخطبة نفسها.

ومن الأدلّة على أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة لم يكن سرّاً أنّ والى مكة يومئذٍ عمرو بن سعيد بن العاص أمر صاحب شرطته باعتراض الركب الحسينى عند الخروج، يقول التأريخ: «ولمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد بن العاص فى جماعة من الجند.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۱

فقال: إنّ الأمير يأمرك بالإنصراف فانصرف وإلا منعتك.

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصراف.» «۱».

إذن فخروج الركب الحسينىّ من مكّة لم يكن سرّاً، وهذا لا ينافى الحقيقة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۲

التأريخية فى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استبق الأحداث والزمان فخرج من مكّة مبادراً قبل أن يغتاله الحكم الأمويّ فيها أو يُقبَض عليه، لأن خروج الإمام عليه السلام من مكّة بالركب الحسينى الكبير نسبياً وقتذاك كان على امتناع وأهبة واستعداد لكلّ احتمال، فى وقت لم يكن من مصلحة الحكم الأموى أن تواجه سلطته المحلّية فى مكّة- على فرض امتلاكها القوّة العسكرية الكافية- «۱» الإمام الحسين عليه السلام مواجهة حربية علنية فى مكّة أو فى أطرافها، لأنّ الأمويين يعلمون ما للإمام الحسين عليه السلام من مكانة سامية عزيزة وقدسية بالغة فى قلوب جموع الحجيج الذين لازالوا آنذاك فى مكّة، فهم يخافون من انقلاب الأمر وتفاقمه عليهم، ولعلَّ رواية الدينورى السابقه تشعر بهذه الحقيقة حيث تقول: «.. وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصراف».

وعلى ضوء ما تقدّم تتأكّد صحة ماتقدّم فى الجزء الأوّل «۲» من هذا الكتاب (مع الركب الحسينى من المدينة إلى المدينة): أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة المكرّمة (وكذلك من المدينة) فى السحر أو فى أوائل الصبح فى ستر الظلام من أجل ألّا تتصفح أنظار الناس فى مكّة (وكذلك فى المدينة) فى وضح النهار حرائر

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۳

بيت العصمة والرسالة والنساء الأُخريات فى الركب الحسينى، وهذا هو السبب الأقوى- إن لم يكن السبب الوحيد- فى مجموعة الأسباب التى دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج فى السحر أو فى أوائل الصبح، وهذا ما يتناسب تماماً مع الغيرة الحسينية الهاشمية.

لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه!؟ ..... ص : ۱۰۳

فى السحر الذى أرتحل فيه الإمام الحسين عليه السلام خارجاً عن مكّة الى العراق كان أخوه محمد بن الحنفية (رض) قد هرع إليه، حتى إذا أتاه أخذ زمام ناقته التى ركبها «فقال له: يا أخى، ألم تعدنى النظر فيما سألتك!؟

قال عليه السلام: بلى!

قال: فما حداك على الخروج عاجلًا؟

فقال عليه السلام: أتانى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، أخرج فإنّ اللّه شاء أن يراك قتيلا!

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال!؟

فقال له عليه السلام: قد قال لى: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!

وسلّم عليه ومضى». «۱»

وفى إحدى محاوراته عليه السلام مع ابن عباس (رض):

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۴

قال له ابن عبّاس: «جُعلتُ فداك يا حسين، إن كان لابدّ من المسير إلى الكوفة فلا تَسِر بأهلك ونسائك، فوالله إنّى لخائف أن تُقتل ...

فقال عليه السلام: يا ابن العمّ، إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله فى منامى وقد أمرنى بأمرٍ لا أقدر على خلافه، وإنه أمرنى بأخذهم معى، إنهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه و آله، ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لايفارقننى ...». «۱»

وفى محاورته عليه السلام مع أمّ سلمة (رض) فى المدينة:

كان عليه السلام قد قال لها: «يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يرانى مقتولًا مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمى ورهطى ونسائى مشرّدين، وأطفالى مذبوحين مظلومين مأسورين مقيّدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولامعيناً». «۲»

لقد علّل الإمام عليه السلام حمله لأهله ونسائه معه- فى محاوراته مع ثلاثة من أشدّ الناس إخلاصاً له- بأنّ ذلك تحقيق لمشيئة الله سبحانه، وامتثال لأمر رسول الله صلى الله عليه و آله، وأنه عليه السلام يخاف أن تتعرض ودائع رسول الله صلى الله عليه و آله للأذى والمكروه من بعده إذا فارقنه و بقين فى المدينة أو فى مكّة! كما علّل ذلك بإصرارهن على الخروج معه! «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۵

فكيف نفهم ملامح الحكمة فى هذه المشيئة الإلهية وهذا الأمر النبوى وفى مخافة الإمام عليه السلام على ودائع النبوّة وفى إصرارهن على الخروج معه!؟

ماذا سيجرى على عقائل بيت الرسالة لو بقين خلاف الإمام عليه السلام فى المدينة أو فى مكّة مثلًا؟

يرى الشيخ المرحوم عبدالواحد المظفّر فى كتابه: (توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض) أنّ: «الحسين عليه السلام لو أبقى النساء فى المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً وزجّتها فى ظلمات السجون، ولابدّ له حينئذٍ من أحد أمرين خطيرين، كلّ منهما يشلّ أعضاء نهضته المقدّسة!

إمّا الإستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً ليستنقذ العائلة المصونة، وهذا خلاف الإصلاح الذى يُنشده وفرض على نفسه القيام به مهما كلّفه الأمر من الأخطار، أو يمضى فى سبيل إحياء دعوته ويترك المخدّرات اللواتى ضرب عليهنّ الوحى ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لاتطيق إحتماله نفس الحسين الغيور.

ولايردع أميّة رادع من الحياء، ولايزجرها زاجرٌ من الإسلام، إنّ أميّة لايهمّها اقتراف الشائن فى بلوغ مقاصدها وإدراك غاياتها، فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية!

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعى، وزوجة عبيدالله بن الحرّ الجعفى، وأخيراً زوجة الكُميت الأسدى؟». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۶

وهذا الإحتمال الذى نظر إليه الشيخ المظفّر (ره) وارد بقوّة، لأنّ السلطة الأمويّة كانت تريد منع الإمام عليه السلام من القيام والخروج الى العراق بكلّ وسيلة، حتى وإن كانت هذه الوسيلة اعتقال الودائع النبوية من نساء وأطفال يعزُّ على الإمام الحسين عليه السلام تعرّضهم للأذى والإهانة والسجن، فيضطّر الى التحرّك لإنقاذهم، الأمر الذى يشلّ حركة النهضة أو يقضى عليها!

وإمكان إقدام السلطة الأموية على مثل هذه الفعلة لايحتاج إلى أدنى تأمّل، لقد كان ضغط السلطة الأموية على المناهضين لها وإحراجها إياهم من خلال إيذاء عوائلهم وإرهابها وسجنها سنّة من سنن الحكم الأموى، وإضافة الى الأمثلة التى قدّمها الشيخ المظفّر (ره)، فإنّ ما قامت به السلطة الأموية فى واقعة الحرّة من انتهاك حرمات الأعراض واستباحتها، بل ما فعلته السلطة الأموية بالودائع النبوية نفسها فى السبى بعد استشهاد الإمام عليه السلام دليل على سهولة مثل هذه الجسارة العظيمة عند طغاة بنى أميّة، وبهذا قد يتجلّى لنا هنا بعد من أبعاد الحكمة فى الأمر النبوى بحملهن!

وهذا المحذور- حدث تعرّض الودائع النبوية للأذى والسجن- سواء وقع قبل خروج الإمام عليه السلام (من المدينة أو مكّة)، أو بعد خروجه (وقبل استشهاده)، سيكون حدثاً خارجاً عن مسار حركة أحداث النهضة وأجنبياً عنها، وذا أثر مضادّ لمتّجه آثارها، بخلاف ما إذا وقع هذا الحدث فى إطار حركة أحداث هذه النهضة وفى مسارها المرسوم، إذ إنه يكون حينذاك امتداداً لها، وتبليغاً بحقائقها، وتحقيقاً لغاياتها.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۷

فكان لابدّ للإمام عليه السلام من حمل هذه الودائع العزيزة ونسائه معه كيلا يعوّق العدوّ من خلالها على مسار النهضة المقدّسة.

ومع تفويت الإمام عليه السلام الفرصة على أعدائه بذلك- والحمد لله الذى جعل أعداء أهل البيت عليه السلام من الحمقى- كان الإمام عليه السلام عالماً منذ البدء بضرورة حمل هذه الودائع النبوية معه تحقيقاً (لمسيرة التبليغ الكبرى)- بعد استشهاده- بدواعى النهضة الحسينية، وبأهدافها، وبمظلومية أهل البيت عليه السلام وأحقيتهم بالخلافة، وبحقيقة كفر آل أميّة ونفاقهم وعدائهم للإسلام الحقّ وأهله.

كان الإمام عليه السلام عالماً منذ البدء بضرورة هذه المسيرة الإعلامية التبليغية الكبرى من بعده، والتى ينهض بأعبائها بقيّة الله الإمام السجّاد عليه السلام وودائع النبوة فى أيّام السبى والترحيل من بلد إلى بلد، إذ لولا هذه المسيرة الإعلاميّة التبليغية لما كان يمكن للثورة الحسينية أن تحقّق كامل أهدافها فى عصرها وفى مابعده من العصور إلى قيام الساعة، ولعلّ هاهنا مكمن السرّ فى «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»، وفى الأمر النبوى بحملهنّ.

إذن فحمل الإمام عليه السلام لودائع النبوّة معه ضرورة من ضرورات نجاح الثورة الحسينية، وكان لابدّ للإمام عليه السلام أن يقوم بذلك حتى ولو لم يكن هناك احتمال لتعرّض هذه الودائع النبوية للأذى والسجن إذا بقين خلاف الإمام عليه السلام فى المدينة أو مكّة! فما بالك واحتمال سجنهنّ وارد بقوّة؟

والمتأمل فى تفاصيل ماجرى على بقيّة الركب الحسينى بعد استشهاد الإمام عليه السلام حتى عودتهم الى المدينة المنوّرة يشاهد بوضوح الأثر العظيم المترتب على العمل الإعلامى والتبليغى الكبير الذى قام بأعبائه أعلام بقية الركب الحسينى،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۰۸

ويؤمن أنّ الثورة الحسينية لم تكن لتصل إلى تمام غاياتها لولم تكن تلك الودائع النبوية فى الركب الحسينى. «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۰

أمّا قوله عليه السلام: «وهنّ أيضاً لايفارقننى!» الحاكى عن إصرارهنّ على السفر معه وملازمته فى رحلة الفتح بالشهادة، فيمكن أن يُفسّر بأنّ الودائع النبوية (خصوصاً بنات أمير المومنين عليه السلام وعلى رأسهن زينب الكبرى عليها السلام) كنّ قد أصررن على ملازمة الإمام عليه السلام فى نهضته لأنهنّ- إضافة الى البُعد العاطفى والتعلّق الروحى بالإمام عليه السلام- كنّ يعلمن بأهمية الدور الإعلامى والتبليغى الذى بإمكانهن القيام به فى مسار النهضة خصوصاً بعد استشهاد الإمام عليه السلام، إذ من المحتمل جدّاً أنّ «۱» الإمام عليه السلام كان قد أطلعهنّ على تفاصيل ما يجرى عليه وعلى من معه، وكشف لهنّ عن أهميّة الدور الذى يمكنهنّ أن يضطلعن بأعبائه من بعده، وإن كان من الثابت عندنا أنّ العقيلة زينب عليها السلام كانت تعلم كلّ ذلك بالعلم اللدنّى موهبة من الله تبارك وتعالى، فقد وصفها الإمام السجّاد عليه السلام ذات مرّة بأنها: «عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة!»، «۲» ولقد كشفت هى عليها السلام عن علمها حتى بما يجرى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۱

على جثمان أخيها عليه السلام الى قيام الساعة حينما رأت الإمام السجّاد عليه السلام يجود بنفسه حزناً وهو ينظر الى مصارع شهداء الطفّ، فقالت: «مالى أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّى وأبى وإخوتى؟ فوالله إنّ هذا لعهدٌ من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس لاتعرفهم فراعنة هذه الارض، وهم معروفون فى أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرّجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لايُدرس أثره ولايمحى رسمه على كرور الليالى والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلّا علوّاً!». «۱»

رضى الله عنه رضى الله عنه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۳

الفصل الثانى ..... ص : ۱۱۳

اشارة

حركة السلطة الأموية فى الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية

سفيدصفحه ۱۱۴

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۵

الفصل الثانى: حركة السلطة الأموية فى الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية ..... ص : ۱۱۵

اشارة

وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة المكرّمة بعد أن استطاع عليه السلام النفاذ من حصار خطة (البيعة أو القتل) فى المدينة المنورة، تلك الخطّة التى أرادها يزيد، وتمنّاها وسعى إلى تنفيذها مروان بن الحكم، لكنّ الوليد بن عتبة والى المدينة آنذاك تردّد فى تنفيذها وتمنى النجاة من تبعاتها.

وبذلك كان الإمام الحسين عليه السلام بدخوله مكّة المكرّمة قد اخترق المرحلة الأولى من الحصار العام الذى بادرت السلطة الأموية إلى فرضه عليه.

ولقد انتاب السلطة الأموية خوف شديد، واعتراها اضطراب لا تماسك معه، وقلق لا استقرار فيه، حينما علمت بدخول الإمام عليه السلام مكّة المكرّمة فى الأيام التى تتقاطر إليها جموع المعتمرين والحجّاج من جميع أقطار العالم الإسلامى آنذاك.

فهرعت هذه السلطة على جميع مستوياتها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لمواصلة فرض الحصار على حركة الإمام عليه السلام من جديد، ولمنع انفلات الأمور فى الولايات المهمّة عامة وفى الكوفة منها خاصة.

فما إن رُفعت الى يزيد تقارير جواسيسه فى الكوفة عن ضعف موقف واليها النعمان بن بشير فى مواجهة التحوّلات الناشئة عن تواجد مسلم بن عقيل عليه السلام فيها، حتى اجتمع يزيد مع مستشار القصر الأموىّ سرجون النصرانى ليتلقى منه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۶

تعليماته فى كيفية معالجة مستجدّات الأمور قبل انفلاتها وفقدان السيطرة عليها.

وينتهى الإجتماع باتخاذ قرارات خطيرة شملت عزل بعض الولاة ونشر سلطة بعض آخر، وتوجيه رسائل إلى بعض وجهاء الأمة تدعوهم إلى التدخل وممارسة الضغط على الإمام عليه السلام وبذل قصارى سعيهم لإخراج السلطة الأمويّة من مأزقها الكبير، ورسائل أخرى أيضاً تضمّنت تهديداً وإنذاراً لأهل المدينة عامة وبنى هاشم خاصة، تحذّرهم من مغبّة الإلتحاق بالإمام عليه السلام والإنضمام الى حركته.

ومن قرارات هذا الإجتماع أيضاً أن خطّطت حركة النفاق الحاكمة أن تغتال الإمام عليه السلام فى مكّة، وقد بعثت جمعاً من جلاوزتها بالفعل الى مكّة لتنفيذ هذه المهمّة، إذا لم تُوفّق هذه الزمرة الغادرة بمساعدة السلطة المحلّية فى مكّة فى محاولة لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام وإرساله الى دمشق، هذا على صعيد قرارات السلطة المركزية فى الشام.

ولم يقلّ حال السلطات المحلّية فى المدينة ومكّة والكوفة والبصرة فى خوفها وقلقها واضطرابها عن حال السلطة المركزية فى الشام، ففى مكّة يجتهد واليها فى متابعة الصغيرة والكبيرة من حركات الإمام عليه السلام، ويطلب منه البقاء فى مكة ويبذل له الأمان والصلة

ويتعهّد له بذلك، ثمّ حيث يُصرّ الإمام عليه السلام على الخروج نرى هذا الوالى يبعث بقوة عسكرية لمنع الإمام عليه السلام من ذلك، ثمّ يكفّ عن منع الإمام عليه السلام خشية من تفاقم الأمر وانقلابه عليهم.

وفى البصرة نرى ابن مرجانة يبادر الى تهديد أهلها ويحذّرهم من مغبّة التمرّد والإستجابة لنداء الإمام عليه السلام والإنضمام إلى حركته، كما يبادر ابن مرجانة قبيل تركه البصرة الى قتل سليمان بن رزين قدس سره رسول الإمام عليه السلام إلى أشراف البصرة ورؤساء الأخماس فيها، ثم يبادر مسرعاً لايثنيه شيء فى سفره الى الكوفة ليستبق الزمن والأحداث فى الوصول إليها، وليدير دفّة الأمور هناك فى أصعب

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۷

أيّامه والكوفة تكاد تسقط حينها فى يد سفير الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان اللّه تعالى عليه.

نشر ابن مرجانة فى الكوفة جوّاً رهيباً من الرعب والخوف وحبس الأنفاس من خلال أعمال منوّعة بادر إليها، منها خطب وبيانات التهديد والوعيد بالتعذيب والتنكيل، ومنها حملة واسعة من ممارسات القمع والاعتقالات، ومنها محاولات اختراق صفوف الثوّار بواسطة جواسيس ذوى خبرة وفنّ من اجل الوصول الى مكان ومخبأ قيادة الثورة فى الكوفة، ومنها سلسلة من الإعدامات كان من أبرز ضحاياها نخبة من سفراء النهضة الحسينية، مثل مسلم بن عقيل عليه السلام، وقيس بن مسهر الصيداوى (رض)، وعبداللّه بن يقطر (رض)، ومن أبرز ضحاياها أيضاً الوجيه الكوفى الصحابى الشيعى المبرز هانى بن عروة المرادى (رض).

هذا استعراض مجمل لأهم معالم تحرّك السلطة الأموية فى مواجهة حركة الأحداث الناشئة عن قيام الإمام الحسين عليه السلام فى الأيام المكيّة من عمر نهضته المباركة.

وفى المتابعة التأريخية لتفاصيل حركة السلطة الأموية فى مواجهة قيام الإمام الحسين عليه السلام يحسن بنا على ضوء التسلسل التأريخى أن نقرأ حركة الأحداث فى إطار الترتيب التالى:

۱- حركة السلطة الأموية المحلّية فى الكوفة.

۲- حركة السلطة الأموية المركزية فى الشام.

۳- حركة السلطة الأموية المحلّية فى البصرة.

۴- حركة السلطة الأمويّة المحلّية الجديدة فى الكوفة.

۵- حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى مكّة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۸

حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى الكوفة ..... ص : ۱۱۸

اشارة

كان والى الكوفة حينما دخلها مسلم بن عقيل عليه السلام هو النعمان بن بشير، «۱» فلمّا رأى النعمان استقبال أهل الكوفة الكبير لمسلم عليه السلام وحفاوتهم البالغة به وتجاوبهم الرهيب معه، خرج إلى المسجد وخطب فى الناس يحذّرهم من إثارة الفتنة والفرقة وشقّ عصا الأمّة.

يقول الطبرى: «.. عن أبى الودّاك قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ، فاتّقوا اللّه عبادَ اللّه، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما يهلك الرجال وتُسفك الدماء وتغصب الأموال- وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية!- قال:

إنى لم أقاتل من لم يقاتلنى، ولا أثب على من لايثب علىَّ، ولا أُشاتمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف «۲» ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنّكم إنْ أبديتم صفحتكم لى ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فواللَّه الذى لا إله غيره لأضربنّكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى ولو لم يكن لى منكم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۱۹

ناصر، أما إنى أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبداللَّه بن مسلم بن سعيد الحضرمى «۱»- حليف بنى أميّة- فقال:

إنّه لا يُصلح ما ترى إلا الغشم، إنّ هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأى المستضعفين!!

فقال: أن أكون من المستضعفين فى طاعة اللَّه أحبّ إلىَّ من أن أكون من الأعزّين فى معصية اللَّه.

ثمّ نزل، ..

وخرج عبداللَّه بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية:

أمّا بعدُ، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علىّ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلًا قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك فى عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجلٌ ضعيف أو هو يتضعّف!

فكان أوّل من كتب إليه، ثمّ كتب إليه عمارة بن عقبة «۲» بنحو من كتابه، ثمّ كتب

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۰

إليه عمر بن سعد بن أبى وقّاص «۱» بمثل ذلك». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۱

وفى رواية الدينورى أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام لمّا وافى الكوفة، نزل فى دار المختار، فكانت الشيعة تختلف إليه وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، «ففشا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها، فقال: «لا أقاتل إلا من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۲

قاتلنى، ولا أثب إلّا على من وثب علىَّ، ولا آخذ بالقرفة والظنّة، فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى، ولو لم أكن إلّا وحدى». وكان يحب العافية ويغتنم السلامة.

فكتب مسلم بن سعيد الحضرمى وعُمارة بن عقبة- وكانا عينى يزيد بن معاوية- إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علىّ، وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإنْ يكن لك فى سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك فى عدوّك، فإن النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام». «۱»

أمّا البلاذرى فقد قال فى روايته: «فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبى وقاص الزهرى، ومحمّد بن الأشعث الكندى، «۲» وغيرهما إلى يزيد بخبر مسلم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۴

وتقديم الحسين إيّاه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير وعجزه ووهن أمره». «۱»

تأمّلٌ وملاحظات ..... ص : ۱۲۴

۱)- سكون ما قبل العاصفة فى الكوفة ..... ص : ۱۲۴

أحدث دخول مسلم بن عقيل عليه السلام مدينة الكوفة داعياً للإمام الحسين عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۵

تحوّلًا كبيراً فى ظاهر الحياة السياسية فى تلك المدينة بعد أن «انثالت الشيعة على مسلم تبايعه للإمام الحسين عليه السلام، وكانت صيغة البيعة الدعوة الى كتاب اللّه وسنّة رسوله، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية، وردّ المظالم إلى أهلها، ونصرة أهل البيت عليهم السلام، والمسالمة لمن سالموا، والمحاربة لمن حاربوا ..»، «۱» حتى كان عدد من بايعه من أهلها على أقل التقادير ثمانية عشر ألفاً، وعلى أعلاها أربعين ألفاً.

وكأنّ الكوفة- على أساس هذا التحوّل الظاهرى- كانت قد سقطت سياسياً وعسكرياً أو تكاد فى يد سفير الإمام الحسين عليه السلام، ولم يبق دون أن يتحقّق ذلك فعلًا إلّا أن يأمر مسلم بن عقيل عليه السلام بهبوب عاصفة الثورة والتغيير، لكنّ التزام مسلم عليه السلام بحدود صلاحياته التى رسمها الإمام عليه السلام حال دون هبوب العاصفة التى تنتزع الكوفة فعلًا من يد الحكم الأموى، فظلّت الكوفة تعيش أيّامها تلك فى سكون يُنذر باحتمال هبوب العاصفة فى أية لحظة إذا ما أخلّ بذلك السكون سبب غير محتسب.

۲)- «الغشم» وسيلة خروج الأمويين من مأزقهم الكبير! ..... ص : ۱۲۵

فزع الأمويّون وعملاؤهم وجواسيسهم من تجاوب الرأى العام فى الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ورأوا أنّ زمام الأمور سيكون بيد الثوّار تماماً إن لم تبادر السلطة الأموية المحلّية فى الكوفة إلى اتخاذ التدابير اللازمة الكفيلة بإعادة الوضع الكوفى إلى سابق عهده أو منع تدهوره إلى حدّ سقوط الكوفة فعلًا بيد الثوّار.

ولعلم الأمويين «بالحالة النفسية الكوفية» العامة آنذاك ولخبرتهم الطويلة فى التعامل معها، كان رأيهم أنه لا وسيلة لهم للخروج من هذا المأزق الكبير إلّا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۶

«الغشم» وهو الظلم والغصب، وأنه لابدّ للكوفة من حاكم أموىّ «غشوم» وهو الظالم المبادر بالظلم، الآخذ بالقهر كلَّ ما قدر عليه.

وقد أرادوا من النعمان بن بشير ذى التأريخ الأسود فى معاداة أهل البيت عليهم السلام أن يكون هو هذا الحاكم الغشوم المنشود، وطلبوا إليه- بعد أن أنكروا عليه تراخيه فى مواجهة مستجدّات الأحداث- «۱» أن يبادر إلى تهديد الكوفيين وإرهابهم وقمعهم.

لكنّ الأمويين وعملاءهم فى الكوفة أحسّوا بالخيبة حينما خطب النعمان بأهل الكوفة خطبته التى كشف فيها عن ضعفه أو تضاعفه، وجرّأ الكوفيين على مواصلة التعبئة للثورة والتأهب لها، فبادروا- وهم على خوف من تسارع الأيام والأحداث- إلى رفع تقاريرهم الى السلطة المركزية فى الشام، والتى طلبوا فيها من يزيد أن يسارع إلى إقالة النعمان بن بشير وتعيين حاكم آخر غشوم يأخذ أهل الكوفة بالإحتيال والقوّة والقهر.

۳)- سرّ التراخى فى موقف النعمان بن بشير ..... ص : ۱۲۶

للنعمان بن بشير بن سعد الخزرجى ولأبيه بشير تأريخ أسود طويل فى نصرة حركة النفاق بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فإنّ أباه بشير بن سعد الخزرجى لحسده سعد بن عبادة على موقعه المرموق فى الخزرج خاصة والأنصار عامة، ولبغضه لأهل البيت عليهم السلام، كان أوّل من بادر إلى مبايعة أبى‌بكر فى السقيفة، وظلّ موالياً لحزب السلطة ومعادياً لأهل بيت النبوّة عليهم السلام، وابنه النعمان «كان قد ولاه معاوية الكوفة بعد عبدالرحمن بن الحكم، «۲» وكان عثمانىّ الهوى، يجاهر ببغض علىّ عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۷

ويسىء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، وسعى بإخلاص لتوطيد الحكم لمعاوية، وهو الذى قاد بعض الحملات الإرهابية على بعض المناطق العراقية، ويقول المحقّقون: إنّه كان ناقماً على يزيد، ويتمنّى زوال الملك عنه شريطة أن لا تعود الخلافة إلى آل

علىّ عليهم السلام ..». «۱»

ويُروى أنّ سبب نقمة النعمان على يزيد هو أنّ يزيد كان يبغض الأنصار بغضاً شديداً، ويُغرى الشعراء بهجائهم، الأمر الذى أثار حفيظة النعمان بن بشير فطلب من معاوية قطع لسان الشاعر الأخطل النصرانى الذى هجاهم، وأجابه معاوية إلى ذلك، لكنّ يزيد أجار الأخطل عند أبيه، فعفا معاوية عن الأخطل بدعوى أنه «لا سبيل إلى ذمّة أبى خالد- يعنى يزيد»، وكُبت بذلك النعمان، فلم يزل ناقماً على يزيد. «۲»

ويروى التأريخ أنّ عمرة بنت النعمان بن بشير كانت زوجة المختار بن أبى عبيدة الثقفى الذى نزل عنده مسلم بن عقيل عليه السلام، ويرى بعض المتتبعين أنّ هذه الصلة أيضاً كانت سبباً فى تراخى موقف النعمان من الثوار، إضافة إلى السبب الأهم وهو نقمته على يزيد. «۳»

ولعلّ بإمكاننا هنا أن نضيف سبباً آخر إلى أسباب تراخى موقف النعمان من الثوار، وهو أنّ النعمان وإن كان أنصارياً إلّا أنه كان أحد أفراد حركة النفاق، عُرف عنه أنه عثمانىّ الهوى، متفانٍ فى حبّ بنى أميّة، ومتبّنٍ لسياسة معاوية فى قيادة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۸

حركة النفاق تبنياً تاماً، وكان من معالم هذه السياسة أنّ معاوية كان يتحاشى المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ معاوية لو اضطرّ إلى مواجهة علنية أى إلى قتالٍ ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، وظفر بالإمام عليه السلام لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمام عليه السلام وإنّما لأنّ معاوية- وهو من دهاة السياسة النكراء والشيطنة- يعلم أنّ إراقة دم الإمام عليه السلام علناً وهو بتلك القدسية البالغة فى قلوب الأمّة كفيل بأن يفصل الأمويّة عن الإسلام ويذهب بجهود حركة النفاق عامة والحزب الأموى خاصة أدراج الرياح، خصوصاً الجهود التى بذلها معاوية فى مزج الأموية بالإسلام فى عقل الأمّة وعاطفتها مزجاً لم يعد أكثر هذه الأمّة بعدها يعرف إلا (الإسلام الأموى)، حتّى صار من غير الممكن بعد ذلك الفصل بين الإسلام والأموية إلا إذا أريق ذلك الدم المقدّس- دم الإمام عليه السلام- على مذبح القيام ضد الحكم الأموى. «۱»

ولقد صرّح معاوية بذلك حتى للإمام الحسين عليه السلام نفسه قائلًا: «.. ولكننى قد ظننتُ ياابن أخى أنّ فى رأسك نزوة، وبودّى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكننى واللّه أتخوّف أن تُبلى بمن لاينظرك فواق ناقة». «۲»

وقال فى وصيته لابنه يزيد بصدد الإمام الحسين عليه السلام: «.. ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإنْ خرج وظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رحماً ماسّة وحقاً عظيماً وقرابة من محمّد». «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۲۹

وكان النعمان بن بشير مؤمناً بصحة نظر معاوية فى هذا الصدد، وقد أراد أن يذكّر يزيد نفسه بذلك، حينما استدعاه يزيد الى القصر بعد مقتل الإمام عليه السلام وبعد نصب الرأس المقدّس بدمشق، فلمّا جاءه سأله يزيد قائلًا: كيف رأيت ما فعل عبيداللّه بن زياد؟

قال النعمان: الحرب دُوَل.

فقال يزيد: الحمد للّهالذى قتله!

قال النعمان: قد كان أميرالمؤمنين- يعنى به معاوية- يكره قتله. «۱»

ولا شك أن معاوية- كما قلنا من قبل- يكره قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة علنية، أمّا فى مواجهة سريّة فما أكثر من قتلهم معاوية بالسّم أو الاغتيال، ومنهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فمعاوية لايتورّع قيد أنملة فى المبادرة الى قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة سرية بسمّ أو اغتيالًا مادعته الضرورة إلى ذلك.

من كلّ ما تقدّم نرجّح أنّ موقف النعمان بن بشير من الثوّار ومن بوادر الثورة إنّما اتسم ظاهراً باللين والتسامح لأنه كان يرى- إيماناً بنظرة معاوية- أنّ المواجهة العلنيّة مع الإمام الحسين عليه السلام ليست فى صالح الحكم الأموى.

فلم يكن النعمان ضعيفاً، بل كان يتضعّف مكراً وحيلة، معوّلًا على الأسلوب السرّى والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلّص من مسلم بن عقيل عليه السلام، بل حتى من الإمام الحسين عليه السلام.

فالنعمان لم يكن «حليماً ناسكاً يحبّ العافية!» كما صوّرته رواية الطبرى، أو «يحب العافية ويغتنم السلامة!» كما صوّرته رواية الدينورى، بل كان شيطاناً يحذو

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۰

حذو معاوية كبيرهم الذى علّمهم الشيطنة فى رسم الخطط الماكرة، لكنّه أخطأ هذه المرّة فى حساباته، تماماً كما صوّرت ذلك التقارير المرفوعة إلى يزيد من عملاء وجواسيس الحكم الأموىّ فى الكوفة، لأنّ الزمن آنذاك كان يجرى فى صالح النهضة الحسينية، وكان لابدّ من المسارعة الى عزل النعمان والإتيان بوالٍ غشوم كعبيد اللّه بن زياد، يبادر إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة التى تقلب مسار حركة الأحداث فى العاجل لصالح الحكم الأموى، وهكذا كان.

ونحن- مع هذا- لاننفى احتمال أن يكون لسخط النعمان على يزيد، ولوجود صلة المصاهرة بينه وبين المختار تأثير على موقفه من الثوار، لكننا نرجّح أنّ السبب الذى بيّناه كان هو السبب الأهم.

حركة السلطة الأموية المركزية فى الشام ..... ص: ۱۳۰

اشارة

لنعد إلى متابعة حركة الأحداث حسب تسلسلها التأريخى، وننظر ماذا صنعت فى دمشق التقارير التى رفعها إلى يزيد من الكوفة الأمويون فيها مثل عمارة بن عقبة، وعملاؤهم مثل عمر بن سعد بن أبى وقاص، وجواسيسهم مثل عبداللّه بن مسلم بن سعيد الحضرمى!

يتابع الطبرىّ رواية القصة قائلًا: «فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد، ليس بين كتبهم إلّا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون «۱» مولى معاوية.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۱

فقال: مارأيُك؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغنى عن النعمان ضعفٌ وقول سيءٌ- وأقرأه كتبهم- فماترى؟ من أَستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيداللّه بن زياد.

فقال سرجون: أرأيت معاوية لو نُشر لك أكنت آخذاً برأيه؟

قال: نعم.

فأخرج عهد عبيداللّه على الكوفة ..

فقال: هذا رأى معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب.

فأخذ برأيه، وضمّ المصرين إلى عبيداللّه، وبعث إليه بعهده على الكوفة» «۱».

ثمّ يتابع الطبرى رواية القصة قائلًا:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۲

«ثمّ دعا مسلم «۱» بن عمرو الباهلى وكان عنده، فبعثه إلى عبيداللّه بعهده إلى البصرة، وكتب إليه معه:

أمّا بعدُ، فإنّه كتب إلىَّ شيعتى! من أهل الكوفة يخبروننى أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين، فَسِرْ حين تقرأ

كتابى هذا حتى تأتى أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه.

والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيداللّه بالبصرة. فأمر عبيداللّه بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد». «۲»

هذا وقد نقل الموسوى الكركى فى كتابه (تسلية المجالس) رسالة يزيد إلى ابن زياد بتفاوت مهم، ونصّها:

«سلام عليك. أمّا بعد: فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، والمسبوب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت ونُميتَ إلى كلّ منصب كما قال الأوّل:

رُفِعتَ فجاوزتَ السحاب برفعةٍ فمالك إلّا مقعدُ الشمسِ مقعَدُ

وقد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وابتلى بلدك دون البلدان. وقد أخبرتنى شيعتى من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل فى الكوفة يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبى تراب، فإذا أتاك كتابى هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفينى أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة فى عملك فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع واعلم أنه لا عذر لك عندى دون ما أمرتك، فالعجل العجل، الوحا الوحا، والسلام». «۱»

وقد روى الوالد قدس سره فى كتابه (مقتل الإمام الحسين عليه السلام) نقلًا عن كتاب ناسخ التواريخ أن يزيد فى رسالته لابن زياد قال: «بلغنى أنّ أهل الكوفة قد اجتمعوا على البيعة للحسين، وقد كتبت إليك كتاباً، فاعمل عليه، فإنى لا أجد سهماً أرمى به عدوّى أجرأ منك، فإذا قرأت كتابى هذا فارتحل من وقتك وساعتك، وإيّاك والإبطاء والتوانى، واجتهد ولا تبق من نسل علىّ بن أبى طالب أحداً، واطلب مسلم بن عقيل وابعث إلىَّ برأسه». «۲»

تأمّل وملاحظات ..... ص : ۱۳۲

۱) - سرجون النصرانى .. والإقتراح المتوقَّع! ..... ص : ۱۳۲

فى إطار حركة النفاق- بعد وفاة رسول اللّه صلى الله عليه و آله- كان فصيل منافقى أهل الكتاب يرى أنّ غاية وجوده وعلّة تأسيسه هى دعم خطّ الإنحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وتكفى نظرة عابرة على سيرة أمثال: كعب الأحبار، وتميم الدارى،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۴

ووهب بن منبّه، ونافع بن سرجس مولى عبداللّه بن عمر، وسرجون مستشار معاوية ويزيد، وأبىزبيد مستشار الوليد بن عقبة، دليلًا على منهج هذا الفصيل فى نوع حركته على أساس العداء لأهل البيت عليهم السلام.

فكان من المتوقّع بما يشبه اليقين- على ضوء التحليل التأريخى والنفسى- أن يبادر سرجون نفسه فيقترح على يزيد تعيين عبيداللّه بن زياد والياً على الكوفة بدلًا من النعمان بن بشير لمواجهة المستجدّات الصعبة هناك، لما يعلمه سرجون من حقد عبيداللّه على أهل البيت عليهم السلام وبغضه الشديد لهم، وهذا أهم مزايا عبيداللّه فى نظر سرجون، ولما يعلمه فيه من عدم التورع عن الغشم والظلم والقتل، وقدرة إداريةعمادها المكر والحيلة، فهو الرجل المناسب لإدارة الأمور فى الكوفة فى ذلك الظرف الإستثنائى المعقّد.

لكنّ سرجون يعلم أيضاً أنّ هذا الإقتراح قد لايقبله يزيد لأنّه كان يبغض عبيداللّه بغضاً شديداً «۱» أو كان عاتباً عليه، «۲» فسعى سرجون إلى دعم هذا الإقتراح بكتاب معاوية- الذى أمر به قبيل وفاته- بتولية عبيداللّه بن زياد على الكوفة، مؤكداً بذلك مطابقة رأى معاوية لرأيه فى هذه المسألة أو العكس.

فسرجون وهو ممثل فصيل منافقى أهل الكتاب فى البلاط الأموىّ لم يكن غير ذى رأى فى المسألة، بل كان قد اقترح ما يراه هو- بطريقة غير مباشرة- فى إطار رأى معاوية فى نفس المسألة، وما يدرينا فلعلّه كان قد أشار على معاوية أيضاً بنفس هذا الرأى فتبنّاه

معاوية، ثمّ أظهره سرجون ليزيد فى الوقت المناسب على أنه رأى أبيه، واللّه العالم.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۵

۲)- ماذا يعنى عهد معاوية- أواخر أيّامه- لعبيداللّه على الكوفة!؟ ..... ص : ۱۳۵

لقد أحسَّ معاوية بن أبى سفيان قبيل وفاته بإرهاصات تمرّد الكوفيين على الحكم الأموى، ذلك لأنّ عامة أهل العراق بنوع خاص نتيجة مالمسوه من فداحة الظلم الأموى صاروا يرون بغض بنى أميّة وحبّ أهل البيت عليهم السلام ديناً لأنفسهم. «۱»

فكان لابدَّ للكوفة خاصة من إدارة قويّة تمسك بأزمّة الأمور فيها، الأمر الذى لم يوفّق فيه النعمان بن بشير واليها وقتذاك، فبادر معاوية إلى استباق الأحداث وعهد الى عبيداللّه بن زياد بالولاية على الكوفة، ليضبط الأمور فيها، لكن الموت أدرك معاوية قبل التنفيذ العملى لهذا العهد، وبقى كتاب هذا العهد محفوظاً عند مستشاره سرجون النصرانى، الذى ربّما كان هو الذى حرّك معاوية باتجاه اتخاذ مثل هذا القرار.

هذا، وهناك رأى آخر يقول: إنّ قرار معاوية- بمشورة سرجون- بتعيين عبيداللّه بن زياد والياً على الكوفة يعتبر الخطوة العملية الأولى لقتل الإمام الحسين عليه السلام، ذلك لأنّ معاوية يعلم أنّ الإمام عليه السلام- بعد موت معاوية- لن يبايع ليزيد، ولابدّ له من القيام، ولابدّ لأهل الكوفة من تأييده ودعوته إليهم، فلابُدَّ إذن من المواجهة العلنية مع الإمام عليه السلام.

ومعاوية يعلم أنّ يزيد وعبيداللّه بن زياد بما يحملانه من حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام واعتساف فى معالجة الأمور وقلّة فى التدبّر والدهاء والصبر سوف يقدمان على قتل الإمام الحسين عليه السلام، بل كان معاوية قد أخبر الإمام عليه السلام بذلك فى إحدى رسائله إليه. «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۶

إذن فمعاوية بهذا مشارك فعّال فى جريمة قتل الإمام عليه السلام!

ونقول: إنّ هذا صحيح من حيث النظر الى النتيجة العملية، وقد أدرك معاوية هذه النتيجة فى حياته، فى إصراره على البيعة لإبنه يزيد ولياً للعهد من بعده- وتولية يزيد على كلّ البلاد أهمّ من تولية عبيداللّه على الكوفة- وكان معاوية يعلم بأنّ يزيد سيرتكب تلك الجريمة- التى تحاشا معاوية أن يرتكبها هو فى حياته- لأنه يعلم أنّ قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة علنية، سوف يقضى بالنتيجة على الحكم الأموى نفسه، وعلى كلّ جهود حركة النفاق منذ وفاة الرسول صلى الله عليه و آله، إلى موت معاوية، ولذا كان معاوية إذا تأمّل فى النتيجة العملية تأكلُ قلبه الحسرة إزاء ضعفه أمام عاطفته ليزيد وهواه فيه، فكان يقول: «ولولا هواى فى يزيد لأبصرت رشدى وعرفت قصدى ..». «۱»

وقد حاول معاوية قبل موته أن يحتاط لهذا الأمر وأن يحول دون أن يرتكب يزيد من بعده حماقة قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة علنية، فأوصاه بذلك، «۲» ولعلّه أكّد عليه فى هذه المسألة بأكثر من سبيل، ولات حين فائدة!!

۳)- يزيد يستخدم أسلحة أبيه فى الإرهاب الدينى!! ..... ص : ۱۳۶

من التضليل الدينى الذى ابتدعه معاوية لتثبيت ملكه، ولاستخدامه فى إرهاب الأمّة إرهاباً دينياً من أجل تحذيرها وتخديرها عن التفكير بالقيام ضده، الأحاديث الكثيرة التى وضعها له وافتراها على رسول اللّه صلى الله عليه و آله عملاؤه من صحابة وتابعين معروفين بنفاقهم وتهالكهم على دنيا معاوية، كأبى هريرة، وعمرو بن العاص،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۷

وعبداللّه بن عمر، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، وغيرهم من النفعيين، الذين تفنّنوا فى وضع مفتريات تدعو الأمّة الى الصبر

على ظلم الحاكم الجائر والخضوع له وعدم الخروج عليه، فمن مفتريات ابن عمر- على سبيل المثال لا الحصر- «ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هـذه الأمّـة وهى جمع فاضـربوه بالسـيف كائنـاً ما كان» و «من رأى من أميره شـيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّ من فارق الجماعة شبراً فمات إلا ميتة جاهلية!» و «أدّوا إليهم حقّهم- أى الحكام- واسألوا اللّه حقّكم!» «۱» وأمثال ذلك.

فأراد يزيد أن يعزف على نفس النغمة فى رسالته الى عبيداللّه بن زياد بقوله:

«فإنه كتب إلىَّ شـيعتى! من أهل الكوفة يخبروننى أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين ..»، وكأنّ يزيد أراد أن ينبّه ابن زياد ليقوم باسـتخدام تهمة «شقّ عصا المسـلمين» فى مواجهة مسلم إعلامياً، ويعرّفه أن عقوبة هذه التهمة هى القتل، وما يجرى على مسـلم من التهم عند الأمويين يجرى بالضرورة على سيّده الإمام الحسين عليه السلام، بل لقد وجّه الأمويون هذه التهمة إلى الإمام عليه السلام بشكل سافر لمّا أرادوا منعه عن الخروج من مكّة المكرّمة فأبى عليهم، حيث نادوه: «ياحسين، ألا تتقى اللّه؟ تخرج من الجماعة، وتفرّق بين هذه الأمّة!!». «۲»

ولقد أسـرف ابن زياد فى اسـتخدام هذه التهمة إعلامياً ضدّ مسـلم بن عقيل عليه السلام والثوّار فى الكوفة لتنفير الناس عنهم، وخاطب مسـلماً عليه السـلام بهذه التهمة مباشـرة بعد أن تمكّنوا منه وأحضـروه فى القصـر قائلًا: «ياعاقّ، ياشاقّ، خرجت على إمامك، وشـققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة!»، لكنّ البطل الشجاع مسلم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۸

بن عقيل عليه السـلام ردّ عليه قائلًا: «كذبت ياابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحها أنت وأبوك زياد ..». «۱»

۴)- من هو عبيداللّه بن زياد!؟ ..... ص : ۱۳۸

كـان زيـاد بن أبيه قبـل اسـتلحاق معاويـة إيّاه وادعّائه أنه أخوه من أبيه يرى نفسه من الموالى، لأنه ولـد على فراش عبيـد الرومى، «۲» فكـان زيـاد يحنو على الموالى ويـدافع عنهم ويـدرء عنهم الغوائـل، كمـا فعـل فى ردّ عمر بن الخطـاب عن خطّته فى الفتـك بالموالى والأعاجم التى كتب بها الى أبى موسى الأشعرى. «۳»

ولعلّ هذا العامل النفسى كان أقوى عوامل انتماء زياد بن أبيه إلى صفّ أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام والعمل تحت لوائه حينذاك.

وكان معاوية بدهائه وخبثه ومعرفته بنفسـية زياد بن أبيه قد انتبه الى هذا العامل النفسـى المؤثّر جدّاً فى نوع انتماء زياد فكرياً وسياسـياً، فبادر إلى القول بتلك الدعوى المختلقة، دعوى الإسـتلحاق، ليُطلق زياداً من عقدة انتمائه الى الموالى، وينسـبه إلى نسبه (إلى أبيه) أى إلى بيت معروف من بيوتات قريش، وبهذا ضمن معاوية- بماله من معرفة بزياد- تحوّله إلى صفّه وباطله.

وهكـذا كـان، فبعـد أن تحوّل زياد إلى باطل معاويـة متحرراً من عقـدة الموالى بطش بالموالى أشـدّ البطش، وكان جلّ الشـيعة منهم، وساعده على ذلك معرفته السابقة بهم وبأشخاصهم ورموزهم وأمكنتهم.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۳۹

وفى الرسالـة الإحتجاجيـة الشاملـة التى بعثها الإمام الحسـين عليه السـلام إلى معاويـة أشار عليه السـلام إلى هذا البعد النفسـى من وراء الإستلحاق إضافة إلى مخالفة هذا الإستلحاق للشريعة المقدّسة، تأمّل فى قوله عليه السلام فى هذه الرسالة:

«أولستَ المـدّعى زيـاد بن سـميّة المولود على فراش عبيـد ثقيف!؟ فزعمت أنّه ابن أبيـك، وقـد قـال رسول اللّه صـلى الله عليه و آله: «الولـد للفراش وللعاهر الحجر»، وتركت سُـنّة رسول اللّه تعمّـداً وتبعت هواك بغير هدى من اللّه، ثُمَّ سـلّطته على العراقين، يقطّع أيدى المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلّبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة وليسوا منك ..». «۱»

ولقـد نشأ عبيداللّه بن زياد فى ظلّ الإعتزاز بالنسب السـفيانى، وكان يفخر به، «۲» وأجّج فيه وهم هذا الإنتساب نيران حقد شديد على

أهل البيت عليهم السلام خاصة والشيعة عامة، فسجّل له التأريخ ملفاً أسود مليئاً بأبشع الجرائم التى يندى لها جبين التأريخ نفسه!

وروى أنّ عبيداللَّه ولد سنة ٢٠ ه، «٣» وكانت أمّه مرجانة مجوسية معروفة بالبغاء، فارقها زياد وتزوّج بها شيرويه (الأسوارى)، «۴» ودفع زياد إليها عبيداللَّه فنشأ فى بيت شيرويه (ولم يكن مسلماً) وتربّى فى بيته، فكانت فيه لكنة لايستطيع

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۰

بسببها أداء بعض الحروف العربية كماهى، فكان يقول للحرورى مثلًا: هرورى، فيضحك سامعوه. «۱»

وهلك أبوه زياد سنة ۵۳ ه، فوفد ابنه عبيداللَّه على معاوية فولاه خراسان سنة ۵۴ ه، «۲» ثمّ ولاه البصرة سنة ۵۵ ه، فترك على خراسان أسلم بن زرعة الكلابى ورجع إلى البصرة. «۳» ولما مات معاوية كان عبيداللَّه لم يزل والياً عليها.

ومع أنّ حقد عبيداللَّه بن زياد على أهل البيت عليهم السلام كان كافياً فى دفعه الى ارتكاب جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام، لكنّ خوفه من نقمة يزيد عليه وبغضه له، ورغبة عبيداللَّه فى ترضية يزيد والتودّد إليه، شكّلا دافعاً مضافاً فى العزم على قتل الإمام عليه السلام وإظهار الإخلاص التام ليزيد. «۴»

وكان يزيد قد استخدم مع عبيداللَّه نفس سلاح أبيه معاوية مع زياد فى تهديده بسحب هوية النسب الأموى المكذوب منه فيعود كما هو عبداً لثقيف، حينما حثّه على امتثال أمره فى قتل الإمام عليه السلام إذ كتب إليه: «إنه قد بلغنى أنّ حسيناً سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعنده تُعتق أو تعود عبداً، فقتله عبيداللَّه وبعث برأسه وثقله إلى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۱

يزيد». «۱»

وكان عبيداللَّه قبيح السريرة، فاسقاً ظالماً غشوماً جباناً إذا ضعف، جبّاراً إذا تمكّن، قال الحسن البصرى: «قدم علينا عبيداللَّه، أمّره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً .. وكان عبيداللَّه جباناً». «۲»

«وكان الحسن البصرى يسمّيه الشابّ المترف الفاسق، وقال فيه: مارأينا شراً من ابن زياد!». «۳»

و «جىء إليه بسيّد من سادات العراق، فأدناه منه ثمّ ضرب وجهه بقضيب كان فى يده حتى كسر أنفه وشقّ حاجبيه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه». «۴»

«وغضب على رجل تمثّل بآية من القرآن، فأمر أن يُبنى عليه ركن من أركان قصره!». «۵»

«وكان يقتل النساء فى مجلسه، ويتشفّى بمشاهدتهن يعذّبن وتقطّع أطرافهن!». «۶»

«عاش مكروهاً عند أهل العراق» «۷» و «مهيناً عند أهل الحجاز». «۸»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۲

«لما مات يزيد أغرى بعضَ البصريين أن يبايعوه، ثم جبن عن مواجهة الناس فاستتر ثم هرب الى الشام .. وكان عبيداللَّه من الأكلة، كان يأكل جدّياً أو عناقاً يُتخيّر له فى كلّ يوم فيأتى عليه! وأكل مرّة عشر بطّات وزبيلًا من عنب، ثمّ عاد فأكل عشر بطّات وزبيلًا من عنب وجدياً!!».»

«قال التنوخى: إنّ عبيداللَّه بن زياد لمّا بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين صوّر على بابها رؤوساً مقطّعة، وصوّر فى دهليزها أسداً وكبشاً وكلباً، وقال: أسد كالح، وكبش ناطح، وكلب نابح.

فمرّ بالباب أعرابىّ فرأى ذلك فقال: أما إنّ صاحبها لا يسكنها إلّا ليلة واحدة لا تتم!

فرفع الخبر إلى ابن زياد، فأمر بالأعرابى فضُرب وحُبس، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكون ووجوه أهل البصرة فى أخذ البيعة له، ودعا الناس الى طاعته فأجابوه، وراسل بعضهم بعضاً فى الوثوب عليه فى ليلتهم (أى على ابن زياد)، فأنذره

قوم كانت له صنائع عندهم، فهرب من داره فى ليلته تلك، واستجار بالأزد فأجاروه، ووقعت الحرب المشهورة بينهم وبين بنى تميم بسببه، حتى أخرجوه فألحقوه بالشام، وكُسِر الحبس فخرج الأعرابى، ولم يعد ابن زياد الى داره، وقتل فى وقعة الخازر». «۲»

ولما رأى ابن زياد- بعد فاجعة كربلاء- أنه لم يجنِ إلا غضب اللَّه وسخط الناس عليه «۳» سعى إلى التنصّل من مسؤولية قتل الإمام عليه السلام، فكان يدّعى قائلًا: «أمّا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۳

قتلى الحسين فإنّه أشار إلىّ يزيد بقتله أو قتلى فاخترتُ قتله!». «۱»

ولمّا جاء نعى يزيد هرب عبيداللَّه بعد أن كاد يؤسر، واخترق البرية إلى الشام، وانضم إلى مروان وقاتل معه، فلمّا ظفر مروان ردّه إلى العراق، فلمّا دخل أرض العراق وجّه المختار إليه إبراهيم بن مالك الأشتر، فالتقوا بقرب الزاب، وقتل إبراهيم بن الأشتر عبيداللَّه بن زياد بضربة نجلاء قدَّه بها نصفين، وكان ذلك فى يوم عاشوراء سنة ۶۷ ه. «۲»

«وأُنفذ رأس عبيداللَّه بن زياد الى المختار ومعه رؤوس قوّاده، فأُلقيت فى القصر، فجاءت حيّة دقيقة فتخلّلت الرؤوس حتى دخلت فى فم عبيداللَّه بن زياد ثم خرجت من منخره، ودخلت فى منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، أخرج هذا الترمذىّ فى جامعه». «۳»

وكانت جثّته قد أحرقت بعد قطع رأسه. «۴»

وهلك هذا الطاغية حين هلك ولم يكن له عقب. «۵»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۴

ومع أننا نجد فى كتاب اللَّه الحكيم أنّ اللَّه تعالى لعن المفسدين فى الأرض القاطعين الرحم فى قوله تعالى: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطّعوا أرحامكم* أولئك الذين لعنهم اللَّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم»، «۱»

ولا نظن أنّ مسلماً عاقلًا عالماً يشك فى أنّ يزيد وعبيداللَّه بن زياد وأضرابهم كانوا المصداق الأتمّ لمفهوم المفسد فى الأرض والقاطع الرحم، كيف لا وقد قتلوا عامدين ريحانة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله الإمام الحسين عليه السلام شرّ قتلة مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه وسبوا حريم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على أفجع حالة، يتصفّح وجوههنّ الأعداء والغرباء من كربلاء الى الشام!؟ وهل هناك عند اللَّه وعند المؤمنين رَحِم أعزّ وأولى بالصلة من رحم رسول اللَّه صلى الله عليه و آله!؟ وهل هناك إفساد مُتصوَّر أكثر وأكبر وأنكر مما اجترحه يزيد وعبيداللَّه وأضرابهم!؟

مع كلّ هذا، يقول الذهبى فى شدّة ورع وتقوى!!: «الشيعى لايطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم فى اللَّه!، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى اللَّه!». «۲» ونقول: شنشنة أعرفها من أخزمِ!! «۳»

هل غيّرت السلطة الأموية المركزية والى مكّة؟ ..... ص : ۱۴۴

يذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ معاوية مات حين مات: «وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وعلى مكّة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أميّة، «۴» وعلى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۵

الكوفة النعمان بن بشير الأنصارىّ، وعلى البصرة عبيداللَّه بن زياد». «۱»

وهذا يعنى أنّ السلطة الأموية المركزية فى دمشق قد عزلت يحيى بن حكيم عن ولاية مكّة، وأحلّت مكانه عمرو بن سعيد الأشدق، ضمن الإجراءات الجديدة التى اتخذتها على أثر وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرّمة.

غير أنّ مؤرّخين آخرين رووا أنّ عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق هو الذى كان والياً على مكّة حين مات معاوية، «۲» ثم جمع له

يزيد الولاية على مكّة والمدينة بعد عزله الوليد بن عتبة عن منصب الولاية فى المدينة.

ومما يؤيد هذا ماروى أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا ورد مكّة قال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك!؟ فقال عليه السلام: عائذاً باللّه وبهذا البيت. «۳»

فتأمّل.

عزل الوليد بن عتبة عن ولاية المدينة ..... ص : ۱۴۵

كان الوليد بن عتبة «۴» أمويّاً مخلصاً كلّ الإخلاص للحكم الأموىّ عن وعيٍ تام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۶

لانتمائه القبلى وحرص بالغ على تقديم بنى أميّة على من سواهم، وكان فى نفس الوقت يتمنّى أن لايصطدم مع بنى هاشم عامة وأهل البيت خاصة، ويطلب العافية من ذلك ويرجوها.

وفى صدد الموقف من الإمام الحسين عليه السلام خاصة كان الوليد يتبنّى نظرة معاوية الذى كان يرى أنّه ليس من مصلحة الحكم الأموى أن يدخل فى مواجهة علنية مع الإمام الحسين عليه السلام، مع ماروى أنّ الوليد كان يرى لأهل البيت عليهم السلام حرمة ومنزلة عند اللّه تعالى!، ولذا فقد اتّسم موقفه من رفض الإمام الحسين عليه السلام بالتسامح واللّين، الأمر الذى أغضب السلطة الأموية المركزية فى دمشق وأسخطها على الوليد، فقام يزيد بعزل الوليد عن ولاية المدينة فى شهر رمضان من نفس السنة، «۱» وأضاف ولاية المدينة لعمرو بن سعيد الأشدق مع ولاية مكّة المكرّمة.

رسالة يزيد إلى عبداللّه بن عبّاس ..... ص : ۱۴۶

ومن الإجراءات التى بادرت إليها السلطة الأموية المركزية فى الشام بعد وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكّة إرسال الكتب إلى من يحتمل أن يكون له تأثير على موقف الإمام الحسين عليه السلام من بنى هاشم خاصة أو من وجهاء الأمّة الإسلامية عامة، «۲» وقد سجّل لنا التأريخ فى هذا الإطار قصة الرسالة التى بعث بها يزيد الى عبداللّه بن عباس يطلب إليه فيها أن يردَّ الإمام عليه السلام عن الخروج على النظام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۴۷

الأموى، وأن يحذّره من مغبّة ذلك، ويمنّيه بالأمان والصلة البالغة والمنزلة الخاصة عند السلطان الأموى!

«قال الواقدى: ولمّا نزل الحسين مكّة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس:

أمّا بعدُ: فإنّ ابن عمّك حسيناً وعدوّ اللّه ابن الزبير التويا ببيعتى ولحقا بمكّة مرصدين للفتنة، معرّضين أنفسهما للهلكة، فأمّا ابن الزبير فإنه صريع الفناء وقتيل السيف غداً، وأمّا الحسين فقد أحببت الإعذار إليكم أهل البيت مما كان منه، وقد بلغنى أنّ رجالًا من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنّونه الخلافة ويمنّيهم الإمرة، وقد تعلمون مابينى وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتايج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتّه، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك، فالقه فارده عن السعى فى الفرقة، وردّ هذه الأمّة عن الفتنة، فإنْ قبل منك وأناب إليك فله عندى الأمان والكرامة الواسعة، وأجرى عليه ما كان أبى يجريه على أخيه، وإنْ طلب الزيادة فاضمن له ما أراك اللّه أنفذ ضمانك، وأقوم له بذلك وله علىَّ الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد فى كلّ الأمور عليه.

عجّل بجواب كتابى وبكلّ حاجة لك إلىَّ وقِبَلى، والسلام». «۱»

وأضاف صاحب تذكرة الخواص قائلًا:

«قال هشام بن محمد: وكتب يزيد فى أسفل الكتاب:

ياأيها الراكب الغادى لمطيته «۲» على عذافرة فى سيرها قحمُ

أَبلغ قريشاً على نأى المزار بها بينى وبين الحسين اللَّهُ والرحمُ

وموقف بفناء البيت أنشده عهد الإله غداً يوفى به الذممُ

هنيتمُ قومكم فخراً بأُمِّكمُ أُمُّ لعمرى حسانٌ «۱» عفّة كرمُ

هى التى لايُدانى فضلها أحدٌ بنت الرسول وخير الناس قد علموا

إنّى لأعلم أو ظنّاً لعالمه والظنّ يصدق أحياناً فينتظمُ

أنْ سوف يترككم ماتدّعون به قتلى تهاداكم العقبان والرخمُ

ياقومنا لاتشبّوا الحرب إذ سكنتْ وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا

قد غرَّتالحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأممُ

فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فَرُبَّ ذى بذخ زلّت به القدمُ» «۲»

ملاحظات حول هذه الرسالة ..... ص : ۱۴۸

۱)- هناك مشتركات نفسية أساسية بين متن الرسالة وبين أبيات الشعر التى قال (هشام بن محمّد) إنّ يزيد أرفقها مع الرسالة، وأهم هذه المشتركات هو أنّ كليهما تضمّن الترغيب والترهيب معاً، ومخاطبة الإمام عليه السلام عن طريق ابن عبّاس الذى عبّر عنه يزيد ب (قريش) فى الشعر، وهناك مشترك نفسى آخر فيهما وهو أنّ يزيد اجتهد فى هذه الرسالة أن يمسك بزمام حنقه وغضبه، وهو الناصبىّ الفظّ

الغليظ الجلف الذى لايتناهى عن منكراته، «۱» وهذا التماسك فرضته الضرورة السياسية على مزاج يزيد الذى تعوّد الإستهتار، ولا يبعد أن تكون هذه الموازنة فى الترغيب والترهيب من تأثير وإملاء سرجون المستشار النصرانى المعتّق صاحب الخبرة فى الحرب النفسية ومعالجة الأزمات السياسية منذ عهد معاوية.

۲)- ونقف فى هذه الرسالة مرّة أخرى أيضاً أمام نفس النغمة التى يعزفها الحكم الأموىُّ بوجه المعارضة، وهى التحذير من شقّ عصا الأمّة وتفريق كلمة المسلمين وإرجاعهم إلى الفتنة وما إلى ذلك.

هذا السلاح الذى ابتكره معاوية واستخدمه فى وجه معارضيه بعد أن روّج له فى الأمّة من خلال أحاديث مفتريات على رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تدعو الأمّة الى الخنوع للحاكم الظالم والصبر على جوره، وتدعو إلى قتل كلّ من ينهض للخروج على الحكّام الجائرين بتهمة شقّ عصا الأمّة وتفريق كلمتها.

فليس من المستغرب أن يخاطب يزيد ابن عبّاس بذلك فيقول: «فالقه فارددە عن السعى فى الفرقة، ورُدَّ هذه الأمّة عن الفتنة!»، وليس بمستغرب أن يخاطب ابن زياد مسلم بن عقيل قائلًا: «أتيتَ الناسَ وهم جميع فشققتَ بينهم وفرّقتَ كلمتهم وحملت بعضهم على بعض!»، «۲» فمن قبل كان معاوية يدسُّ تلك التهم إلى الإمام الحسين عليه السلام ويعزف نفس النغمة من خلال تحذيره بألّا يشقّ

عصا هذه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۰

الأمّة وألّما يردّها فى الفتنة، وكان الإمام أبو عبداللّه الحسين عليه السلام يجيبه قائلًا: «.. فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسى وولدى وأمّة جدّى أفضل من جهادك، فإن فعلته فهو قربة إلى اللّه عزوجلّ، وإن تركته فاستغفر اللّه لذنبى وأسأله توفيقى لإرشاد أمورى ..». «۱»

۳)- سعى يزيد فى هذه الرسالة الى اتهام الإمام عليه السلام بأنّ غاية خروجه طلب الملك والدنيا، ولذا فقد طلب فى الرسالة الى ابن عبّاس أن يمنّى الإمام عليه السلام- فى حال تخلّيه عن القيام- بالأمان والكرامة الواسعة! وإجراء ماكان معاوية يجريه على أخيه عليه السلام! وأنّ له ما يشاء من الزيادة على ذلك!

ويزيد يعلم تمام العلم أنّ الإمام عليه السلام لم يقم ولم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنّما خرج لطلب الإصلاح فى هذه الأمّة المنكوبة بكارثة الحكم الأموى الجاثم على صدرها سنين طويلة، لكنّها عادة الطغاة فى مواجهة الثائرين وعادة الضلال فى مواجهة الهدى، فمن قبل سعى أبو سفيان جدُّ يزيد وأعلام جاهلية قريش إلى إتهام النبى صلى الله عليه و آله بتهمة طلب الملك والدنيا، وشرطوا لأبى طالب عليه السلام أن يحققوا له صلى الله عليه و آله كلّ مايتمنّاه من ذلك فيهم إذا هو تخلّى عن دعوته، لكنّ النبى صلى الله عليه و آله ردّ على إغرائهم وتهمتهم بقاطعية يخلد ذكرها ما خلد الدهر:

«ياعم واللّه، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يُظهره اللّه أو أهلك فيه ماتركته». «۲»

۴)- ومع ماقدّمناه من ملاحظات حول متن هذه الرسالة، ينبغى أن نلفت الإنتباه إلى أنّ الواقدى الذى رويت عنه قصة هذه الرسالة قد تأمّل علماء الرجال فيه أو رموه بالكذب، فقد قال الذهبى: «قال البخارى: سكتوا عنه، تركه أحمد وابن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۱

نمير، وقال أسلم وغيره: متروك الحديث، وقال النسائى: ليس بثقة. وقال الشافعى:

كُتُب الواقدى كذب. وقال ابن معين: ليس الواقدى بشىء. وقال مرّة: لايُكتب حديثه. وقال أحمد بن حنبل: الواقدىّ كذّاب. وقال إسحاق: هو عندى يضع الحديث. وقال النسائى: المعروفون بوضع الحديث على رسول اللّه أربعة ..

والواقدى ببغداد. وقال أبوزرعة: ترك الناس حديث الواقدى. وروى عبداللّه بن على المدينى، عن أبيه قال: عند الواقدى عشرون ألف حديث لم أسمع بها، ثمّ قال: لا يُروى عنه وضعّفه». «۱»

هذا عند رجاليّى العامة، وأمّا عندنا فلم يتعرّضوا له بمدح أو ذم، «۲» وإن حاول المامقانى جعله فى سلك الحسان، «۳» كما تفرّد ابن النديم فى نسبته إلى التشيّع.

هذا فضلًا عن أنّ الرواية مرسلة، لأنّ الواقدى وراوى الرسالة ولد بعد المائة والعشرين للهجرة، والرسالة- على الفرض التأريخى- تكون قد صدرت عام ستين للهجرة.

والظاهر أنّ أوّل من ذكر أنّ هذه الرسالة كانت موجّهة الى ابن عباس هو ابن عساكر المتوفّى سنة ۵۷۱ ه، «۴» وبعده سبط ابن الجوزى المتوفى ۶۵۴ ه، ثمَّ المزّى المتوفى ۷۴۲ ه، أمّا الكتب التأريخية التى هى أقدم من هذه الكتب كالفتوح وتأريخ الطبرى فهى خالية من هذه الرسالة، والأبيات الشعرية التى أوردها سبط ابن الجوزى فى ذيل الرسالة أو ردها صاحب الفتوح على أنّ المخاطب بها هم أهل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۲

المدينة- وسيأتى ذكرها- مما يثير الشبهة فى أنّ هذا الكتاب- الرسالة- ربّما كان من مفتعلات مرتزقة التأريخ الساعين فى خدمة الشجرة الملعونة، ظنّاً منهم أنّ ذكر مثل هذه الرسالة يشكّل تبريراً لموقف يزيد بأنّه قد بادر وكتب الى ابن عبّاس (بنى هاشم) وخاطب

الحسين عليه السلام من خلالهم، وأنّه قد أعذر من أنذر!

رسالة يزيد إلى (القرشيين) فى المدينة ..... ص : ۱۵۲

ويروى التأريخ أيضاً أنّ يزيد بعث برسالة الى أهل المدينة تتضمّن أبياتاً من الشعر- وهى التى مرّ ذكرها- تحتوى على تهديدهم وتحذيرهم من أى تحرك يتنافى ومصالح السلطة الأموية، فعن ابن أعثم الكوفى: «وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد- من قريش وغيرهم من بنى هاشم، وفيه هذه الأبيات ..

قال: فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات، ثمّ وجّهوا بها وبالكتاب إلى الحسين ابن علىّ- رضى اللّه عنهما- فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

«وإنْ كذّبوك فقل لى عملى ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل، وأنا برىء مما تعملون». «۱» والسلام. «۲»

ويظهر من قول المزّى أنّ يزيد كان قد كتب هذه الأبيات إلى ابن عبّاس وإلى من كان فى مكّة والمدينة من قريش، حيث يقول: «كتب بهذه الأبيات إليه وإلى من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۳

بمكّة والمدينة من قريش». «۱»

والملفت للإنتباه هنا أنّ جواب الإمام عليه السلام كاشف عن ازدرائه عليه السلام الكامل ليزيد إذ لم يذكر فى الجواب إسمه، كما لم يلقّبه بلقب، ولم يسلّم عليه، مما يتبيّن منه أنّ يزيد لعنه اللّه مصداق تام للمكذّب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام، وقد فصّلنا القول فى التعليق على هذه الرسالة فى الفصل الأوّل فراجع.

التخطيط لإغتيال الإمام عليه السلام أو إعتقاله فى مكّة ..... ص : ۱۵۳

ومن الإجراءات السرية التى اتخذتها السلطة الأموية المركزية فى الشام بعد فشل خطّتها الرامية الى اعتقال الإمام عليه السلام أو قتله فى المدينة المنوّرة، «۲» هو قيامها بالتدابير اللازمة لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله فى مكّة المكرّمة.

وخطّة السلطة الأموية لاغتيال الإمام عليه السلام فى مكة المكرّمة أو اعتقاله من المسلّمات التأريخية التى يكاد يجمع على أصلها المؤرّخون، وكفى بتصريح الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمّد بن الحنفية:

«ياأخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذى يُستباح به حرمة هذا البيت!» «۳»

وقوله عليه السلام للفرزدق: «لو لم أعجل لأخذت». «۴»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۴

ذكرت بعض المصادر التأريخية: «أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر، وأمّره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». «۱»

ويقول مصدر آخر: «وبعث ثلاثين من بنى أميّة مع جمع وأمرهم أن يقتلوا الحسين». «۲»

ويقول آخر: «إنهم جدّوا فى إلقاء القبض عليه وقتله غيلة ولو وجد متعلّقاً بأستار الكعبة». «۳»

ومن الوثائق التأريخية الكاشفة عن هذه الحقيقة رسالة ابن عباس الى يزيد والتى ورد فيها: «.. وما أنسَ من الأشياء، فلست بناسٍ

اطّرادك الحسين بن على من حرم رسول اللَّه الى حرم اللَّه، ودسّك عليه الرجال تغتاله .. فأكبر من ذلك مالم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم ..». «۴»

وفى هذا القدر من المتون التأريخية كفاية فى الدلالة على خطة السلطة الأموية المركزية فى الشام لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام أو اغتياله فى مكّة المكرّمة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۵

حركة السلطة الأموية المحليّة فى البصرة ..... ص : ۱۵۵

كان عبيداللَّه بن زياد مدّة ولايته على البصرة قد هيمن على ظاهر الحياة السياسية والإجتماعية فيها، لما عُرف عنه من قدرة على الغَشَم والظلم والجور، والتفريق بين القبائل، وخَلْقِ الكراهية بين الوجهاء والأشراف، وما إلى ذلك من فنون المكر فى إدارة شؤون الأمّة التى تعرف فساد حكّامها وفسقهم، وتنطوى على كرههم.

لكنّ باطن الحياة السياسية والإجتماعية فى البصرة آنذاك كان يشهد أمراً آخر وهو النشاط السرّى للمعارضة الشيعية بشكل أساسى، فقد كان للشيعة فى الخفاء منتدياتهم الخاصة التى يتداولون فيها الأخبار ووقائع الأحداث ومستجدّات الأمور ويتشاورون بصددها فيما بينهم، وكان ابن زياد على علم إجمالى بمثل هذه الحركة الخفية، وكان يتوجّس منها، والدليل على ذلك لحن الخطاب الأخير الذى ألقاه فى البصرة قبل سفره منها الى الكوفة.

تلقّى ابن زياد رسالة يزيد التى حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلى والتى ولّاه فيها على الكوفة إضافة إلى البصرة، ودعاه فيها الى المبادرة- حين قراءة الرسالة- الى التوجّه الى الكوفة ليطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتى يثقفه فيوثقه أو يقتله أو ينفيه.

وما إنْ قرأ ابن زياد الرسالة حتى أمر بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد، «۱» لكنّ المفاجأة التى أذهلته قبيل سفره إليها هى معرفته بأنّ الإمام عليه السلام قد ارسل رسولًا إلى البصرة إلى الأشراف ورؤساء الأخماس فيها يدعوهم فيها إلى تأييده والإنضمام إليه فى قيامه (وإن كان المتيقّن أنّ عبيداللَّه بن زياد قد اطّلع

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۶

بالفعل على نسخة رسالة الإمام عليه السلام الى المنذر بن الجارود فقط، لكنّ مما لاريب فيه أنّ خبرة ابن زياد الإدارية والسياسية تجعله على يقين بأنّ المنذر بن الجارود كان واحداً من الأشراف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ولم يكن الوحيد فيهم).

ولم يحدّثنا التأريخ- بل لم نقع على وثيقة تحدّثنا- أنّ ابن زياد قد سعى إلى معرفة الأشراف الآخرين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، أو سعى إلى مطاردتهم واضطهادهم مثلًا، ولعلّ ذلك بسبب ضيق الوقت والعجالة التى كان عليها فى عزمه على السفر الى الكوفة وهى الساحة الأهمّ والمضطربة الأحداث آنذاك، أو لأنه كان مطمئناً لولاء أكثر هؤلاء الأشراف للحكم الأموىّ.

لنعد إلى مجرى حركة الأحداث فى البصرة قبيل يوم واحد من سفر ابن زياد إلى الكوفة ..

وصلت نسخة من رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى اشراف البصرة بيد رسوله سليمان بن رزين إلى المنذر بن الجارود- الذى كانت ابنته بحرية زوجة لعبيداللَّه بن زياد- فلم يُخفِ أمر الرسالة كما فعل الآخرون ولم يحفظ الأمان للرسول، بل عزم على الخيانة التى تعوّدها من قبل، فأقبل بالرسالة وبالرسول الى عبيداللَّه بن زياد، زعماً منه «۱» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيسة من عبيداللَّه نفسه، فصلبه عبيداللَّه بن زياد، «۲» أو قدّمه فضرب عنقه على رواية أخرى. «۳»

ثمّ صعد عبيداللَّه منبر البصرة، وقلبه يرتعد خيفة من استجابة أهلها لنداء الإمام عليه السلام، ويعتصره القلق من انتفاضة المعارضة الخفية وقيامها مع الإمام عليه السلام،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۷

فكان خطابه مليئاً بالتهديد والوعيد، كاشفاً بذلك عن قلقه وخوفه، وعن قوّة المعارضة التى يخشاها، فقد قال فى خطابه بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه: «أمّا بعدُ، فواللَّه ما تُقَرنُ بى الصعبة، «۱» ولا يُقعقع لى بالشّنان، «۲» وإنّى لَنَكِلٌ «۳» لمن عادانى، وسمٌّ لمن حاربنى، أنصف القارة من راماها. «۴»

يا أهل البصرة، إنَّ أميرالمؤمنين ولّانى الكوفة، وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان، «۵» وإيّاكم والخلاف والإرجاف،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۸

فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لى ولا يكون فيكم مخالفٌ ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطىء الحصى ولم ينتزعنى شَبَهُ خالٍ ولا ابن عمّ». «۱»

ويلاحظ المتأمّل هنا أيضاً أنّ عبيداللَّه بن مرجانة مع كلّ ما أظهره من استعداد للظلم والغشم والقتل الكاشف عن خوفه وتوجّسه من قدرة المعارضة الخفية على التحرّك لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، كان قد افتخر بانتسابه الموهوم إلى أبى سفيان حيث قال: «وقد استخلفتُ عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان»، ومراده من هذا الإفتخار تحذير أهل البصرة وتخويفهم بتذكيرهم أنه وأخوه امتداد لعائلة معروفة بالحيلة والمكر والدهاء وبسابقة طويلة فى الممارسة السياسية.

حركة السلطة الأموية المحلية الجديدة فى الكوفة ..... ص : ۱۵۸

السفر السريع إلى الكوفة ..... ص : ۱۵۸

بعد أن تسلّم عبيداللَّه بن زياد رسالة يزيد التى حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلى، أمر بالجهاز من وقته والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد، «۲» فلم يبق فى البصرة بعدها إلّا يوماً قتل فيه سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة، وألقى فيه خطاباً على منبر البصرة أعلن فيه لأهلها عن استخلافه أخاه عثمان بن زياد عليها، وهدّد فيه أهل البصرة وحذّرهم من الخلاف والإرجاف! وتوعّدهم على ذلك، وفى غد ذلك اليوم خرج من البصرة إلى الكوفة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۵۹

تقول رواية تأريخية: «وأقبل الى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلى، وشريك بن الأعور الحارثى، «۱» وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثّم ..». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۰

وتقول رواية أخرى: «فتعجّل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلى، والمنذرُ بن الجارود، وشريك الحارثى، وعبداللَّه بن الحارث بن نوفل، فى خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة، فجدَّ فى السير، وكان لا يلوى على أحد يسقط من أصحابه، حتى أنّ شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق، وسقط عبداللَّه بن الحارث رجاء أن يتأخّر ابن زياد من أجلهم، فلم يلتفت ابن زياد إليهم مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام إلى الكوفة، ولمّا ورد القادسية سقط مولاه مهران.

فقال له ابن زياد: إنْ أمسكتَ على هذا الحال، فتنظر القصر فلك مائة ألف.

قال: واللَّه لا أستطيع.

فتركه عبيداللَّه، ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده، وكلّما مرّ (بالمحارس) ظنّوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول اللَّه. وهو ساكت، فدخل الكوفة مما يلى النجف». «۱»

ونتابع القصة على رواية الطبرى حيث يقول: «والناسُ قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظنّوا حين قدم عبيداللَّه أنّه الحسين، فأخذ لايمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه «۲» وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول اللَّه! قدمت خير مقدم. فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه، فقال مسلم بن عمرو لمّا أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيداللَّه بن زياد!

فأخذ- حين أقبل- على الظَهر، «۳» وإنّما معه بضعة عشر رجلًا. فلمّا دخل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۱

القصر وعلم الناس أنه عبيداللَّه بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاظ عبيداللَّه ما سمع منهم، وقال: الا أرى هؤلاء كما أرى!». «۱»

إنّ المتون التأريخية التى وصفت الطريقة التى دخل بها ابن مرجانة الكوفة تكشف لنا أنّ حالة التأهب (بل الغليان!) والتوتر التى كانت تعيشها الكوفة وهى تنتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام ما كانت تسمح لأىمبعوث أموى أن يدخلها علناً وبسهولة لأنّ الأمّة منتفضة على السلطة الأموية أو تكاد، فكان لابدّ لأىمبعوث أو مسؤول أموى من التخفّى والتنكّر ومخادعة الناس، فيأتى من طريق غير الطريق التى يأتى منها المسؤولون الرسميّون فى العادة، ويتنكّر فى زىّ آخر، ويشبّه على الناس أنه محبوبهم الذى ينتظرون قدومه بكلّ اشتياق، كى يستطيع العبور بسلام والوصول الى القصر، ليباشر منه التخطيط والقيام بالإجراءات اللازمة للقضاء على انتفاضة الأمة فى الكوفة أوّلًا ثم القضاء على محبوب الأمة القادم إليها.

خدعة ابن زياد تنطلى حتى على النعمان بن بشير! ..... ص : ۱۶۱

وتواصل الرواية التأريخية قصة خدعة ابن زياد فتقول: «وسار حتى وافى القصر بالليل، ومعه جماعة قد التقوا به لا يشكّون أنّه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان ابن بشير الباب عليه وعلى خاصته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فاطّلع عليه النعمان وهو يظنّه الحسين عليه السلام.

فقال: أُنشدك اللَّه إلّا تنحيت، واللَّه ما أنا بمسلّم إليك أمانتى، ومالى فى قتالك من أرب.

فجعل لا يكلّمه، ثم إنّه دنى وتدلّى النعمان من شرف القصر فجعل يكلّمه ..

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۲

فقال: إفتح لا فتحت، فقد طال ليلك!

وسمعها إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال: ياقوم، ابن مرجانة والذى لا إله غيره!

ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب فى وجوه الناس وانفضّوا». «۱»

هذا النصّ كاشف تماماً عن درجة الضعف المذهل التى كان عليها ممثّلو النظام الأموىّ فى الكوفة يومذاك، فابن بشير يلبد فى القصر ويخشى الخروج منه لمقابلة القادم الذى ظنّ أنّه الحسين عليه السلام، وعبيداللَّه وهو بين مجموعة من أهل الكوفة يخشى حتى من إظهار صوته مخافة أن يُعرف .. فما أقوى دلالة هذا النصّ على حالة (الإنقلاب) التى كانت الكوفة تعيشها فى رفضها النظام الأموىّ، وانتظارها لوصول القيادة الشرعية القادمة إليها.

الخطاب الإرهابىّ الأوّل ..... ص : ۱۶۲

اشارة

ما إن دخل ابن مرجانة القصر وهدأت أنفاسه المضطربة من الخوف والتعب حتى أمر الناس بالإجتماع فى المسجد ليعلن لهم عن وصوله وعن بداية قرارات الغشم الإرهابية، تقول الرواية التأريخية: «لمّا نزل القصر نودى: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا، فحمد اللَّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّ أميرالمؤمنين أصلحه اللَّه ولّانى مصركم وثغركم، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطى وسيفى على من ترك أمرى وخالف عهدى، فليَبقِ امرؤ على

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۳

نفسه. الصدق ينبىء عنك لا الوعيد! ثمّ نزل». «۱»

إشارة: ..... ص : ۱۶۳

تلفت انتباه المتأمّل فى هذه الخطبة دعوى ابن مرجانة بأنّ يزيد أمره فيما أمره به «بالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم!» فمع أنّ هذه الدعوى لم تصدّقها وثائق التأريخ وهى أكذوبة من أكاذيب ابن زياد الكثيرة، وهذا الإحسان- لو تحقّق- مشروط بالإنقياد التام والخنوع للسلطة الأموية، فإنّ موعدة الإحسان الكاذبة هذه جاءت متأخرة جداً بعد سنين متمادية تعمّد فيها طاغية الأمويين الأكبر معاوية أن يُذيق أهل الكوفة الضيم والجوع والحرمان، وأن يجعلهم وقود حروبه فى الثغور وفى مواجهة الخوارج، عقوبة لولائهم لعلى عليه السلام، وكان معاوية لايعبأ بشكاية أهل الكوفة، بل يردّ على من يحمل إليه الشكوى منهم أسوأ الردّ ويعامله بالإستخفاف والقسوة.

هذه سودة بنت عمارة تأتيه من العراق وتشكو إليه جور ولاته الذين حكّمهم فى رقاب وأموال أهل الكوفة، فتقول: «لا تزال تُقدم علينا من ينهض بعزّك ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة، هذا ابن أرطاة قُدم بلادى، وقتل رجالى وأخذ مالى ..». «۲»

فما كان جواب الطاغية إلا أن قال لها: «هيهات، لمّظكم ابن أبى طالب الجرأة!». «۳»

وقالت له عكرشة بنت الأطرش: «إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۴

على فقرائنا، وإنّا قد فقدنا ذلك، فما يجبر لنا كسير ولا يُنعشُ لنا فقير. فإنْ كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة، وإنْ كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة!».»

فما كان جواب معاوية إلا أن قال لها: «هيهات ياأهل العراق، تبّهكم علىّ بن أبى طالب فلن تُطاقوا ..». «۲»

فلم تكن الكوفة تنتظر من السلطة الأموية المركزية ولا من ولاتها إحساناً ورأفة ورفقاً طيلة سنين متمادية جرّعها فيها معاوية كأس الهوان والمذلّة والحرمان.

لكنّ بركان الكوفة لما فارت أعماقه بالحمم، ودوّت فى فمه صرخة النُذُر بالتمرّد والقيام مع الحسين عليه السلام ضد الحكم الأموى، عزف الوالى الجديد ابن زياد نغمة الإحسان لتهدئة ثورة البركان المتأزّم بقذائف الحمم، بعد سنين طويلة، فلعلّ وعسى! ولكن أى إحسان هو!؟ إنه الإحسان الخاص للمنقادين السامعين الطائعين فقط.

الإجراء الإرهابى الأوّل ..... ص : ۱۶۴

اشارة

ثمّ إنّ عبيداللَّه بن مرجانة أتبع خطابه الإرهابى الأوّل بعمل إرهابى كان الأوّل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۵

أيضاً فى سلسلة أعماله القمعية: «فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إلىّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة «۱» أميرالمؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، «۲» وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا مافى عرافته ألا- يخالفنا منهم مخالف، ولا- يبغى علينا منهم باغٍ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيُما عريف وُجدَ فى عرافته من بُغية أميرالمؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره، وأُلغيت تلك العرافة من العطاء، وسُيّر إلى موضع بعُمان الزارة «۳»». «۴»

إشارة: ..... ص : ۱۶۵

كانت العرافة من وظائف الدولة لمعرفة الرعيّة وتنظيم عطائهم من بيت المال، وقد كان فى الكوفة مائة عريف، وكان العطاء يُدفع إلى أمراء أرباع الكوفة الأربعة فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه هؤلاء إلى أهله فى دورهم، وكان يؤمر لهم بعطائهم فى المحرّم من كلّ سنة، وبفيئهم عند طلوع الشعرى فى كلّ سنة حيث إدراك الغلات. وكانت العرافة على عهد النبى صلى الله عليه و آله. «۵»

«وكانت الدولة تعتمد على العرفاء، فكانوا يقومون بأمور القبائل ويوزّعون عليهم العطاء، كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامة التى فيها أسماء الرجال

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۶

والنساء والأطفال، وتسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة، وحذف العطاء لمن يموت، كما كانوا مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا فى أيّام الحرب يندبون الناس للقتال ويحثّونهم على الحرب، ويخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال، وإذا قصّر العرفاء أو أهملوا واجباتهم فإنّ الحكومة تعاقبهم أقسى العقوبات.

ومن أهمّ الأسباب فى تفرّق الناس عن مسلم بن عقيل هو قيام العرفاء بتخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الإرهاب بين الناس، كما كانوا السبب الفعّال فى زجّ الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام». «۱»

قتل عبداللَّه بن يقطر «۲» الحميرى (رض) ..... ص : ۱۶۶

اشارة

إنّ المشهور عند أهل السير «۳» هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام سرّح عبداللَّه بن يقطر (رض) إلى مسلم بن عقيل عليه السلام بعد خروجه من مكّة فى جواب كتاب مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحصين بن نمير «۴» (أو بن تميم) «۵» بالقادسية .. إلى آخر قصة استشهاده (رض).

ولذا فقصة استشهاده (رض) من مختصات تأريخ فترة وقائع الطريق بين مكّة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۶۷

وكربلاء، أى من مختصات (الجزء الثالث) من هذه الدراسة.

لكنّ هناك روايتين تحدّثتا فى قصة قتله (رض) مفادهما أنه قُتل فى الفترة التى كان فيها الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، ولذا فنحن نتعرّض لهاتين الروايتين هنا فى هذا الموقع.

الرواية الأولى: ..... ص : ۱۶۷

اشارة

وهى رواية ابن شهرآشوب، وفيها أنّ عبيداللّه بن زياد بعد أن زار شريك بن الأعور الحارثى فى مرضه (فى بيت هانىء بن عروة)، وجرى ما جرى من حثّ شريك مسلماً عليه السلام على قتل عبيداللّه من خلال رمز «ما الإنتظار بسلمى أن تحييها ..»، فأوجس عبيداللّه منهم خيفة فخرج: «فلمّا دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمى بكتاب أخذه من يدى عبداللّه بن يقطر، فإذا فيه:

«للحسين بن على: أما بعدُ، فإنى أُخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابى هذا فالعجل العجل، فإنّ الناس معك، وليس لهم فى يزيد رأى ولا هوى» فأمر ابن زياد بقتله». «۱»

أما الرواية الثانية: ..... ص : ۱۶۷

وهى رواية محمّد بن أبى طالب فى كتابه (تسلية المجالس) فتفصّل القصة هكذا: أنّه بينما كان عبيداللّه يتكلّم مع أصحابه فى شأن عيادة هانى: «إذ دخل عليه رجل من أصحابه يُقال له مالك بن يربوع التميمى، فقال: أصلح اللّه الأمير، إنى كنت خارج الكوفة أجول على فرسى، إذ نظرتُ إلى رجل خرج من الكوفة مسرعاً إلى البادية، فأنكرته، ثمّ إنى لحقته، وسألته عن حاله فذكر أنه من أهل المدينة! ثمّ نزلت عن فرسى ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب.

فأخذه ابن زياد ففضّه فإذا فيه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن على: أمّا بعدُ: فإنّى أُخبرك أنّه بايعك من أهل الكوفة نيفاً على عشرين ألف رجل،

فإذا أتاك كتابى فالعجل العجل، فإنّ الناس كلّهم معك، وليس لهم فى يزيد هوى ..».

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذى أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

فقال: إئتونى به.

فلمّا وقف بين يديه قال: ما اسمُك؟

قال: عبداللّه بن يقطين.

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: دفعته إلىَّ امرأة لا أعرفها!

فضحك ابن زياد وقال: إختر أحد اثنين، إمّا أن تخبرنى من دفع إليك الكتاب أو القتل!

فقال: أمّا الكتاب فإنّى لا أخبرك، وأمّا القتل فإنّى لا أكرهه لأنّى لا أعلم قتيلًا عند الله أعظم أجراً ممّن يقتله مثلك!

قال فأمر به فضربت عنقه». «۱»

فهذا الشهيد (رض) فى هاتين الروايتين- وخلافاً للمشهور- هو رسول من مسلم عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام، «۲» وهو فى رواية (تسلية المجالس) ابن يقطين

وليس ابن يقطر أو بقطر.

وهنا قد ينقدح فى الذهن احتمال أنّ عبدالله بن يقطر هو غير عبدالله بن يقطين هذا، بقرينة: اختلاف إسم الأب أوّلًا. وثانياً اختلاف اسم الرجل الذى ألقى القبض على ابن يقطر وهو حسب المشهور الحصين بن نمير (او ابن تميم) عن اسم الرجل الذى ألقى القبض على ابن يقطين هذا وهو مالك بن يربوع التميمى.

وثالثاً أنّ الأوّل أُلقىَ عليه القبض خارج الكوفة. ورابعاً أنّ الأوّل كما هو مشهور قُتل برميه من فوق القصر، بينما الثانى ضُربت عنقه.

ويمكن أن يُردّ على هذه المرتكزات التى يقوم عليها هذا الإحتمال:

أولًا: أنّ هناك ظنّاً قوياً فى أن يكون اسم يقطين تصحيفاً لإسم يقطر خصوصاً فى الكتب المخطوطة قديماً، ويقوّى هذا الظنّ أنّ اسم يقطين لم يرد إلّا فى كتاب تسلية المجالس، كما أن إسم الأب فى رواية ابن شهراشوب المشابهة لهذة الرواية هو يقطر «۱» وليس يقطين، هذا فضلًا عن أنّ رواية كتاب تسلية المجالس نفسها تذكر أنّ عبدالله هذا رجل من أهل المدينة، والتأريخ لم يذكر لنا رجلًا من شهداء النهضة الحسينية من أهل المدينة بهذا الإسم (من غير بنى هاشم) سوى عبدالله بن يقطر.

وثانياً: أنّه لايمنع من وحدة الشخص أنّ الأوّل ألقى القبض عليه الحصين بن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۰

نمير (أو تميم) وأنّ الثانى ألقى القبض عليه مالك بن يربوع التميمى، إذ قد يكون مالك بن يربوع أحد مأمورى الحصين، فتصحّ عندئذٍ نسبة إلقاء القبض إلى كليهما.

وثالثاً: أنّ قول مالك بن يربوع كما فى رواية تسلية المجالس: «كنت خارج الكوفة أجول على فرسى إذ نظرت الى رجل خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية ..» قد يعنى أنه نظر الى رجل أقبل من ناحية الكوفة مسرعاً يريد البادية، ولاينافى ذلك أنه نظر إليه فى القادسية أو قريباً منها (من ناحية الكوفة) حيث تنتشر قوّات الرصد الأموى على اتساع تلك المنطقة.

ورابعاً: أنه لا منافاة فى الإخبار عن قتله بأنه ضُربت عنقه فى حين أنّ ابن يقطر (رض) رُمى به من فوق القصر فتكسّرت عظامه وبقى به رمق ثم ذبحه اللخمى كما هو مشهور، ذلك لأنّ هذا التفاوت فى التعبير عن القتل غير مستغرب فى الاستعمال العرفى، وهو ليس فى مستوى دقّة التعبير الفقهى أو الرياضى كما نعلم، ثمّ إنّ رواية ابن شهرآشوب ذكرت فقط أنّ ابن زياد أمر بقتله، ولم تتعرّض لطريقة القتل.

من هو عبداللَّه بن يقطر الحميرى؟ ..... ص: ۱۷۰

«كانت أمّه حاضنة للحسين عليه السلام كأمّ قيس بن ذريح للحسن عليه السلام، ولم يكن رضع عندها، ولكنّه يُسمّى رضيعاً له لحضانة أمّه له. وأمّ الفضل بن العبّاس لبابة كانت مربية للحسين عليه السلام ولم ترضعه أيضاً، كما صحّ فى الأخبار أنه لم يرضع من غير ثدى أمّه فاطمة صلوات اللَّه عليها وإبهام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله تارة، وريقه تارة أخرى». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۱

وذكر ابن حجر فى الإصابة أنّ عبداللَّه بن يقطر كان صحابياً لأنّه لِدَةٌ للحسين عليه السلام. «۱»

وكان عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه من أهل اليقين والشجاعة الفائقة، إذ لمّا أمره ابن مرجانة قائلًا: «إصعد القصر والعن الكذّاب بن الكذّاب، ثمّ انزل حتى أرى فيك رأيى». «۲» صعد هذا البطل القصر «فلمّا أشرف على الناس قال:

أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعىّ بن الدعىّ!». «۳»

والظاهر أنّ عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه قُتل قبل قيس بن مسهّر الصيداوى رضوان اللَّه تعالى عليه، الذى قتل بعد قتل مسلم عليه السلام، بدليل أنّ خبر مقتل عبداللَّه ورد إلى الإمام عليه السلام بزبالة فى الطريق إلى العراق فى نفس خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى رضوان اللَّه تعالى عليه، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلًا: «أمّا بعدُ، فقد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبداللَّه بن يقطر، وقد خذلنا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۲

شيعتنا ..». «۱»

وبذلك يكون عبداللَّه بن يقطر رضوان اللَّه تعالى عليه ثانى رسل الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا أثناء أداء مهمة الرسالة، بعد شهيد النهضة الحسينية الأوّل سليمان بن رزين رضوان اللَّه تعالى عليه، رسول الإمام عليه السلام إلى أشراف البصرة، بل إنّ عبداللَّه بن يقطر هو الشهيد الثانى فى النهضة الحسينية المباركة إذا ثبت تأريخياً أنه قُتل قبل قيام انتفاضة مسلم عليه السلام فى الكوفة.

اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم ..... ص : ۱۷۲

«إنّ ابن زياد لمّا اطّلع على مكاتبة أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التوابين من أصحاب أميرالمؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان بن صرد وابراهيم بن مالك الأشتر و ... وفيهم ابطال وشجعان ولم يكن له سبيل الى نصر الحسين عليه السلام لأنهم كانوا مقيّدين مغلولين وكانوا يوماً يطعمون ويوماً لا يُطعمون». «۲»

وينقل المحقّق الشيخ باقر شريف القرشى عن كتاب (المختار مرآة العصر الأموى) أنّ عدد الذين اعتقلهم ابن زياد فى الكوفة إثنا عشر ألفاً، كما ينقل عن كتاب (الدرّ المسلوك فى أحوال الأنبياء والأوصياء) أنّ من بين أولئك المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعى، والمختار بن ابى عبيد الثقفى وأربعمائة من الوجوه والأعيان. «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۳

وذكر الطبرى أنّ ابن زياد «أمر أن يُطلب المختار وعبداللَّه بن الحارث، «۱» وجعل فيهما جعلًا، فأُتى بهما فحبسا». «۲»

وقال البلاذرى: «أمر ابن زياد بحبسهما- المختار وابن الحارث- بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه، وبقيا فى السجن إلى أن قتل الحسين». «۳»

«ثمّ إنّ الحصين «۴»- صاحب شرطة ابن زياد- وضع الحرس على أفواه السكك، وتتبّع الأشراف الناهضين مع مسلم، فقبض على عبد الأعلى بن يزيد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۴

الكلبى، «۱» وعمارة بن صلخب الأزدى «۲» فحبسهما، ثمّ قتلهما، وحبس جماعة من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۵

الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبغ بن نباتة، «۱» والحارث الأعور الهمدانى «۲»». «۳»

حبس ميثم التمّار ..... ص : ۱۷۵

يُستفاد من ظاهر بعض المتون التى تروى قصة مقتل الشهيد الفذّ ميثم التمّار (رض) أنّ قتله كان فى أواخر شهر ذى الحجّة سنة ستين للهجرة، كقول الشيخ المفيد (ره): «وحجّ فى السنة التى قُتل فيها»، «۴» وتصرّح بعض المتون أنه (رض) قتل قبل وصول الإمام الحسين

عليه السلام إلى العراق: «وكان مقتل ميثم قبل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۶

قدوم الحسين بن على عليهما السلام إلى العراق بعشرة أيّام»، «۱» بل تصرّح أخرى قائلة:

«وشهادته قبل يوم عاشوراء بعشرين يوماً أو عشرة أيام». «۲»

وعلى أيٍ من هذه الأقوال، يكون ميثم التمار (رض) قد قتل فيما بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة، وفى أثناء أيّام الرحلة إلى العراق.

أمّا حبسه (رض) فى سجن ابن زياد فهناك إشاره تأريخية يمكن الإستفادة منها أنه حُبس مع المختار فى وقت معاً، كما فى قول الشيخ المفيد (ره): «فحبسه وحبس معه المختار ..»، «۳» أى قبل مقتل مسلم عليه السلام، وعلى هذا يكون حبسه (رض) فى الفترة التى كان فيها الإمام عليه السلام بمكّة المكرّمة.

ميثم التمّار رضوان اللَّه تعالى عليه ..... ص: ۱۷۶

يندُر أن ترى كتاباً يتناول تأريخ النهضة الحسينية وفاجعة عاشوراء يذكر ميثم التمّار (رض) فى جملة شهداء فترة تأريخ تلك النهضة المقدّسة مع أنه (رض) من طليعة الأبرار وخواص الأولياء الذين استشهدوا فى تلك الفترة لولائهم لأهل البيت عليهم السلام وعدائهم للحكم الأموىّ، ولشهادته نفسها خصوصية تجعلها فى العلياء من روائع تأريخ وقائع الإستشهاد فى سبيل اللَّه تعالى وفى القمة من نوادره.

هو ميثم بن يحيى- أو عبداللَّه- التمّار الأسدىّ الكوفى، وهو من حوارىّ أميرالمؤمنين والحسن والحسين صلوات اللَّه عليهم، والروايات فى مدحه وجلالته وعظم شأنه وعلمه بالمغيّبات كثيرة لاتحتاج إلى البيان، ولو كان بين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۷

العصمة والعدالة مرتبة وواسطة لأطلقناها عليه. «۱»

كان ميثم (رض) لمنزلته الخاصة عند اللَّه تبارك وتعالى وعند أهل البيت عليهم السلام قد رزق علم المنايا والبلايا، وقد شاعت عنه إخباراته بمغيّبات كثيرة، ومنها أنه أخبر حبيب بن مظاهر باستشهاده فى نصرة الحسين عليه السلام وأنه يُجال برأسه فى الكوفة كما أخبر المختار بأنه ينجو من سجن ابن زياد، ويخرج ثائراً مطالباً بدم الحسين عليه السلام فيقتل ابن زياد ويطأ بقدميه على وجنتيه، «۲» بل أخبر ابن زياد نفسه بأنه يقتله وبالطريقة التى يقتله بها وأنّه أوّل من يُلجم فى الإسلام. «۳»

روى «أنّ ميثم التمّار كان عبداً لامرأة من بنى أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال له: ما اسمك؟

فقال: سالم.

فقال: أخبرنى رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنّ اسمك الذى سمّاك به أبواك فى العجم ميثم.

قال: صدق اللّه ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لأسمى!

قال: فارجع إلى اسمك الذى سمّاك به رسول اللّه صلى الله عليه و آله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبى سالم.

فقال له علىّ عليه السلام ذات يوم: إنك تُؤخذ بعدى فتُصلب وتُطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً يخضّب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتُصلب على باب

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۸

عمرو بن حُريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهّرة، وامضِ حتى أريك النخلة التى تُصلب على جذعها.

فأراه إيّاها. وكان ميثم يأتيها فيصلّى عندها ويقول: بوركتِ من نخلة، لكِ خُلِقتُ ولى غُذِيتِ، ولم يزل يتعاهدها حتى قُطعت، وحتى عرف الموضع الذى يُصلب عليها «۱» بالكوفة.

قال: وكان يلقى عمرو بن حُريث فيقول له: إنّى مجاورك فأحسن جوارى!

فيقول له عمرو: أتريد أن تشترى دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟

وهو لايعلم ما يريد.

وحجّ فى السنة التى قُتل فيها، فدخل على أمّ سلمة رضى اللّه عنها.

فقالت: من أنت؟

قال: أنا ميثم.

قالت: واللّه لربّما سمعت رسول اللّه صلى الله عليه و آله يذكرك ويوصى بك عليّاً فى جوف الليل.

فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو فى حايط له.

قال: أخبريه أنّنى قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء اللّه تعالى. «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۷۹

فدعت أمّ سلمة بطيب وطيّبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستُخضّب بدم!

فقدم الكوفة، فأخذه عبيد اللّه بن زياد لعنه الله، فأُدخل عليه

فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند عليّ!

قال: ويحكم، هذا الأعجميّ!

قيل له: نعم!

قال له عبيد اللّه: أين ربّك!؟

قال: لبالمرصاد لكلّ ظالم، وأنت أحد الظلمة!

قال: إنّك على عجمتك لتبلغ الذى تريد! ما أخبرك صاحبك أنى فاعل بك؟

قال: أخبرنى أنّك تصلبنى عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهّرة.

قال: لنخالفنّه.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۰

قال: كيف تخالفه!؟ فواللّه ما أخبرنى إلّا عن النبيّ صلى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء!؟ ولقد عرفت الموضع الذى أُصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أوّل خلق اللّه أُلجم فى الإسلام!

فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيدة، قال له ميثم: إنّك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذى يقتلنا.

فلمّا دعا عبيد اللّه بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله فخلّا عنه، «۱» وأمر بميثم أن يصُلب، فأُخرج.

فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم!؟

فتبسّم وقال وهو يومى إلى النخلة: لها خُلقتُ، ولى غُذيتْ!

فلمّا رفع على الخشبة اجتمع النّاس حوله على باب عمرو بن حُريث، قال عمرو: قد كان واللّه يقول إنّى مجاورك! فلمّا صُلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره، فجعل ميثم يحدّث بفضائل بنى هاشم، فقيل لابن زياد:

قد فضحكم هذا العبد! فقال: ألجموه. وكان أوّل خلق الله أُلجم فى الإسلام، وكان قتل ميثم رحمة الله قبل قدوم الحسين بن على عليه السلام بعشرة أيّام، فلمّا كان اليوم الثالث من صلبه طُعن ميثم بالحربة، فكبّر، ثمّ انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۱

التجسس لمعرفة مكان قيادة الثورة ..... ص : ۱۸۱

لمّا علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بالإجراءات الإرهابية المتسارعة التى اتخذها عبيد الله بن زياد «وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانىء بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه فى دار هانىء على تستّر واستخفاء من عبيد اللّه، وتواصوا بالكتمان، فدعا ابن زياد مولى له يُقال له معقل، فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم، واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحدٍ منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم:

استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلمهم أنّك منهم، فإنّك لو قد أعطيتهم إيّاها لقد اطمأنّوا إليك ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أمورهم وأخبارهم، ثمّ اغدُ عليهم ورُحْ حتى تعرف مستقرّ مسلم بن عقيل وتدخل عليه.

ففعل ذلك، وجاء حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدى فى المسجد الأعظم وهو يصلّى، فسمع قوماً يقولون: هذا يبايع للحسين، فجاء وجلس إلى جنبه حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبدالله، إنّى امرؤ من أهل الشام، أنعم الله علىَّ بحبّ أهل البيت وحبّ من أحبهم. وتباكى له، وقال: معى ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغنى أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّنى عليه، ولا أعرف مكانه، فإنّى لجالس فى المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت وإنّى أتيتك لتقبض منّى هذا المال، وتدخلنى على صاحبك فإنّى أخ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتى له قبل لقائه.

فقال له ابن عوسجة: أحمُد الله على لقائك إيّاى، فقد سرّنى ذلك، لتنال الذى تحبّ، ولينصرنّ اللّه بك أهل بيت نبيّه عليه وعليهم السلام، ولقد ساءنى معرفة الناس إيّاى بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۲

فقال له معقل: لايكون إلّا خيراً، خذ البيعة علىَّ!

فأخذ بيعته، وأخذ عليه المواثيق المغلّظة ليناصحنّ وليكتمن، فأعطاه من ذلك مارضى به، ثمّ قال له: إختلف إلىَّ أيّاماً فى منزلى فإنّى طالب لك الأذن على صاحبك. وأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الأذن فأُذِنَ له، وأخذ مسلم بن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصّائدى بقبض المال منه، وهو الذى كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشترى لهم به السلاح، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أوّل داخل وآخر خارج، وحتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، فكان يخبره به وقتاً فوقتاً». «۱»

حبس هانى بن عروة المرادى ..... ص : ۱۸۲

ولمّا كثر تردد الرجال من أهل الكوفة على مسلم بن عقيل عليه السلام فى بيت هانى بن عروة، أو جس فى نفسه المحذور «وخاف هانى بن عروة عبيد الله على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: مالى لا أرى هانياً!؟

فقالوا: هو شاكٍ. فقال: لو علمتُ بمرضه لعدته.

ودعى محمّد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجّاج الزبيدى وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانى بن عروة، وهى أمّ يحيى بن هانى.

فقال لهم: ما يمنع هانى بن عروة من إتياننا؟

فقالوا: ماندرى، وقد قيل إنه يشتكى.

قال: قد بلغنى أنه قد برىء وهو يجلس على باب داره! فالقوه ومروه ألّا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّى لا أحبّ أن يفسد عندى مثله من أشراف العرب.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۳

فأتوه حتى وقفوا عليه عشيّة وهو جالس على بابه.

وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه قد ذكرك وقال لو أعلم أنه شاك لَعُدْتُه.

فقال لهم: الشكوى تمنعنى.

فقالوا له: قد بلغه إنك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لايحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا.

فدعى بثيابه فلبسها، ثمّ دعى ببغلة فركبها، حتى إذا دنى من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذى كان.

فقال لحسّان بن أسماء بن خارجة: يا ابن الأخ، إنى واللّه لهذا الرجل لخايف، فما ترى؟

فقال: يا عمّ، والله ما أتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلا. ولم يكن حسّان يعلم فى أىّ شىء بعث إليه عبيد الله.

فجاء هانى حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال عبيد الله: أتتك بخاينٍ «۱» رجلاه!

فلمّا دنى من ابن زياد، وعنده شريح القاضى، «۲» التفت نحوه فقال:

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أوّل ما قدم مكرماً له ملطفاً

فقال له هانى: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هانى بن عروة، ما هذه الأمور التى تربّص فى دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال فى الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى علىّ؟

قال: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندى.

قال: بلى قد فعلت.

فلمّا كثر ذلك بينهما وأبى هانى إلّا مجاحدته ومناكرته، دعى ابن زياد معقلًا ذلك العين فجاء حتى وقف بين يديه

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

وعلم هانى عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأُسقط فى يده ساعة، ثمّ راجعته نفسه.

فقال: إسمع منّى وصدّق مقالتى، فوالله لا- كذبت، والله مادعوته إلى منزلى، ولا- علمت بشىء من أمره حتّى جاءنى يسألنى النزول فاستحييتُ من ردّه، ودخلنى من ذلك ذمام فضيّفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۷

أعطيك الآن موثقاً مغلّظاً ألّا أبغيك سوءً ولاغائلة، ولآتينّك حتّى اضع يدى فى يدك، وإنْ شئت أعطيتك رهينة تكون فى يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من دارى إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقنى أبداً حتّى تأتينى به.

قال: لا والله، لا أجيئك به ابداً، أجيئك بضيفى تقتله!؟

قال: والله لتأتينّى به.

قال: لا والله لا آتيك به.

فلمّا كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلى- وليس بالكوفة شامى ولا بصرىٌ غيره- فقال: أصلح اللّه الأمير، خلّنى وإيّاه حتى أكلّمه.

فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: ياهانى، أُنشدك اللّه أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء فى عشيرتك، فواللّه إنّى لأنفس بك عن القتل، إنّ هذا الرجل إبن عمّ القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنّه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنّما تدفعه إلى السلطان!

فقال هانى: واللّهِ إنّ علىَّ فى ذلك الخزى والعار أن أدفع جارى وضيفى وأنا حىٌّ صحيح، أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، واللّه لو لم أكن إلّا واحداً ليس لى ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه!

فأخذ يناشده وهو يقول: واللّه لا أدفعه إليه أبداً!

فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه منى.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۸

فأدنوه منه، فقال: واللّه لتأتينّى به أو لأضربنّ عنقك.

فقال هانى: إذن لكثر البارقة حول دارك!

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوّفنى!؟- وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه- ثمّ قال: أدنوه منّى.

فأُدنى منه، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخدَّه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخده على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هانى يده إلى قائم سيف شرطىّ، وجاذبه الرجل ومنعه.

فقال عبيداللّه: أحروريّ ساير اليوم!؟ قد حلّ لنا دمك، جرّوه! فجرّوه، فألقوه فى بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه.

فقال: إجعلوا عليه حرساً. ففعل ذلك به». «۱»

أعوان السلطة .. والخدعة المشتركة! ..... ص : ۱۸۸

فى قصة حبس هانى بن عروة (رض) هناك دور مريب لعمرو بن الحجّاج الزبيدى الذى تفانى فى امتثال أوامر ابن زياد وابن سعد فى كربلاء، مع أنّ هانياً كان صهراً له!

فالرواية التأريخية التى قصّت علينا واقعة حبس هانى ذكرت أنّ عمرو بن الحجّاج كان أحد الذين أتوا هانياً إلى باب منزله وألحّوا عليه بإتيان عبيداللّه، فالظاهر أنّه شهد ما جرى على هانى فى لقائه مع عبيداللّه، لكنّ سياقها بعد ذلك يُلفتُ الإنتباه حيث تقول: «وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قُتل، فأقبل فى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۸۹

مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا ذلك.

فقيل لعبيداللّه بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضى: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج وأعلمهم أنه حىّ لم يُقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هانى لمّا رأى شريحاً: ياللّه، ياللمسلمين! أهلكت عشيرتى؟ أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟- والدماء

تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر- فقال: إنّى لأظنّها أصوات مذحج وشيعتى من المسلمين، إنّه إن دخل علىَّ عشرة نفر أنقذونى!

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرنى أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حىّ، وأنّ الذى بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجّاج وأصحابه: أمّا إذا لم يُقتل فالحمد للَّه. ثمّ انصرفوا». «۱»

فإذا كان المتأمّل فى هذا النصّ لايشكّ فى الدور الخيانى الذى لعبه شريح القاضى فى ممارسته التوريةَ حيث أظهر لمذحج وكأنّ هانى بن عروة (رض) هو الذى أمره بلقاء مذحج وأن يعرّفهم بأنه حىّ لابأس عليه، فإنّ المتأمّل ليشكّ كثيراً فى نزاهة الدور الذى لعبه عمرو بن الحجّاج الذى ربّما كان قد شهد ما فعله ابن زياد بهانى فى القصر حسب ما يُستفاد من السياق الأوّل للرواية.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۰

متى خرج عمرو بن الحجاج من القصر؟ وكيف تصدّى لقيادة مذحج وأتى بجموعها فى وقت قصير نسبياً؟ ولماذا اكتفى بقول شريح ولم يدخل- وهو من المقرّبين لابن زياد- ليرى بنفسه هانياً وحقيقة ماجرى عليه داخل القصر!؟

إنّ استمرار ولاء عمرو بن الحجّاج الزبيدى لابن زياد حتى بعد مقتل هانى بن عروة (رض)، ليقوىّ الريب فى أنّ هذا الرجل كان قد تعمّد التصدّى لجموع مذحج التى أقبلت الى القصر معترضة على حبس هانى، ليركب موجتها ثم ليخدعها وليصرفها عن إخراج هانى من القصر بقوّة السلاح، متواطئاً فى ذلك مع عبيداللَّه بن زياد وشريح القاضى فى تنفيذ الخدعة المشتركة لتضليل مذحج.

تسخير الأشراف لتخذيل الناس عن مسلم عليه السلام ..... ص: ۱۹۰

لمّا علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام باعتقال هانى قام فى الكوفة على ابن زياد، وأعلن عن بدء الثورة، وحاصر القصر بجموع من اتبعه من أهل الكوفة، أغلق ابن زياد أبواب القصر عليه وعلى من كان معه فى القصر من أشراف الناس ومن شرطته وأهل بيته ومواليه، وقبع فيه خائفاً يأكل قلبه الرعب وأبى من الجبن أن يخرج بمن معه لمواجهة قوات مسلم عليه السلام، يقول الطبرى: «فلمّا اجتمع عند عبيداللَّه كثير بن شهاب ومحمد (أى ابن الأشعث) والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، فقال له كثير- وكانوا مناصحين لابن زياد- أصلح اللَّه الأمير، معك فى القصر ناس كثير من أشراف الناس، ومن شُرطك، وأهل بيتك، ومواليك، فاخرج بنا إليهم. فأبى عبيداللَّه ..». «۱»

لكنّ عبيداللَّه فى ساعات خوفه لجأ إلى تسخير الأشراف الذين كانوا معه فى القصر وأمرهم بتخذيل الناس عن مسلم، يقول التأريخ: «فبعث عبيداللَّه الى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۱

الأشراف فجمعهم إليه، ثمّ قال: أشرفوا على الناس، فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم». «۱»

يقول شاهد عيان كان مع الناس خارج القصر، وهو عبداللَّه بن حازم الكبرى من الأزد من بنى كبير: «أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إلحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أميرالمؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى اللَّه الأميرُ عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم فى مغازى أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البرىء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرّت أيديها. وتكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا

يتفرّقون وأخذوا ينصرفون». «۲»

تفتيش دور الكوفة بحثاً عن مسلم عليه السلام ..... ص : ۱۹۱

وبعد أن آل أمر مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أن يبقى وحيداً متخفياً قد تفرّقت عنه جموع من كانوا معه من أهل الكوفة، وبعد أن اطمأنّ عبيداللّه بن زياد إلى أنّ القوم قد تفرّقوا وأنّ المسجد قد خلا تماماً من أنصار مسلم عليه السلام، عمد «ففتح باب السدّة التى فى المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمّة من رجل من الشُرَط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا فى المسجد. فلم يكن إلّا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۲

ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثمّ أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه وأمرهم بحراسته من أن يدخل عليه أحدٌ يغتاله، وصلّى بالناس، ثمّ صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإن ابن عقيل .. قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة اللّه من رجل وجدناه فى داره، ومن جاء به فله ديته، إتّقوا اللّه عباد اللّه والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولاتجعلوا على أنفسكم سبيلًا.

ياحصين بن نمير، ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتنى به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور وجس خلالها، حتى تأتينى بهذا الرجل ..». «۱»

تجميد الثغور وتوجيه عساكرها إلى حرب الحسين عليه السلام ..... ص : ۱۹۲

ومن الإجراءات المهمّة والخطيرة التى اتخذها ابن زياد تجميده حركة عدد كبير من الجيوش المتوجهة نحو الحدود لترابط فيها، ليعبئها تحضيراً لحرب الإمام الحسين عليه السلام، يروى الطبرى: «عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه: كنتُ فى الجيش الذى بعثهم ابن زياد إلى حسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيداللّه إلى حسين». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۳

حركة السلطة الأمويّة المحلّية فى مكة المكرمة ..... ص : ۱۹۳

قلق الوالى من تواجد الإمام عليه السلام فى مكّة ..... ص : ۱۹۳

ذعر عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) «۱» والى مكة آنذاك من دخول الإمام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۴

الحسين عليه السلام مكّة المكرّمة ومن تواجده فيها، ومن تقاطر الوفود عليه والتفاف الناس حوله، فلم يُطق الوالى صبراً، ولم يجد بُدّاً من أن يسأل الإمام عليه السلام عن سرّ قدومه إلى مكّة، «فقال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك!؟

فقال: عائذاً باللّه وبهذا البيت!». «۱»

وفى جواب الإمام عليه السلام دلالة قاطعة على أنّ السلطة الأموية كانت قد أرادت بالإمام عليه السلام سوءً فى المدينة المنوّرة، كأن

تفرض عليه الإقامة الجبرية مثلًا أو تغتاله أو تُلقى عليه القبض فتدفع به الى يزيد، ولذا فقد خرج منها خائفاً يترقب، وقد أشرنا من قبل إلى أنّ خوفه على نفسه وإن كان سبباً فى خروجه منها إلا أنه يقع فى طول السبب الأهم وهو خوفه على ثورته من أن تؤسر فى حدود المدينة أو تخمد فى مهدها قبل اندلاعها فلا تصلُ إشعاعاتها المباركة الى حيث أراد عليه السلام، هذا فضلًا عن حرصه عليه السلام ألا تهتك حرمة حرم الرسول صلى الله عليه و آله بقتله.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۵

سفر الأشدق الى المدينة المنوّرة وتهديده أهلها ..... ص : ۱۹۵

تتحدث روايات تأريخية عديدة عن قدوم عمرو بن سعيد الأشدق الى المدينة المنورة فى شهر رمضان سنة ستّين للهجرة، والظاهر أنّ سفر هذا الطاغية الى المدينة كان بعد عزل الوليد بن عتبة عن منصب الولاية عليها فى شهر رمضان نفسه، والأظهر أنّ سفر هذا الطاغية الأمويّ الى المدينة كان من مكّة إليها لأنّ جلّ المؤرّخين ذكروا أنه كان والياً على مكّة عند موت معاوية وأضيفت إليه ولاية المدينة بعد عزل الوليد عنها.

و «قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً، فخرج إلى منبر رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقعد عليه وغمض عينيه، وعليه جُبّة خزّ قرمز، ومُطرَف خزّ قرمز، وعمامة خزّ قرمز، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه، فقال: مابالكم ياأهل المدينة ترفعون إليَّ أبصاركم، كأنّكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم! أغرّكم أنّكم فعلتم ما فعلتم فعفونا عنكم! أما إنّه لو أُثبتُم بالأولى ما كانت الثانية! أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا منّا رفيقاً، قد فَنى غضبه، وبَقى حلمُه! إغتنموا أنفسكم فقد واللَّه ملكناكم بالشباب المقتبل، البعيد الأمل، الطويل الأجل حين فرغ من الصغر، ودخل فى الكبر، حليمٌ حديدٌ، ليّن شديد، رقيق كثيف، رفيق عنيفٌ، حين اشتدّ عَظْمهُ، واعتدل جسمه، ورقى الدهرَ ببصره، واستقبله بأسره، فهو إن عضَّ نهس، وإن سطا فرس لايقلقل له الحصى، ولا تُقرع له العصا، ولا يَمشى السُّمَهى. قال: فما بقىَ (أى يزيد) بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر حتى قصمه اللَّه!». «۱»

«وعرض فى خطابه لابن الزبير فقال: فواللَّه لنغزونّه، ثمّ لئن دخل الكعبة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۶

لنحرقنّها عليه، على رغم أنف من رغم ..

ورعف الطاغية على المنبر، فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمَه، فقال رجل من خثعم: دم على المنبر فى عمامة! فتنة عمّت وعلا ذكرها وربّ الكعبة!». «۱»

وقد أُثر عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: «ليرعفنّ على منبرى جبّار من جبابرة بنى أميّة فيسيل رعافه!». «۲»

وقال ابن عبد ربه الأندلسى: «قدم عمرو بن سعيد أميراً على المدينة والموسم، وعزل الوليد، فلمّا استوى على المنبر رعف، فقال أعرابى: مه! جاءنا بالدم!. فتلقّاه رجل بعمامته، فقال: مه! عمَّ الناسَ واللَّهِ! ثمّ قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان، فقال: تشعّبَ واللَّهِ ..». والملفتُ للإنتباه هنا هو أنّ الأشدق فى هذه الخطبة بعد تهديده أهل المدينة وإرعابهم، «۴» وتذكيرهم بِتِرَةِ دم عثمان الذى قتله الصحابة، «۵» وبعد مدحه يزيد وثنائه عليه وتحذير أهل المدينة من بأسه، نراه لا يتطرّق بشىء إلى قضية الإمام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۷

الحسين عليه السلام بصورة مباشرة، وإن كان تهديده أهل المدينة كاشفاً عن خوفه من تأييده أهل المدينة للإمام عليه السلام خاصة ولكل معارض عامة، ولعلّ سبب عدم تعرّضه مباشرة لقضية الإمام عليه السلام هو معرفته بمكانة الإمام عليه السلام وقدسيته فى قلوب

الأمّـة، فهو يخشـى أن يهيـج قلوب النـاس على السـلطة الأمويـة بمـا يـدفع الناس عملياً نحو الإلتفاف حول الإمام عليه السـلام، ثمّ نرى الأشـدق يُعلن صـراحة عن عزم السـلطة على قتل ابن الزبير، ولعلّ علمه بأنّ ابن الزبير لايتمتع بمكانـة ومنزلة خاصة فى قلوب الناس هو الـذى جرّأه على تلك الصـراحة، لكننا نجـد هـذا الجبّار الأموى لايتورّع عن سـحق مشاعر الأمّـة فى إجلالها لحرمـة الكعبة حين يهدّد بإحراقها على رغم أنف من رغم! وفى هذا مؤشر واضح على الدرجة الخطيرة التى بلغها مرض الشلل النفسى والروحى فى كيان الأمّة، حيث تسمع مثل هذا التحدّى لمشاعرها فى مقدّساتها ولا تثور على مثل هذا الجبّار العنيد!

تنفيذ أمر يزيد باعتقال الإمام عليه السلام أو اغتياله فى مكّة ..... ص : ۱۹۷

قلنا فيما مضـى- فى متابعتنا لحركة السـلطة الأموية المركزية فى الشام- تحت عنوان (التخطيط لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله فى مكّة): إنّ هـذه الخطـة من المسـلّمات التأريخيـة التى يكاد يجمع على أصـلها المؤرّخون، وقـدّمنا هناك مجموعـة كافيـة من الـدلائل التأريخيـة على وجود هـذه الخطـة التى كـانت السـبب الصـريح لمبـادرة الإمام عليه السـلام الى الخروج من مكّـة يوم التروية كما هو المشهور والصحيح، إضافة الى الأسباب الأخرى الداعية الى مبادرة الخروج والتى تقع فى طول ذلك السبب الصريح.

ويهمّنا هنا فى متابعتنا لحركـة السـلطة الأمويـة المحلّيـة فى مكّة المكرّمة أن نتعرّف على حدود مسؤولية هذه السـلطة المحلية فى تنفيذ خطة السلطة المركزية لاغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه فى مكة المكرمة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۸

إنّ المتأمّل فى النصوص الواردة عن الإمام عليه السلام نفسه فى هذا الصدد يرى أنه عليه السلام يُلقى بمسؤولية هذه الخطّة على النظام الأموى ككل وينسب هـذه المسؤوليـة صـراحة الى يزيـد، كما فى قوله لأخيه محمد بن الحنفية (رض): «يا أخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذى يستباح به حرمة هذا البيت»، «۱»

وفى قوله عليه السلام للفرزدق «لو لم أعجل لأُخذتُ». «۲»

وفى قوله عليه السـلام لابـن الزبير: «لأن أُقتل خارجاً منها بشبرين أحبّ إلىّ من أن أُقتل خارجاً منها بشبر، وأيمُ اللَّه، لو كنت فى جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا بى حاجتهم!». «۳»

لكنّ متونـاً تأريخيـة أخرى تصـرّح بـأن المكلّف بتنفيـذ هـذه الخطـة والإشـراف عليهـا فى مكّـة هو واليهـا عمرو بن سـعيد بن العـاص (الأشدق)، يقول الطريحى فى تعليله لعدم أداء الإمام عليه السـلام مناسك الحج تلك السـنة: «.. وذلك لأنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسـكر عظيم، وولّاه أمر الموسم، وأمّره على الحاج كلّه، وكان قـد أوصاه بقبض الحسـين سـرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة. ثمّ إنّه لعنه اللَّه دسّ مع الحجّاج فى تلك السـنة ثلاثين رجلًا من شـياطين بنى أميّة، وأمرهم بقتل الحسـين على كلّ حال اتفق ..». «۴»

ومن قبله كان السـيّد ابن طاووس قدس سـره قد أشار إلى ذلك قائلًا: «فلمّا كان يوم التروية قدم عمر بن سـعد بن أبى وقاص إلى مكّة فى جند كثيف، قد أمره يزيد أن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۱۹۹

يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقاتله إن قدر عليه، فخرج الحسين يوم التروية». «۱»

ولاشك أنّ تصحيفاً وقع من سهو النسّاخ فى بعض نسخ كتاب السيّد ابن طاووس قدس سره، حيث ورد فيه إسم (عمر بن سعد بن أبى وقّاص) بدلًا من (عمرو بن سـعيد بن العاص)، ذلك لأنّ الثابت والمشهور تأريخياً أنّ عمر بن سعد كان فى الكوفة فى الأيام التى كان فيها الإمام عليه السلام فى مكّة. «۲»

ويذكر السيّد المقرّم (ره): «أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فى عسكر، وأمّره على الحاج، وولّاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». «۳»

مما مرّ يتضح أنّ والى مكّة آنذاك عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) كان مأموراً بتنفيذ خطة اغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه فى مكّة سرّاً أو فى مواجهة عسكرية علنية.

لكنّ لنا تحفّظاً على هذه المتون فى نقطتين هما:

۱)- أنّ المستفاد من متون تأريخية أخرى هو أنّ عمرو الأشدق كان فى مكّة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۰

منذ أوّل يوم دخل إليها الإمام الحسين عليه السلام، «۱» وقد كان هذا الأشدق والياً على مكّة منذ أيّام معاوية، وعلى هذا جُلّ المؤرّخين. ولم نعثر على نصّ تأريخى يفيد أنّ الأشدق سافر الى الشام ثم عاد الى مكّة فى المدّة التى كان الإمام عليه السلام فيها بمكّة.

ولذا فإنّ ماورد فى نصّ الطريحى أنّ «يزيد أنفذ عمرو» يحمل على معنى أنّ يزيد أمر عمرو، وما ورد فى نصّ ابن طاووس أنّ عمرو قدم الى مكّة يوم التروية قد يحمل على عودته من المدينة إلى مكّة بعد أن سافر إليها لإرعاب أهلها، ومع هذا فإنّ من المستبعد جدّاً أن يعود الأشدق إلى مكّة يوم التروية ويتركها أياماً طويلة والإمام عليه السلام فيها ووفود الناس تقبل عليه وتلتفّ حوله!

۲)- ورد فى بعض هذه المتون أنّ يزيد أنفذ الأشدق فى عسكر عظيم أو فى جند كثيف، لكنّ المستفاد من دلائل تأريخية أخرى هو أن والى مكة الأشدق لم تكن لديه تلك القوّة العسكرية المبالغ فيها، بل كان لديه جماعة من الجند والشرطة قد تكفى لضبط الأمور الإدارية داخل مكّة ولتنظيم حركة الحجيج آنذاك وحراسة السلطان فقط، وسنأتى على ذكر بعض هذه الدلائل التأريخية لاحقاً فى متابعتنا لمحاولة عمرو بن سعيد الأشدق منع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكّة.

ويؤكّد صحة مانراه: أنّ الأشدق لم يحقّق ما أمر به من إلقاء القبض على الإمام عليه السلام داخل مكّة، أو الفتك به سرّاً، أو جهراً فى مواجهة علنية!

ولعلّ قائلًا يقول: إنّ وجود الحماية الكافية التى كان الإمام عليه السلام يتمتّع بها حيثما حلّ فى مكّة كان السبب فى عجز الأشدق عن تنفيذ ما أُمر به!

ولا يخفى أنّ هذا القول اعتراف ضمنى بعدم كفاية القوّة الأموية!

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۱

أو يقول: إنّ عمرو بن سعيد الأشدق تحاشى الفتك بالإمام عليه السلام فى مواجهة علنية لأنه يخشى من تفاقم الأمر على السلطة الأمويّة بسبب تواجد جموع الحجيج العامرة قلوبهم بحبّ الإمام عليه السلام وتقديسه!

ولا يخفى أنّ هذا القول صحيح لو لم تكن هناك أوامر صريحة وصارمة من قبل يزيد بضرورة تنفيذ المؤامرة، أو أنّ عمرو الأشدق لم يكن ذلك الطاغية الجبّار الأرعن الذى لم يتورّع أمام أهل المدينة عن إعلان استعداده لحرق الكعبة إذا تحصّن بها ابن الزبير رغم أنف من رغم! غير مبالٍ بقداسة الكعبة وحرمتها ولا بمشاعر الأمّة!

ويؤيّد مانراه أيضاً ماورد فى نفس نصّ ابن طاووس (ره) أنّ يزيد أمر الأشدق بمناجزة الحسين عليه السلام (إن هو ناجزه!) أو يقاتله (إن هو قدر عليه!)، وفى هذا إشعار كافٍ بخوف يزيد من عدم كفاية القوّة الأموية، فأين إذن ذلك العسكر العظيم والجند الكثيف.

وينبغى التأكيد هنا: أنّ كلّ ما قدّمناه لاينافى كون أنّ هذه الخطة والمؤامرة كانت السبب الصريح فى مبادرة الإمام عليه السلام الى الخروج من مكّة يوم التروية (قبيل الشروع بمراسم الحج)، وذلك لأنّ أعوان السلطة وعملاءها قد يتمكنون من اغتيال الإمام عليه السلام أثناء الحجّ حيث يكون هو وأنصاره وجميع الحجيج عُزّلًا من السلاح.

محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكّة ..... ص : ۲۰۱

يحدّثنا التأريخ عن أسلوبين سلكتهما السلطة الأمويّة المحليّة فى مكّة لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكّة، أحدهما كان أسلوباً سلميّاً عرض فيه عمرو بن سعيد الأشدق الأمان والبر والصلة للإمام عليه السلام فى رسالة وجهها إليه، والآخر كان

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۲

أسلوباً قمعياً وعسكرياً حيث تصدّت جماعة من جند السلطة للركب الحسينى لمنع حركته فى الخروج عن مكّة.

ويبدو أنّ الأسلوب الأوّل أى أسلوب بذل الأمان والصلة كان قبل الأسلوب القمعى، كما هى العادة فى مثل هذه الوقائع.

تقول رواية تأريخية أنّ الأشدق لما بلغه عزم الحسين عليه السلام على مغادرة مكّة بعث إليه رسالة ورد فيها: «إنّى أسأل اللَّه أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يرديك، بلغنى أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق! وإنى أُعيذك باللَّه من الشقاق، فإنّك إن كنت خائفاً فأقبل إلىَّ فلك عندى الأمان والبرّ والصلة!». «۱»

قد يُستفاد من قوله: «بلغنى أنك قد عزمت على الشخوص ..» أنّ هذه الرسالة كتبها الأشدق والإمام عليه السلام فى مكّة قبل شخوصه إلى العراق، لكنّ قوله الآخر فيها:

«فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إلىّ» مشعر بأنّ الأشدق قد كتبها إلى الإمام عليه السلام وقد خرج بالفعل عن مكة.

لكنّ رواية الطبرى تصرّح بأنّ الأشدق بعث بهذه الرسالة إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه باقتراح من عبداللَّه بن جعفر، وأنّ الذى تولّى أمر كتابة هذه الرسالة بالفعل هو عبداللَّه بن جعفر ثمّ ختمها الأشدق بختمه، يقول الطبرى:

«وقام عبداللَّه بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه، وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له فى كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتنى به حتى أختمه. فكتب عبداللَّه بن جعفر الكتاب، «۲» ثمّ أتى به عمرو بن سعيد،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۳

فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنّه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنّه الجدّ منك. ففعل». «۱»

ويتابع الطبرى روايته قائلًا: «.. فلحقه يحيى وعبداللَّه بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إنى رأيت رؤيا فيها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وأُمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له علىَّ كان أو لى! فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربى!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ عليه السلام:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

«من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن على: أمّا بعد، فإنى أسأل اللَّه أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغنى أنك قد توجّهت إلى العراق، وإنى أُعيذك باللَّه من الشقاق، فإنى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبداللَّه بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إلىَّ معهما فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك اللَّه علىّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل. والسلام عليك». «۲»

ولا يخفى على ذى بصيرة مافى هذه الرسالة وأشباهها من رسائل السلطة الأموية الظالمة من مفردات متكررة مقصودة، فالخروج على النظام الظالم فيها من الموبقات، ومن الشقاق، وسعىٌ فى تفريق كلمة الأمّة والجماعة، وما الى ذلك من أسلحة إعلامية لمواجهة كلّ قيام للحق والعدل والإصلاح!

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۴

ويذكر الطبرىّ أنّ الإمام عليه السلام كتب إليه:

«.. أمّا بعدُ: فإنه لم يشاقق اللَّه ورسوله من دعا إلى اللَّه عزّوجلّ وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين، وقد دعوتَ الى الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان اللَّه، ولن يؤمن اللَّه يوم القيامة من لم يخفه فى الدنيا، فنسأل اللَّه مخافه فى الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى فجُزيت خيراً فى الدنيا والآخرة والسلام». «۱»

ويبدو أنّ الأشدق لمّا آيس من أسلوب عرض الأمان «۲» على الإمام عليه السلام لجأ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۵

إلى ما تعوّد عليه من الأساليب القمعية فى المواجهة، فقد روى الطبرى عن عقبة بن سمعان قال: «لمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه رسلُ عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب!؟ فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثمّ إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قويّاً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: ياحسين، ألا تتقى اللَّه، تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمّة!؟ فتأوّل حسين قول اللَّه عزّوجلّ (لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون)». «۱»

وتقول رواية الدينورى: «ولما خرج الحسين من مكّة اعترضه صاحب شرطة أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص فى جماعة من الجند، فقال: إنّ الأمير يأمرك بالإنصراف، فانصرف وإلّا منعتك!

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل الى صاحب شُرَطِهِ يأمره بالإنصراف!». «۲»

والمتأمّل فى هذين النصّين يستشعر بوضوح أنّ القوّة العسكرية الأموية لم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۶

تكن كافية لمنع الإمام عليه السلام من الخروج، والمفروض فى مثل هكذا مواجهة تقع خارج حدود المدينة مع الركب الحسينى الكبير نسبياً حتى ذلك الوقت) أن يستعمل الأشدق كلّ ما لديه من قوّة فى مواجهة الإمام عليه السلام لمنعه من الخروج، غير أنّ الحال لم تعدُ أن تدافع الفريقان واضطربوا بالسياط ثمّ خاف الأشدق من تفاقم الأمر! وأمر (رسله) أو (جماعة من جنده) بالإنصراف خائبين.

رضى الله عنه رضى الله عنه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۰۷

الفصل الثالث ..... ص : ۲۰۷

اشارة

حركة الأمّة فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية

الفصل الثالث: حركة الأمّة فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية ..... ص : ۲۰۷

اشارة

سجّل لنا التأريخ فى المدّة التى قضاها الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة وقائع كثيرة وصوراً مهمة لحركة الأمّة أفراداً

وجماعات على صعيد مواقفهم التى اتخذوها إزاء قيام الإمام الحسين عليه السلام- سلباً أو إيجاباً- فى أهمّ مدن العالم الإسلامى التى يمكن آنذاك فيها لحركة المعارضة إذا اشتدّت شوكتها أن تؤثّر فى تغيير مجرى حركة الأحداث أو ترسم للعالم الإسلامى مستقبلًا آخر.

وعدا دمشق ومدن الشام الأخرى التى كانت مغلقة سياسياً وإعلامياً- بشكل عام- لصالح الحكم الأموىّ، فإنّ أهمّ مدن قلب العالم الإسلامى التى يمكن أن تتحرك فيها المعارضة السياسية آنذاك بصورة خطيرة هى الكوفة والبصرة والمدينة ومكّة.

وفى متابعتنا هنا لحركة الأمّة فى الأيّام المكيّة من عمر النهضة الحسينية نرى من الأفضل- رعاية لترتب بدء التحرك تأريخياً- أن نبدأ أوّلًا فى قراءة حركة الأمّة فى الحجاز (فى أهمّ مدنه: مكة والمدينة)، ثمّ نتابع هذه الحركة فى الكوفة، ثمّ فى البصرة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۰

حركّة الأمّة فى الحجاز ..... ص : ۲۱۰

اشارة

سجّل لنا التأريخ على صعيد حركة الأمة فى الحجاز مجموعة من حوادث ووقائع وصُوَر فى أهمّ حاضرتين فيه آنذاك وهما مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، نقرأها هنا على النظم التالى:

إحتفاء الناس فى مكّة المكرّمة بالإمام عليه السلام ..... ص : ۲۱۰

استقبل الناس «۱» فى مكّة المكرّمة خبر قدوم الإمام الحسين عليه السلام استقبال البشرى، واحتفوا به حفاوة بالغة، فكانوا يفدون ويختلفون إليه ويحوطونه دون غيره، إذ كان عليه السلام يومذاك بقيّة الرسول صلى الله عليه و آله فى هذه الأمّة، وسيّد العرب والحجاز خاصة وسيّد المسلمين والعالم الإسلامىّ عامة، فما كان ثَمَّ مَن ينازعه يومذاك من الناس سموّ مرتبته وعلوّ مقامه وشرف منزلته فى قلوب المسلمين.

يقول ابن كثير: «فعكف الناس على الحسين يفدون إليه، ويقدمون عليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد، وأمّا ابن الزبير فإنّه لزم مصلّاه عند الكعبة، وجعل يتردّد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس، ولايمكنه أن يتحرّك بشىء مما فى نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إيّاه عليه .. بل الناس إنّما ميلهم إلى الحسين لأنّه السيّد الكبير وابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساميه ولايساويه ..». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۱

وقال الدينورى: «واختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبدالله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يتحفّلون إليه، فساء ذلك ابن الزبير، وعلم أنّ الناس لايحفلون به والحسين مقيم بالبلد، فكان يختلف الى الحسين رضى الله عنه صباحاً ومساءً.». «۱»

وجهاء الأُمّة .. مشورات ونصائح ..... ص : ۲۱۱

اشارة

طيلة المدّة التى أقام الإمام عليه السلام فيها بمكّة المكرّمة كان عليه السلام، قد التقى مجموعة منوّعة المشارب والميول والأفكار من وجهاء مرموقين ومعروفين فى أوساط الأمّة الإسلامية، وقد عرض هؤلاء على الإمام عليه السلام مشوراتهم ونصائحهم واعتراضاتهم، كلّ منهم على هدى مشربه وميله وطريقة تفكيره، ولئن اختلفت تلك المشورات والنصائح والإعتراضات فى بعض تفاصيلها، فقد اشتركت جميعها فى منطلق التفكير والنظرة الى القضية، إذ إنّ جميعها كان يرى الفوز والنصر فى تسلّم الحكم والسلامة والعافية والأمان الدنيوى، ويرى الخسارة والإنكسار فى القتل والتشرّد والبلاء والتعرّض للإضطهاد، فمن هذا المنطق انبعثت جميع تلك الإعتراضات والمشورات والنصائح.

وكم هو الفرق كبير والبون شاسع بين هذا المنطق وبين منطق العمق الذى كان قد جعل أساس حساباته مصير الإسلام والأمة الإسلامية، ولم يغفل فى نظرته إلى متّجه حركة الأحداث عن «أنّ معاوية بن أبى سفيان (الذى انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك) قد أضلّ جُلّ هذه الأمّة إضلالًا بعنوان الدين نفسه! حيث عتّم على ذكر أهل البيت عليهم السلام وعلى ذكر فضائلهم تعتيماً تاماً، وافتعل من خلال وُضّاع

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۲

الأحاديث- افتراءً على النبىّ صلى الله عليه و آله- قداسة مكذوبة «۱» له ولبعض مَن مضى مِن الصحابة الذين قادوا حركة النفاق أو ساروا فى ركابها، وتآزروا على غصب أهل البيت عليهم السلام حقّهم الذى فرضه الله لهم، وخدّر معاوية بن أبى سفيان الأمّة المسلمة عن القيام والنهوض ضدّ الظلم من خلال تأسيس فرق دينية تقدّم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الأمويين وتبرّر أعمالهم، كما فى مذهب الجبر ومذهب الإرجاء، وأعانه على ذلك مابذله من جهدٍ كبير فى تمزيق الأمّة قبلياً وطبقياً، وفى اضطهاد الشيعة اضطهاداً كبيراً.

ومع طول مدّة حكمه انخدع جُلّ هذه الأمّة بالتضليل الدينى الأموىّ، واعتقدوا أنّ حكم معاوية حكم شرعى، وأنه امتداد للخلافة الإسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، وأنّ معاوية إمام هذه الأمّة، وأنّ من ينوب عنه فى مكانه إمام هذه الأمّة وامتداد لأئمتها الشرعيين!! ومن المؤسف حقّاً أنّ جُلّ هذه الأمّة خضع خضوعاً أعمى لهذا التظليل وانقاد له، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدّق أنّ الحقيقة شىء آخر غير هذا!! ... ولقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار الدينى هو أن يثور عليه رجلٌ ذو مركز دينىّ مسلّم به عند الأمّة الإسلامية، فثورة مثل هذا الرجل كفيلة بأن تمزّق الرداء الدينى الذى يتظاهر به الحكّام الأمويون، وأن تكشف هذا الحكم على حقيقته، وجاهليته، وبُعده الكبير عن مفاهيم الإسلام، ولم يكن هذا الرجل الّا الحسين عليه السلام، فقد كان له فى قلوب الأكثرية القاطعة من المسلمين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۳

رصيد كبير من الحبّ والإجلال والتعظيم ... ولو لم تكن واقعة كربلاء لكان الأمويون قد واصلوا حكم الناس بإسم الدين، حتى يترسّخ فى أذهان الناس بمرور الأيام والسنين أنه ليس هناك إسلام غير الإسلام الذى يتحدّث به الأمويون ويؤخذ عنهم!! وعلى الإسلام السلام!.

لو لم تكن واقعة عاشوراء لما كان بالإمكان فصل الإسلام والأموية عن بعضهما البعض، ممّا يعنى أنّ زوال الأمويّة يوماً ما كان سيعنى زوال الإسلام أيضاً! ولكانت جميع الإنتفاضات والثورات التى قامت على الظلم الأموىّ تقوم حين تقوم على الإسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسينى فى عاشوراء هو الذى جعل كلّ هذه الإنتفاضات والثورات التى قامت بعد عاشوراء إنّما تقوم باسم الإسلام على الأموية!.».

«۱»

اشارة: ..... ص : ۲۱۳

ونلفت الإنتباه هنا إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام فى الوقت الذى كان يتحرك بالفعل على أساس منطق العمق هذا- منطق الفتح بالشهادة- كان يتعاطى أيضاً بمنطق الحجج الظاهرة فى تعامله مع منطق الظاهر، منطق تكلم المشورات والنصائح، كما أنه عليه السلام كان يراعى فى ردوده وإجاباته فى محاوراته مع أصحاب تلك المشورات والنصائح نوع المخاطَب من حيث قدر عقله ومستوى بصيرته ودرجة ولائه لأهل البيت عليهم السلام ونوع اعتقاده بهم ومدى علاقته بأعدائهم.

فنراه عليه السلام مثلًا يردّ على أم سلمة (رض) ومحمد بن الحنفية (رض) وعبدالله بن عبّاس (رض) ردوداً تختلف عن ردوده على عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن مطيع العدوى وأمثالهم.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۴

هذه الحقيقة لابدّ من استحضارها وعدم الغفلة عنها فى قراءتنا لمحاوراته عليه السلام حتّى نفهم سرّ التفاوت الظاهرى فى إجاباته وردوده عليه السلام.

تحرّک عبدالله بن عبّاس ..... ص : ۲۱۴

اشارة

سجّل لنا التأريخ أكثر من محاورة تمّت بين الإمام عليه السلام وبين عبدالله بن عبّاس، وقد كشفت هذه المحاورات فى مجموعها عن أنّ ابن عبّاس (رض) كان قد تحرّك فى حدود السعى لمنع الإمام عليه السلام من الخروج الى العراق- لا- من القيام والثورة على الحكم الأموىّ-، وكانت حجّته فى اعتراضه على خروج الإمام عليه السلام إلى الكوفة أنّ على أهل الكوفة- قبل أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام- أن يتحرّكوا عملياً لتهيئة الأمور وتمهيدها للإمام عليه السلام، كأن يطردوا أميرهم الأموىّ أو يقتلوه، وينفوا جميع أعدائهم من الأمويين وعملائهم وجواسيسهم فى الكوفة، ويضبطوا إدارة بلادهم، وآنئذٍ يكون من الرشاد والسداد أن يتوجّه إليهم الإمام عليه السلام، وإلّا فإنّ خروج الإمام عليه السلام إليهم- وهم لم يحرّكوا ساكناً بعدُ- مخاطرة لاتكون نتيجتها إلّا القتل والبلوى، ومما قاله ابن عبّاس للإمام عليه السلام فى صدد هذه النقطة:

«أخبرنى رحمك الله، أتسير الى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوّهم!؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فَسِرْ إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّما دعوك الى الحرب والقتال، ولا- آمن عليك أن يغرّوك ويكذّبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك!.». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۵

وقال له ايضاً: «.. فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا- فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهى أرض عريضة طويلة، وتبثّ دعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحبّ فى عافية.». «۱»

هذه أهمّ نقطة أثارها عبد الله بن عبّاس فى مجموع محاوراته مع الإمام عليه السلام، وهى كاشفة عن محورٍ أساس فى تفكير ابن عبّاس يتلخّص فى تأييده لقيام الإمام عليه السلام واعتراضه فقط على الخروج الى العراق قبل تحرّك أهله وقيامهم، وهذا فارق كبير من مجموع الفوارق بين موقف ابن عباس وموقف عبدالله بن عمر الذى كان يعترض على أصل القيام ضد الحاكم الأموى الجائر.

لكنّ هذه النقطة بالذات كاشفة أيضاً عن انتماء ابن عباس الى مجموعة الناصحين والمشفقين الذين نظروا الى القضية بمنظار النصر الظاهرى الذى لم تكن متطلّباته لتخفى على الإمام عليه السلام لو كان قد تحرّك بالفعل للوصول الى ذلك النصر.

والآن فلنأتِ الى نصوص محاورات ابن عباس مع الإمام عليه السلام:

المحاورة الأولى: ..... ص : ۲۱۵

وهى محاورة ثلاثيـة كان عبـدالله بن عمر، الثالث فيها، ويبدو أنّ هذه المحاورة حصـلت فى الأيام الأولى من إقامة الإمام الحسـين عليه السـلام فى مكّـة المكرّمـة، وكـان بهـا يومئـذٍ ابن عبـاس وابن عمر (وقـد عزما أن ينصـرفا الى المدينـة)، ونحن نركّز هنا على نصوص التحاور فيها بين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس لأننا الآن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۶

بصدد تشخيص أبعاد موقفه وتحرّكه.

وقد ابتدأ ابن عمر القول فى هذه المحاورة محذّراً الإمام عليه السلام من عداوة البيت الأموى وظلمهم وميل الناس الى الدنيا، وأظهر له خشيته عليه من أن يُقتل، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة»، «۱» ثمّ أشار على الإمام عليه السلام أن يدخل فى صلح ما دخل فيه الناس وأن يصبر كما صبر لمعاوية!! «۲»

فقال له الحسين عليه السلام: «أبا عبدالرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل فى صلحه وقد قال النبىّ صلى الله عليه و آله فيه وفى أبيه ما قال!؟

فقـال ابن عباس: صـدقتَ أبا عبـدالله، قال النبىّ صـلى الله عليه و آله فى حياته: مالى ولبزيـد، لا بارك الله فى يزيـد!، وإنّه يقتل ولـدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام، والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!

ثم بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين عليه السلام.

وقال: «يا ابن عباس، تعلمُ أنّى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله!

فقال ابن عباس: أللّهمّ نعم، نعلمُ ونعرف أنّ ما فى الـدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه و آله غيرك، وأنّ نصـرك لفرض على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة التى لايقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى!

قال الحسين عليه السلام: يا ابن عباس، فما تقول فى قومٍ أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله من داره وقراره ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومولده،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۷

ومسـجده، وموضع مهـاجره، فتركوه خائفـاً مرعوباً لايسـتقرّ فى قرار ولا يأوى فى موطن، يريـدون فى ذلك قتله وسـفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا اتّخذ من دونه وليّاً، ولم يتغيّر عمّا كان عليه رسول الله!.

فقـال ابن عبـاس: مـا أقول فيهم إلّا «إنّهم كفروا بالله وبرسوله ولايأتون الصـلاة إلّا وهم كُسالى»، «۱» «يُراؤون الناس ولايـذكرون الله إلّا قليلًا، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يُظلل اللهُ فلن تجد له سبيلا»، «۲»

وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأمّا أنت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله فإنك رأس الفخار برسول الله صلى الله عليه و آله وابن نظيرة البتول، فلاـ تظنّ يـا ابن بنت رسول الله أنّ الله غافـل عمّـا يعمـل الظـالمون، وأنـا أشـهد أنّ من رغب عن مجاورتك، وطمع فى محاربتك ومحاربة نبيّك محمّد صلى الله عليه و آله فماله من خلاق.

فقال الحسين عليه السلام: أللّهمَّ اشهد.

فقال ابن عباس: جُعلتُ فـداك يا ابن بنت رسول الله، كأنّك تريـدنى إلى نفسك، وتريد منّى أن أنصـرك! والله الذى لا إله إلّا هو أن لو ضـربتُ بين يـديك بسـيفى هـذا حتّى انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممن أوفّى من حقّك عشـر العشـر وها أنا بين يـديك مرنى بأمرك.

وهنا يتدخل ابن عمر ليغيّر مجرى الحوار- حين أحسَّ أنّ الكلام بلغ الدرجة الحرجة بقول الإمام عليه السلام «أللّهمّ اشهد» أنّ الحجّة قائمة على المخاطب، وصار الحديث على لسان ابن عباس الذى أدرك مغزى «أللّهمّ اشهد» فى وجوب نصرة الإمام عليه السلام ووجوب الإنضمام إلى رايته فى القيام ضد الحكم الأموى، الأمر الذى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۸

يعنى أنه (أى ابن عمر) مقصود أيضاً بالإمتثال لهذا الواجب- فقال لابن عباس:

مهلًا، ذرنا من هذا يا ابن عباس!!

ثمّ عطف يخاطب الإمام عليه السلام داعياً إيّاه الى الرجوع الى المدينة والتخلّى عمّا عزم عليه من القيام، وطالباً منه الدخول فى صلح القوم، والصبر حتى يهلك يزيد!!، ويدّعى ابن عمر هنا أنّ الإمام عليه السلام متروك ولابأس عليه إن هو ترك القيام حتى وإنْ لم يبايع!!

وهنا يُظهر الإمام عليه السلام تبّرمه من منطق ابن عمر، ثم يُلزمه بالتسليم لحقيقة أنّ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله فى طهره ورشده ومنزلته الخاصة ليس كيزيد بن معاوية، ويُعلمه أنّ الأمويين لايتركونه حتى يبايع أو يقتل، ثمّ يدعوه إلى نصرته، فإن لم ينصره فلا أقلّ من أن لايسارع بالبيعة!!

ثمّ أقبل الإمام الحسين عليه السلام على ابن عباس رحمه الله ..

فقال: يا ابن عباس، إنّك ابن عمّ والدى، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدى تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامضِ الى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ علىَّ شىءٌ من أخبارك، فإنّى مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبّونى وينصرونى، فإذا هم خذلونى استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمتُ بالكلمة التى قالها إبراهيم الخليل عليه السلام يومَ أُلقى فى النار (حسبى الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

.. فبكى ابن عباس وابن عمر فى ذلك الوقت بكاءً شديداً، والحسين عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۱۹

يبكى معهما ساعة، ثمّ ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عباس الى المدينة. «۱»

تأمّل وملاحظات: ..... ص: ۲۱۹

۱)- أكّد ابن عباس (رض)- فى أوّل ما نطق به خلال هذه المحاورة- أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله كان قد بلّغ الأمّة بأنّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام، وأنّ على الأمّة أن تحمى الإمام عليه السلام وتنصره، وقد حذّر صلى الله عليه و آله الأمّة بأنّ الإمام عليه السلام لايُقتل بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! وقد أكّد ابن عمر أيضاً على وقوع هذا التحذير والإنذار النبوى حيث قال إنه سمع الرسول صلى الله عليه و آله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله الى يوم القيامة»، وهذا يعنى أنّ الأمّة كان قد شاع فى أوساطها خبر ملحمة مقتل الحسين عليه السلام وأنّ يزيد قاتله، وأنّ على الأمّة التحرك لحماية الإمام عليه السلام ونصرته!! لكنّ الأمّة بعد خمسين سنة من ارتحال الرسول صلى الله عليه و آله أعمتها أضاليل حركة النفاق عامة وفصيل الحزب الأموى منها خاصة، فتناءت عن وصايا رسول الله صلى الله عليه و آله وتحذيراته، الأمر الذى استشعر ابن عباس مرارته ونتائجه الخطيرة فبكى، وشاركه الإمام عليه السلام فى البكاء!

۲)- أكّد ابن عباس (رض) فى هذه المحاورة على معرفته بمقام الحسين عليه السلام وضرورة موالاته ونصرته، بدليل قوله: «.. وأنّ نصرك لفرض على هذه الأمّة كفريضة الصلاة والزكاة ..»، وفى قوله: «.. لو ضربتُ بين يديك بسيفى هذا حتى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۰

انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممّن أوفّى من حقّك عشر العشر ..».

۳)- كما أكّد (رض) على معرفته بكفر الأمويين ونفاقهم، وأنّهم ومن أطاعهم فى محاربة الإمام عليه السلام ممّن لانصيب لهم من الخير فى الآخرة.

۴)- قد يُستفاد من قوله (رض): «كأنّك تريدنى إلى نفسك، وتريد منّى أن أنصرك ... الى قوله: وها أنا بين يديك مُرنى بأمرك» أنّه وإن كان كبير السنّ يومذاك لكنّه كان صحيح القُوى سليم الجوارح وإلّا لما عرض استعداده للنصرة والجهاد، فلم يكن مكفوف البصر مثلًا- كما يُستفاد ذلك من رواية لقائه بأمّ سلمة (رض) بعد سماع صراخها تنعى الحسين عليه السلام «۱»- نعم يمكن القول إنّ الإمام عليه السلام فى جميع محاوراته مع ابن عباس لم يطلب منه الالتحاق به ونصرته، مما يقوىّ القول بأنه كان ضعيف البصر جداً أو مكفوفاً آنذاك، ومعذوراً عن الجهاد إلّا أنه (رض) عرض للإمام عليه السلام استعداده للجهاد والتضحية بين يديه استشعاراً منه لوجوب نصرة الإمام عليه السلام والذبِّ عنه وإنْ كان معذوراً.

۵)- وقد يُستفاد أيضاً من أحد نصوص هذه المحاورة أنّ الإمام عليه السلام رخّص لابن عباس (رض) بالبقاء وعدم الالتحاق بركبه، حيث قال عليه السلام له: «فامضِ إلى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يَخفَ علىَّ شىء من أخبارك».

۶)- أخبر الإمام عليه السلام ابن عباس (رض)- فى الأيام الأولى من إقامته فى مكّة المكرّمة- أنّ الأمويين يريدون قتله وسفك دمه!، والإمام عليه السلام بهذا ربّما أراد أن يُخبر عن وجود خطة وضعتها السلطة الأموية المركزية بالفعل لقتله فى المدينة أو فى مكّة، أو أراد أن يُخبر عن حقيقة أنّه (ما لم يبايع يقتل)، مؤكّداً بذلك على عدم صحة دعوى بعض من يقول- كابن عمر مثلًا- إنه عليه السلام لابأس عليه ولاخطر إن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۱

ترك المعارضة وصبر حتى وإن لم يبايع!

۷)- ومع علمه عليه السلام بأنّه مالم يبايع يقتل! ومع إصراره على أن لا يكون هو الذى تستباح بقتله حرمة البيت الحرام! يمكننا أن نفهم قوله عليه السلام لابن عباس (رض) فى ختام هذه المحاورة: «فإنّى مستوطن هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيت أهله يحبّونى وينصرونى، فإذا هم خذلونى استبدلت بهم غيرهم ..» أنه عليه السلام أراد أن يطمئن ابن عباس (والمحاورة فى أوائل الأيّام المكيّة) أنه باقٍ أيّاماً غير قليلة فى مكّة، وأنّ هنالك متسعاً من الوقت، وإلّا فإنّ الإمام عليه السلام قد جعل استيطانه الحرم مشروطاً بحبّ أهله إيّاه ونصرتهم له! وهو عليه السلام يعلم أنه ليس فى (المكيين) إلا نزر قليل جداً ممّن يحبّ أهل البيت عليه السلام، «۱» فليس له فى مكّة قاعدة شعبية تحميه وتنصره فى مواجهة السلطة الأموية.

المحاورة الثانية: ..... ص: ۲۲۱

ويبدو أنّ هذه المحاورة حصلت بين ابن عباس (رض) وبين الإمام عليه السلام بعد رجوع ابن عباس من المدينة الى مكّة المكرّمة مرّة أخرى، إذ تقول الرواية التأريخية: «وقدم ابن عباس فى تلك الأيّام الى مكّة، وقد بلغه أنّ الحسين عزم على المسير، فأتى إليه ودخل عليه مسلّماً.

ثم قال له: جُعلتُ فداك، إنه قد شاع الخبر فى الناس وأرجفوا بأنّك سائر الى العراق! فبيّن لى ما أنت عليه؟ «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۲

فقال: نعم، قد أزمعتُ على ذلك فى أيّامى «۱» هذه إن شاء الله، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العلىّ العظيم.

فقال ابن عباس: أعيذك بالله من ذلك، فإنك إنْ سرت الى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، واتقوا عدوّهم، «۲» ففى مسيرك إليهم لعمرى الرشاد والسداد، وإن سرت إلى قوم دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم، وعمّالهم يجبون بلادهم، «۳» فإنّما دعوك الى الحرب والقتال! وأنت تعلمُ أنه بلدٌ قد قُتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمّك وقد بايعه أهله (!) وعبيد الله فى البلد يفرض ويُعطى، والناس اليوم عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن تُقتل، فاتّقِ الله والزم هذا الحرم، فإن كنت على حال لابدّ أن تشخص فَصِرْ إلى اليمن فإنَّ بها حصوناً لك، وشيعةً لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسين عليه السلام: لابُدَّ من العراق!

قال: فإن عصيتنى فلا تُخرج أهلك ونساءَك فيُقال إنّ دم عثمان عندك وعند أبيك، فوالله ما آمَنُ أن تُقتل ونساؤك ينظرن كما قُتل عثمان.

فقال الحسين عليه السلام: والله يا ابن عم، لئن أُقتل بالعراق أحبّ إليَّ من أن أُقتل بمكّة، وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۳

مايكون». «۱»

تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۲۲۳

۱)- يمكن تشخيص تأريخ هذه المحاورة من قرائن متون روايتها أنّها حصلت فى الأيام الأخيرة من إقامة الإمام عليه السلام فى مكّة، بدليل قوله عليه السلام «قد أزمعتُ على ذلك فى أيّامى هذه ..»، أو أنها حصلت فى اليوم الأخير أو اليوم الذى قبله، بدليل قوله عليه السلام كما فى رواية الطبرى: «قد أجمعتُ المسير فى أحد يومىّ هذين ..».

۲)- تؤكّد نصوص هذه المحاورة أنّ تصميم الإمام عليه السلام على التوجّه الى العراق قد شاع فى الناس فى مكّة وغيرها، خصوصاً فى الأيّام الأواخر من إقامته فيها، وهذا لاينافى أن يبقى موعد السفر سرّياً لو أراد الإمام عليه السلام ذلك، مع أن نفس موعد سفر الركب الحسينى من مكّة لم يكن سرّياً إذ كان الإمام عليه السلام قد أعلن عنه فى خطبته قبيل سفره حين قال فيها: «... من كان باذلًا فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإننى راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى.». «۲»

۳)- فى هذه المحاورة يتجلّى المحور الأساس فى تفكير ابن عباس (رض) وموقفه من قيام الإمام عليه السلام فهو مع القيام، وضد الخروج الى العراق قبل أن يتحرّك أهله عملياً لترتيب وتهيئة الأوضاع وتمهيدها استقبالًا لمقدم الإمام عليه السلام إليهم، وهذه المقولة صحيحة فى حدود منطق النصر الظاهرى الذى كانت تنطلق منه مشورات ابن عباس (رض) ونصائحه، والمُلفت للإنتباه أنّ الإمام عليه السلام لم يُخطّىء

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۴

مثل هذه المشورة والنصيحة فى جميع المحاورات التى طُرحت فيها من قِبل ابن عباس وغيره، «۱» بل كان يعلّق عليها بما يُشعر بصحتها فى حدود منطق الظاهر. «۲»

۴)- فى ضوء منطق (الظاهر) يمكن للمتابع المتأمّل أن يفسّر قول الإمام عليه السلام «لابدّ من العراق» أنّ إصراره عليه السلام على التوجّه الى العراق كان بسبب رسائل أهل الكوفة إليه، إذ شكّلت هذه الرسائل حجّة على الإمام عليه السلام فى وجوب الإستجابة لهم والتوجّه إليهم، خصوصاً بعد وصول رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إليه وقد أخبره فيها بأنّ عدد المبايعين له فى الكوفة بلغ ثمانية عشر ألفاً (أو أكثر)، وطالبه فيها بالقدوم إليهم، ويؤيّد هذا ما روى عنه عليه السلام أنه قال لابن عباس فى محاورة أخرى:

«.. وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم وقد وجب علىَّ إجابتهم وقام لهم العذر علىَّ عند الله سبحانه». «۳»

أمّا فى ضوء منطق «العمق» فإنّ قوله عليه السلام «لابدّ من العراق» مع علمه بأنّ أهل الكوفة سوف يقتلونه ومن معه من أنصاره- وتصريحات الإمام عليه السلام بأنه سوف يُقتل كثيرة متظافرة- لابدّ أن يفسّر بأنّ الإمام عليه السلام يعلم أيضاً أنّ العراق هو الأرض المختارة للمصرع المختار، وميدان الواقعة الحاسمة، واقعة «الفتح بالشهادة»، الواقعة التى تكون نتائجها جميعاً لصالح الإسلام المحمّدى الخالص وأهل البيت عليهم السلام إلى قيام الساعة، ذلك لأنّ الشيعة فى العراق آنئذٍ أكثر منهم فى أىّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۵

إقليم إسلامى آخر، ولأنّ العراق لم ينغلق إعلامياً ونفسيّاً لصالح الأمويين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح، فالعراق آنذاك هو أرض المصرع المختار لما ينطوى عليه من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم «واقعة عاشوراء» والتغيّر على هدى اشعاعاتها.

ويؤيّد هذا التفسير (فى العمق) أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجّه الى الكوفة حتى بعد انتفاء حجّة أهل الكوفة عليه عملياً حين بلغه خذلانهم لمسلم عليه السلام الذى أمسى وحيداً وجاهد وحيداً حتى قُتل!

۵)- ورد فى هذه المحاورة قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. وأنت تعلمُ أنّه بلدٌ قد قُتِل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمّك وقد بايعه أهله! ...» ولاشك أنّ المراد ب (ابن عمّك) هو مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذا فإنّ هذه العبارة شاذّة ومخالفة للمشهور الثابت، ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام أتى الإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكّة فى منزل من منازل الطريق (زرود)، ولعلّ هذه العبارة قد أُدخلت إدخالًا على أصل متن هذه المحاورة عمداً أو سهواً، والله العالم.

كذلك الأمر فى قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. فأتقِ الله والزم هذا الحرم ..»، ذلك لأنّ فيه من سوء الأدب فى مخاطبة الإمام عليه السلام ما يبعد صدوره جدّاً عن ابن عباس (رض) العارف بمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصة وبمقام أهل البيت عليهم السلام عامّة.

۶)- يمكن حمل قول الإمام عليه السلام: «.. لئن أُقتل بالعراق أحبُّ إلىَّ من أن أُقتل بمكّة ..» على أصل إصرار الإمام عليه السلام ألّا يكون هو القتيل فى مكّة الذى تُستحلّ به حرمة هذا البيت، ويمكن حمل هذا القول أيضاً على حقيقة علمه عليه السلام بأنّ العراق هو أفضل أرض للمصرع المختار كما قدّمنا قبل ذلك، ولأنّ الواقعة التى يُقتل عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۶

فيها على أرض العراق سوف تكون إعلامياً وتبليغياً (على الأقلّ) فى صالح الإمام عليه السلام تماماً بحيث لايتمكّن العدوّ فيها أن يعتّم على مصرعه فتختنق الأهداف المرجوّة من وراء هذا المصرع الذى سيهزّ الأعماق فى وجدان هذه الأمّة ويحرّكها بالإتجاه الذى أراده الحسين عليه السلام، وهذا بخلاف مالو قُتِل الإمام عليه السلام بمكّة غيلة فى خفاء أو علانية، قتلة يمكن للعدوّ أن يُغطّى عليها ويتنصّل من مسؤوليته عنها، بل يستفيد من نفس الحادثة لصالحه إعلامياً، إذ يقتل القاتل- الذى كان قد أمره هو بقتل الإمام عليه السلام- فيظهر للأمّة بمظهر المطالب بدم الإمام عليه السلام الثائر له، فتنطلى اللعبة على أكثر الناس، وتبقى مأساة الإسلام على ماهى عليه، بل تترسخ المصيبة وتشتدّ.

۷)- فى ختام هذه المحاورة نقف أمام قول الإمام عليه السلام: «وما قضى اللّه فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر مايكون.»، وقد تكرّر قوله عليه السلام «أستخير الله» فى بعض محاوراته عليه السلام مع ابن الزبير وابن مطيع وفى ردّه على كتاب المسور بن مخرمة.

فهل عنى الإمام عليه السلام بالإستخارة طلب معرفة ما فيه الخيرة من الأمور!؟ وهل يعنى هذا أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لديه خطّة على الأرض فى مسار نهضته منذ البدء، ولم يكن لديه علم بما هو قادم عليه من مصير فى مستقبل ايّامه وأنّ بوصلة الإستخارة هى التى كانت توجّه حركته!؟

وهل يوافق هذا: الإعتقاد الحقّ بالشرائط اللازمة للإمامة المطلقة المتجسّدة فى شخصيات أئمّة أهل البيت عليه السلام بعد النبى الأكرم

صلى الله عليه و آله، خصوصاً على صعيد (علم الإمام عليه السلام)!؟

وهل يصدّق هذا التراث الروائى الكبير المتظافر المأثور عن النبىّ صلى الله عليه و آله

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۷

وعنهم عليهم السلام فى إخباراتهم عن (الملاحم والفتن) إلى قيام الساعة، وخصوصاً الإخبارات المأثورة عن النبىّ صلى الله عليه و آله وعن علىّ والحسن والحسين عليهما السلام بصدد (ملحمة عاشوراء)!؟

قبل الإجابة يحسن بنا أن نتعرّض هنا الى معنى الإستخارة لغة واصطلاحاً.

معنى الإستخارة: ..... ص : ۲۲۷

الإستخارة لغةً: طلب الخِيرَة فى الشىء، واستخار الله: طلب منه الخيرة، و:

أللّهمّ خِر لى: أى اختر لى أصلح الأمرين. «۱»

وهى إصطلاحاً- كما ورد فى الروايات- على معانٍ:

۱- بمعنى طلب الخيرة من الله، بأن يسأل الله فى دعائه أن يجعل له الخير ويوفّقه فى الأمر الذى يريده.

۲- بمعنى تيسّر ما فيه الخيرة. وهو قريب من الأوّل.

۳- طلب العزم على ما فيه الخير، بمعنى أن يسأل الله تعالى أن يوجد فيه العزم على ما فيه الخير.

۴- طلب معرفة ما فيه الخيرة، وهو المتداول فى العرف. «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۸

لنرجع الى أصل المسألة ..

لاشك أنّ مراد الإمام عليه السلام من الإستخارة ليس معناها المتداول فى يومنا هذا:

وهو طلب معرفة مافيه الخيرة، وأنّه عليه السلام كان يريد استكشاف الغيب بطريق الرجاء بلاجزم ويقين!!

إذ إنّ هذا ينافى الإعتقاد الحقَّ بأنّ النبىّ صلى الله عليه و آله والأئمّة عليهم السلام عندهم علم ماكان وما هو كائن ومايكون الى قيام الساعة موهبة من الله تبارك وتعالى، كما ينافى هذا روايات أخبار (الملاحم والفتن) الكثيرة المأثورة عنهم عليهم السلام والكاشفة عن علمهم بمسار وتفاصيل حركة أحداث العالم الى قيام الساعة، وخصوصاً أخبار (ملحمة عاشوراء) المأثورة عن الخمسة أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير صلوات الله عليهم أجمعين. «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۲۹

إذن فمعنى الإستخارة هنا من الممكن أن يكون هو الدعاء الى الله تبارك وتعالى فى أن يجعل له عليه السلام الخير فى مسعاه ويوفّقه فى الأمر الذى يريده، أو أن ييسّر له ما فيه الخير بتذليل كلّ الصعوبات والعوائق لبلوغ ما يبتغيه عليه السلام فى طريق نهضته المقدّسة، أو الدعاء الى الله تبارك وتعالى فى طلب المزيد من العزم والتصميم على ما فيه الخير وجزيل المثوبة.

ولاشك أن المتابع المتأمّل يُدرك أنّ الإمام عليه السلام فى جميع محاوراته التى ذكر فيها أمر الإستخارة أراد بذلك أن يُسكت المخاطب عن الإلحاح فى نهيه عمّا هو عازم عليه.

ولا ينافى ما قدّمنا إذا حدّثنا التأريخ أنّ الإمام عليه السلام لجأ لقطع إلحاح المحاور الى الإستفتاح بالقرآن- وهو يعلم نتيجة الإستفتاح مسبّقاً- كما فعل ذلك مع ابن عباس نفسه، فقد روى «أنّ ابن عباس ألحّ على الحسين عليه السلام فى منعه من المسير الى الكوفة، فتفأل بالقرآن لإسكاته، فخرج الفأل قوله تعالى: «كلّ نفس ذائقة الموت، وإنّما توفون أجوركم يوم القيامة ...»، «۱»

فقال عليه السلام: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، صدق الله ورسوله. ثمّ قال: يا ابن عباس، فلا تُلحَّ عليَّ بعد هذا فإنه لا مردّ لقضاء الله عزّ وجلّ.». «۲»

المحاورة الثالثة: ..... ص : ۲۲۹

يقول التأريخ: «فلمّا كان من العشيّ أو من الغد أتى الحسين عبدالله بن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۰

عباس ...

فقال: يا ابن عم، إنى أتصبّر ولا أصبر، إنّى أتخوّف عليك فى هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إنّ أهل العراق قوم غدر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثمّ أقدم عليهم، فإنْ أبيت إلّا أن تخرج فَسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهى أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة، فتكتب إلى الناس وتُرسل وتبثّ دُعاتك، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحبّ فى عافية!

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، إنّى والله لأعلم أنّك ناصحٌ مشفق، ولكنّى قد أزمعت وأجمعت على المسير!

فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تَسِرْ بنسائك وصبيتك، فوالله إنّى لخائف أن تُقتلَ كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه!

ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إيّاه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لاينظر إليه أحدٌ معك، والله الذى لا إله إلّا هو، لو أعلم أنّك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليَّ وعليك الناس أطعتنى لفعلتُ ذلك!!

قال ثمّ خرج ابن عباس من عنده فمرَّ بعبدالله بن الزبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير! ثمّ قال:

يالك من قُنبُرَةٍ بمَعمْرِ خلا لك الجوُّ فَبيِضى واصفرى

ونقّرى ما شئتِ أن تنقّرى

هذا حسينٌ يخرج الى العراق! وعليك بالحجاز!.». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۲

المحاورة الرابعة: ..... ص : ۲۳۲

اشارة

روى الطبرى (الإمامى) عن عبدالله بن عباس قال: لقيتُ الحسين بن علىّ وهو يخرج الى العراق ..

فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج!

قال فقال لى: يا ابن عباس، أما علمتَ أنَّ منيّتى من هناك وأنّ مصارع أصحابى هناك!؟

فقلتُ له: فأنّى لك ذلك؟

قال: بسِرٍّ سُرَّ لى وعلمٍ أُعطيته!». «۱»

إشارة: ..... ص : ۲۳۲

لايخفى على المتأمّل فى ما عثرنا عليه من متون محاورات عبدالله بن عباس (رض) مع الإمام الحسين عليه السلام ظهور حقيقة- ما

قدّمناه من قبل- أنّ المحور الأساس فى تفكير ابن عباس (رض) هو تأييده لقيام الإمام عليه السلام، ومعارضته لخروجه الى العراق قبل تحرّك أهله عملياً لنصرته.

ولم نعثر- حسب تتبعنا- على نصٍّ منسوب الى ابن عباس (رض) يفيد أنه كان معارضاً لقيام الإمام عليه السلام، أو أنه (رض) نهى عن القيام، إلّا ما ورد فى كتاب (أسرار الشهادة) للدربندى (ره) نقلًا عن كتاب (الفوادح الحسينية)، «۲» عن ابن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۳

عباس (رض) أنه قال للامام الحسين عليه السلام فى ختام واحدة من محاوراته بعد أن بكى بكاءً شديداً: «يعزُّ واللّهِ علىَّ فراقك يا ابن العم. (ثمّ أقبل على الحسين وأشار عليه بالرجوع الى مكّة والدخول فى صلح بنى أميّة!!).

فقال الحسين عليه السلام: هيهات هيهات يا ابن عباس، إنّ القوم لم يتركونى، وإنهم يطلبوننى أين كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونى، والله لو كنتُ فى جحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لاستخرجونى منه وقتلونى، واللّه إنهم ليعتدُون علىَّ كما اعتدت اليهود فى يوم السبت، وإنّى ماضٍ فى أمر رسول الله صلى الله عليه و آله حيث أمرنى، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.» «۱»

ونقل صاحب كتاب «معالى السبطين» هذه المحاورة قائلًا: «وفى بعض الكتب: جاء عبدالله بن عباس الى الحسين عليه السلام وتكلّم معه بما تكلّم الى أن أشار عليه بالدخول فى طاعة يزيد وصلح بنى أميّة!!»، وفى نقله إضافة الى نقل الدربندى أنّ ابن عباس قال للامام عليه السلام بعد ذلك: يا ابن العمّ، بلغنى أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكّة!

فقال عليه السلام: لَانْ أقتل والله بمكان كذا أحبّ إلىَّ من أن أُستحلّ بمكّة، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم، وقد وجب علىَّ إجابتهم وقام لهم العذر علىَّ عند الله سبحانه!

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۴

فبكى عبدالله حتى بُلَّت لحيته، وقال: واحسيناه، وا أسفاه على حسين.» «۱»

والملاحظ المتأمّل يرى: ..... ص : ۲۳۴

۱)- أنّ ما ورد فى هذين الكتابين من دعوى «أنّ ابن عباس (رض) أشار على الامام عليه السلام بالدخول فى صلح بنى أميّة وطاعة يزيد» شاذّ غريب مخالف للمشهور الوارد فى الكتب المعتبرة.

۲)- أنّ صاحب أسرار الشهادة ينسب هذه الدعوى الى كتاب الفوادح الحسينية (لانعرفه فى الكتب المعتبرة)، وصاحب معالى السبطين ينسبها الى (بعض الكتب!)، ولايخفى أنها نسبة ظاهرة الضعف.

۳)- أنّ عبارة الدعوى نفسها ليست قولًا نطق به ابن عباس فنقل عنه، بل هى من إنشاء صاحب أسرار الشهادة وصاحب معالى السبطين.

۴)- وهناك أيضاً تعارضٌ بيّن بين عبارة صاحبى أسرار الشهادة ومعالى السبطين، ففى الأولى: (وأشار عليه بالرجوع الى مكّة)، أى أنّ المحاورة حصلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة، وفى الثانية: (فلا تعجل فأقم بمكّة) أى أنّ المحاورة حصلت فى مكّة.

كما لايخفى أنّ القول بأنّ المحاورة حصلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة أشدّ شذوذاً من أصل الدعوى نفسها لأن المشهور الثابت أنّ ابن عباس (رض) لم يلتق الامام عليه السلام بعد خروجه من مكّة المكرّمة.

خلاصة القضية: ..... ص : ۲۳۴

انّ هذه الدعوى الشاذّة لاتستند الى دليل معتبر يمكن الإطمئنان اليه، بل لا دليل عليها، ويبقى الأصل المستفاد من المتون المعتبرة

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۵

صحيحاً فى أنّ موقف ابن عباس (رض) يتلخّص فى تأييده لقيام الامام عليه السلام، ومعارضته لخروجه الى العراق قبل تحرّك أهله عملياً لنصرته، نعم، هناك قول للسيّد ابن طاووس (ره) مبهم الدلالة وهو: وجاء عبدالله بن عباس رضوان الله عليه، وعبدالله بن الزبير فأشارا إليه بالإمساك، فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أمرنى بأمر وأنا ماضٍ فيه. قال فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه!». «۱»

ولا دلالة فى هذه العبارة الغامضة: (فأشارا عليه بالإمساك) على أنّ ابن عباس أشار على الامام عليه السلام بترك القيام، بل الأقوى دلالتها على ترك الخروج الى العراق بقرينة المتون التفصيلية الأخرى ذات المضمون نفسه التى أجاب فيها الامام عليه السلام ابن عباس (رض) بأنه ماضٍ الى العراق بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله.

لماذا تخلّف ابن عباس (رض) عن الإمام عليه السلام!؟ ..... ص : ۲۳۵

عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطّلب بن هاشم رضى الله عنهم أجمعين، كان مؤمناً بإمامة أئمة أهل البيت الإثنى عشر عليهم السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، «۲» عارفاً

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۳۶

بحقّهم، موقناً بأنّ نصرهم والجهاد تحت رايتهم فرض كفرض الصلاة والزكاة، «۱» وكانت سيرته مع الامام أمير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام كاشفة عن هذا الإيمان وهذا اليقين وهذه المعرفة، «۲» وكان (رض) لايتردد فى إظهار

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۰

اعتزازه وافتخاره بما أنعم الله عليه به من موالاتهم وحبّهم والإنقياد لهم والإمتثال لأمرهم، ومن جميل ما يُروى فى ذلك أنّ مُدرك بن زياد اعترض على ابن عباس حين رآه ذات يوم وقد أمسك للحسن والحسين عليهما السلام بالركاب وسوّى عليهما:

«قائلًا: أنت أسنُّ منهما تُمسك لهما بالركاب!؟

فقال: يالُكع، وتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه و آله، أو ليس ممّا أنعم الله به علىَّ أن أمسك لهما وأسوّى عليهما!؟» «۱».

وكان ابن عباس (رض) قد حفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله ومن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ما أخبرا به حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام، والارض التى يُقتل فيها، وأسماء أصحابه، فها هو يروى قائلًا: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فى خرجته الى صفين، فلمّا نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلا صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتى لم تكن تجوزه حتّى تبكى كبكائى!

قال: فبكى طويلًا حتّى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۱

معاً وهو يقول: أوّه أوّه، مالى ولآل أبى سفيان!؟ مالى ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر!؟ صبراً يا أبا عبدالله، فقد لقى أبوك مثل الذى تلقى منهم.». «۱»

وكان ابن عباس (رض) يقول: «ماكُنا نشكُّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن علىّ يُقتل بالطفّ!.». «۲»

إذن لِمَ لم يلتحق ابن عباس (رض) بالركب الحسينى ليفوز بشرف نصرة سيد المظلومين عليه السلام وبشرف الشهادة بين يديه!؟

هل أثّاقل الى الارض وآثر الدنيا على الآخرة بعد عمر شريف عامر بالجهاد ونصرة الحق!؟

إنّ العارف بسيرة ابن عباس (رض) قد يرفض حتى التفكير فى مثل هذا السؤال! أوليس ابن عباس هو القائل فى محاورته الأولى مع الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة فى شعبان سنة ۶۰ للهجرة: «جُعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنك تريدنى إلى نفسك، وتريد منى أن أنصرك! والله الذى لا إله إلّا هو أنْ لو ضربتُ بين يديك بسيفى هذا حتّى انخلع جميعاً من كفّى لما كنت ممن أوفّى من حقّك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرنى بأمرك.».

إذن هل كان تقادم العمر به قد أعجزه عن القدرة على النصرة!؟

إذا علمنا أنّ ابن عباس (رض) توفى سنة ۶۸ للهجرة أو ۶۹ وله من العمر سبعون عاماً أو واحد وسبعون، «۳» أدركنا أنّ عمره سنة ۶۰ للهجرة كان إثنين وستين

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۲

عاماً أو ثلاثة وستين عاماً، فهو أكبر من الإمام الحسين عليه السلام بحوالى خمسة أعوام، إذن فقد كان قادراً على الجهاد مع الإمام عليه السلام من حيث السلامة البدنية، خصوصاً وأنّه لم يُروَ أنّ ابن عباس كان مريضاً آنذاك كما روى بصدد محمّد بن الحنفية (رض) مثلًا.

فما هى علّة تخلّفه إذن!؟

لعلّ المتأمل فى موضوع علّة عدم التحاق ابن عباس (رض) بالامام عليه السلام فى نهضته المقدّسة يلاحظ- قبل الوصول الى الجواب- نقطتين مهمتين تساعدان على الإطمئنان أنه كان معذوراً، وهما:

۱- فى جميع ما روى من لقاءات ومحاورات ابن عباس مع الامام الحسين عليه السلام فى مكة سنة ستين للهجرة، لا يجد المتتبع أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس دعوة مباشرة الى نصرته كما صنع مثلًا مع ابن عمر، وحتى حينما قال الإمام عليه السلام فى محاورته الأولى مع ابن عباس وابن عمر: «اللّهمّ اشهد» «۱» أدرك ابن عباس مغزى قول الإمام عليه السلام، وبادر الى اظهار استعداده للنصرة والجهاد بين يدى الامام عليه السلام وعدا هذا لايجد المتتبع أية إشارة من قريب أو بعيد مؤدّاها أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس الى نصرته.

۲- لم نعثر- حسب تتبعنا- على نصّ تأريخىّ عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام يفيد أنّ ابن عباس كان مقصّراً وملوماً ومداناً على عدم إلتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، بل لم نعثر على نصّ تأريخى عام يشير الى إدانته «۲» سوى هذا النصّ الذى نقله ابن

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۳

شهر آشوب مرسلًا: «وعُنِّفَ ابن عباس على تركه الحسين فقال: إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلًا ولم يزيدوا رجلًا، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم!» «۱»، ويظهر من هذا النصّ أنّ ابن عباس لم يكن معذوراً فى تركه الإمام عليه السلام، لكنّ إرسال هذا الخبر، ومجهولية المُعنِّف، ومعلوميّة ولاء ابن عباس (رض) لأهل البيت عليهم السلام، كلّ ذلك يفرض عدم الإطمئنان الى صدر هذا الخبر، أى «وعُنِّف ابن عباس!».

بعد هذا، ينبغى أن نذكّر بأنّ ابن عباس قد كُفَّ بصرُه آخر عمره، وهذا متّفقٌ عليه عند المؤرّخين، وأنّ سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كُفَّ بصره «۲»، وتعبير «كُفَّ بصره» مشعرٌ بأنّ الضعف كان قد دبّ الى بصره حتى استفحل عليه فكفّه عن رؤية الأشياء، ولعلَّ هذا الضعف كان قد دبّ الى بصره منذ أيّام معاوية (ويحتمل أنّ بصر ابن عباس قد كُفَّ أواخر سنين معاوية)، هذا ما يُشعر به قول ابن قتيبة فى المعارف حيث يقول: «ثلاثة مكافيف فى نسق: عبدالله بن عباس، وأبوه العباس بن عبدالمطّلب، وأبوه عبدالمطلب بن هاشم. قال: ولذلك قال

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۴

معاوية لابن عباس: أنتم يا بنى هاشم تُصابون فى أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بنى أميّة تُصابون فى بصائركم!»، «۱» فلولا أنّ

بصر ابن عباس (رض) كان قد ضعف جداً أو قد كُفّ بصره آنذاك لما كان لقول معاوية مناسبة ولا داعٍ.

ويقول مسروق: «كنتُ إذا رأيت عبدالله بن عباس قلتُ: أجمل الناس، فإذا تكلّم قلتُ: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلتُ: أعلم الناس، وكان عمر بن الخطّاب يقرّبه ويُدنيه ويشاوره مع جلّة الصحابة، وكُفَّ بصره فى آخر عمره». «۲»

فإذا علمنا أنّ مسروقاً هذا قد مات سنة ۶۲ أو ۶۳ للهجرة، «۳» أمكن لنا أن نقول:

إنّ ابن عباس كان مكفوفاً قبل سنة ۶۲ أو ۶۳ على الأظهر، هذا على فرض أنّ عبارة (وكفّ بصره فى آخر عمره) من قول مسروق أيضاً.

وهناك رواية يمكن أن يُستفاد من ظاهرها أنّ ابن عباس (رض) كان ضعيف البصر جداً أو مكفوفاً أوائل سنة إحدى وستين للهجرة، فى الأيّام التى لم يكن خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد وصل بعد الى أهل المدينة المنورة.

هذه الرواية يرويها الشيخ الطوسى (ره) فى أماليه بسندٍ الى سعيد بن جبير (وهو الذى كان يقود ابن عباس بعد أن كُفَّ بصره)، عن عبدالله بن عباس قال:

«بينا أنا راقدٌ فى منزلى، إذ سمعتُ صراخاً عظيماً عالياً من بيت أمّ سلمة زوج النبىّ صلى الله عليه و آله، فخرجت يتوجّه بى قائدى الى منزلها!، وأقبل أهل المدينة اليها الرجال والنساء، فلمّا انتهيتُ إليها قلت: يا أمّ المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبنى، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يابنات عبدالمطّلب، أسعدننى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۵

وابكين معى، فقد واللّهِ قُتل سيّدكُنّ وسيّد شباب أهل الجنّة، وقد واللّه قُتل سبط رسول اللّه وريحانته الحسين.

فقيل: يا أُمَّ المؤمنين، ومن أين علمتِ ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله فى المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قُتل ابنى‌الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم.

قالت فقمتُ حتّى دخلتُ البيت وأنا لا أكاد أن أعقل! فنظرتُ فإذا بتربة الحسين التى أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنك! وأعطانيها النبىّ صلى الله عليه و آله فقال: إجعلى هذه التربة فى زجاجة- أو قال فى قارورة- ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين. فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: وأخذت أمّ سلمة من ذلك الدم فلطّخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، وأنّه قد قُتل فى ذلك اليوم ...» «۱».

فقول ابن عباس (رض):» فخرجت يتوجّه بى قائدى الى منزلها» كاشف- على الأقوى- عن مكفوفية بصره آنذاك (أو عن ضعف شديد جداً فى بصره)، لحاجته الى قائد يقوده هو، وليس الى قائد يقود دابّته- كما قد يُحتمل- وذلك لقرب المسافة، بدليل أنه سمع الصراخ بإذنيه وشخّص أنّ الصراخ كان ينبعث من بيت أم سلمة (رض).

مما مضى نكاد نطمئن الى أنّ ابن عباس (رض) كان يعانى من ضعف شديد

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۶

فى بصره أو كان مكفوفاً بصره أواخر سنة ستين للهجرة- وبالذات فى الايام التى كان فيها الامام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة- الأمر الذى أعجزه عن القدرة على الإلتحاق بالامام عليه السلام والجهاد بين يديه، فكان (رض) معذوراً، ولعلّ هذا هو السرُّ فى عدم دعوة الإمام عليه السلام إيّاه للإنضمام إليه، وترخيصه إيّاه فى العودة الى المدينة ليرصد له أخبار السلطة الأموية والناس فيها حيث يقول عليه السلام: «يا ابن عباس، إنك ابن عمّ والدى، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنتَ مع والدى تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستنصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامضِ الى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يخفَ علىَّ شىءٌ من أخبارك ...». «۱»

ولايقدح بما نطمئنّ إليه ما أورده المسعودى فى مروج الذهب حيث يقول فى ابن عباس (رض): «وكان قد ذهب بصره لبكائه على علىٍّ والحسن والحسين ..»، «۲» إذ لايُستفاد من هذا النصّ بالضرورة أنه صار مكفوفاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، بل الظاهر من هذا النصّ أنّ الذى سبّب ذهاب بصره هو كثرة بكائه المتواصل لفقد امير المؤمنين علىّ «۳» والحسن والحسين عليهما السلام، ومؤدّى ذلك أنّ الضعف قد دبّ الى بصره لكثرة بكائه منذ أيّام فقده لأمير المؤمنين عليه السلام ثمّ لفقده الحسن عليه السلام، «۴» ثمّ الحسين عليه السلام، ولايخفى أنّ ابن عباس (رض) كان يبكى بكاءً

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۷

شديداً للحسين عليه السلام وهو بعدُ لم يخرج ولم يُستشهد، لعلمه بما سيصيب الامام عليه السلام من شديد المحنة ولعلمه بمصيره، والدلائل التأريخية على ذلك كثيرة متوافرة.

رسائل ابن عباس (رض) إلى يزيد ..... ص : ۲۴۷

تروى لنا بعض كتب التأريخ أنّ الامام الحسين عليه السلام لمّا نزل مكّة كتب يزيد بن معاوية الى ابن عباس رسالة «۱» طلب اليه فيها أن يتوسّط فى الأمر ليثنى الامام الحسين عليه السلام عن عزمه على القيام والخروج على الحكم الأموىّ، وعرض فيها يزيد من الإغراءات الدنيوية ما يتناسب وضعف نفسيته هو!- أى يزيد-

وتقول هذه المصادر التأريخية: «فكتب إليه ابن عباس: أمّا بعدُ: فقد ورد كتابُك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكّة، فأمّا ابن الزبير فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرّها فى صدره، يورى علينا ورى الزناد، لافكّ اللّه أسيرها، فآرأ فى أمره ما أنت رائه.

وأمّا الحسين فإنه لمّا نزل مكّة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سألته عن مقدمه فأخبرنى أنّ عُمّالك فى المدينة أساؤا إليه وعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل الى حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويُطفىء به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الأمّة، فاتّقِ الله فى السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولاترصده بمظلمة، ولاتحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمّل أملًا لم يُؤتَ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۸

أمله، وخُذ بحظّك من تلاوة القرآن ونشر السُنّة! وعليك بالصيام والقيام لاتشغلك عنهما ملاهى الدنيا وأباطيلها فإنّ كلَّ ما شُغلت به عن اللّه يضرّ ويفنى، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى، والسلام.». «۱»

وقد روى المزّى جواب ابن عباس مختصراً هكذا: «فكتب إليه عبدالله بن عباس: إنّى لأرجو أن لايكون خروج الحسين لأمرٍ تكرهه، ولست أدع النصيحة له فى كلّ ما يجمع الله به الألفة ويُطفىء به الثائرة.». «۲»

ويبدو من نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- على فرض صحة الرواية أنّ هذه الرسالة كانت بعد لقاء ابن عباس مع الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة لقاءه الأوّل الذى عاد بعده الى المدينة (بعد الفراغ من العمرة)، كما يُستفاد من نصّها أنّ ابن عباس قَبِل القيام بدور الوساطة بين الإمام عليه السلام وبين يزيد! كما يظهر من نصّها أيضاً أنّ ابن عباس اعتمد أسلوب الملاينة دون التقريع حتى فى نهيه عن ارتكاب الظلم واجتراح المآثم!

والعارف بعبد الله بن العباس (رض)، وبولائه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام وبجرأته فى الذَوْدِ عنهم، وبشدّته وقاطعيته فى المحاماة عنهم فى محاوراته مع رجال بنى أميّة، لايستبعد أن يكون نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- من إنشاء الواقدى نفسه الذى يرويها «۳» (ونقلها عنه سبط ابن الجوزى فى كتابه تذكرة الخواص)،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۴۹

ذلك لأنّ نَفَس هذا الجواب مغايرٌ تماماً لنَفَس ابن عباس فى مواقفه قبال بنى أميّة.

هاهو ابن عباس (رض) فى بلاط معاويـة يُخرس محاوريه: معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وعتبة بن أبى سـفيان، وزياد بن سـميّة، وعبـدالرحمن بن أمّ الحكم، والمغيرة بن شـعبة، بعـد أن دحض إدّعاءاتهم وبهرهم بالحجّة الدامغة، ويقول ليزيد بن معاوية نفسه فى قصـر أبيه: «مهلًا يزيـد، فواللّه ما صـفت القلوب لكم منـذ تكـدّرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبّة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم، لارضـيت اليوم منكم مـا سـخطت بالأمسِ من أفعـالكم، وإن تَـدُلِ الأيّام نسـتقض ما سُـدَّ عنّا، ونسترجع ما ابتُزَّ منّا، كيلًا بكيل، ووزناً بوزن، وإن تكن الأخرى فكفى بالله وليّاً لنا، ووكيلًا على المعتدين علينا.». «۱»

وهـا هو ابن عبـاس (رض) يجيب يزيـد «۲» بقارعـة أخرى من قوارعه فى رسالـة كتبهـا إليه قائلًا: «من عبـدالله بن عبـاس الى يزيـد بن معاوية. أمّا بعدُ: فقد بلغنى كتابُك بذكر دعاء ابن الزبير إيّاى الى نفسه وامتناعى عليه فى الذى دعانى إليه من

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۰

بيعته، فـإنْ يـك ذلـك كمـا بلغـك فلستُ حمَـدك أردتُ ولاـوُدَّكَ، ولكنّ الله بالـذى أنوى عليم، وزعمتَ أنّـك لستَ بنـاسٍ ودّى فلعمرى ما تؤتينا ممّا فى يـديك من حقّنا إلّا القليل، وإنك لتحبس عنّا منه العريض الطويل، وسألتنى أن أحثّ الناسَ عليك وأخذّلهم عن ابن الزبير، فلا ولا سروراً ولاحبوراً، وأنت قتلت الحسين بن عليّ!، بفيك الكثكث، «۱» ولك الأثلب، «۲» إنّك إنْ تُمنّك نفسك ذلك لعازب الرأى، وإنّك لأنت المفند المهوّر.

لاتحسـبنى، لا أباً لك، نسـيتُ قتلك حسـيناً وفتيان بنى عبـدالمطّلب، مصابيح الدجى، ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصـرّعين فى صعيد، مرمّلين بالتراب، مسـلوبين بالعراء، لامكفّنين، تسـفى عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتُنشـى بهم عُرج الضـباع، حتّى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا فى دمائهم، فأجنّوهم فى أكفانهم، وبى والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذى جلست يايزيد.

وما أنسَ من الأشـياء فلستُ بناسٍ تسليطك عليهم الدعىَّ العاهر «۳» ابن العاهر، البعيـد رحماً، اللئيم أباً وأمّاً، الذى فى إدّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلّا العار والخزى والمذلّة فى الأخرة والأولى، وفى الممات والمحيا، إنّ نبىّ الله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. فألحقه بأبيه كما يُلحَقُ بالعفيف النقىّ ولدُه الرشيد! وقد أمات أبوك السُنّة جهلًا! وأحيا البدع والأحداث المظلّة عمداً!

وما أنسَ من الاشياء فلستُ بناسٍ اطّرادك الحسين بن علىّ من حرم رسول

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۱

الله إلى حرم الله، ودسّـك إليه الرجال تغتاله، فأشخصـته من حرم الله الى الكوفـة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقـد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالًا، ولكن كره أن يكون هو الذى يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك مالم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرّضه للعائر وأراقل العالم.

وأنت! لأـنت المستحلّ فيمـا أظنّ، بـل لاشـك فيه أنّـك للمُحرف العريف، فإنّـك حلف نسوة، صـاحب ملاـهٍ، فلمّا رأى سوء رأيك شخص الى العراق، ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب الى ابن مرجانـة أن يسـتقبل حسـيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته، وترك مطاولته والإلحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بنى عبـدالمطّلب، أهـل البيت الـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيرا، فنحن أولئـك، لسـنا كآبائـك الأجلاـف الجُفاة الأكباد الحمير.

ثمّ طلب الحسـين بن علىّ إليه الموادعـة وسألهم الرجعة، «۱» فاغتنمتم قلّـة أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعـدوتم عليهم، فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر، فلا شىء عندى أعجب من طلبك ودّى ونصرى! وقد قتلت بنى أبى، وسيفك يقطر من دمى، وأنت أخذ ثأرى، فإن يشأ لايُطلّ لديك دمى ولا

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۲

تسبقنى بثأرى، وإن سبقتنى به فى الدنيا فقبلنا ما قُتل النبيّون وآل النبيين، وكان الله الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ماذكرت من وفائى، وما زعمت من حقّى، فإن يك ذلك كذلك، فقد والله بايعتُ أباك «۱»، وإنّى لأعلم أنّ ابنى عمّى وجميع بنى أبى أحقّ بهذا الأمر من أبيك، ولكنكم معاشر قريش كاثرتمونا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً على من يجترىء على ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولّى الأمر دوننا، فبُعداً لهم كما بعدت ثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، ومكذّبو المرسلين.

ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهرُ العجيبَ، حملك بنات عبدالمطّلب، وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبى المجلوب، تُرى الناس أنّك قهرتنا، وأنّك تأمر علينا، ولعمرى لئن كنت تصبح وتمسى آمناً لجرح يدى، إنّى لأرجو أن يعظم جراحك بلسانى ونقضى وإبرامى فلا يستقرّ بك الجدل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله إلّا قليلًا، حتّى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً، فَعِش لا أباً لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت، والسلام على من أطاع الله.». «۲»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۳

تحرّک محمد بن الحنفية (رض) ..... ص : ۲۵۳

اشارة

يشترك محمد بن الحنفية «۱» مع عبدالله بن عبّاس رضى الله عنهما فى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۴

الموقف من قيام الإمام الحسين عليه السلام بنفس المحورين الرئيسين اللذين هما:

۱- تأييد قيام الإمام عليه السلام.

۲- الإعتراض على خروج الإمام عليه السلام الى الكوفة، وترجيح اليمن كقاعدة لانطلاق الثورة الحسينية الى جميع البلاد الاسلامية.

كما يشتركان أيضاً فى أنّ نظرتهما التى انبعثت منها اقتراحاتهما ومشوراتهما كانت ترتكز على حسابات النصر الظاهرى وشرائطه ولوازمه، وتتجلّى هذه الحقيقة للمتأمّل إذا نظر فى محاورات الإمام عليه السلام مع كلّ منهما.

وكان محمّد بن الحنفية (رض) قد قدّم رأيه بين يدى الإمام عليه السلام فى المدينة المنوّرة قائلًا: «يا أخى، أنت أحبّ الناس إلىَّ، وأعزّهم علىَّ، ولستُ أدّخر النصيحة لأحدٍ من الخلق إلّا لك، وأنت أحقّ بها، تنحَّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن يُنقص الله بذلك دينك ولاعقلك، ولا تذهب بذلك مروّتك ولافضلك، إنّى أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة غرضاً، فإذا خير هذه الأمّة كلّها نفساً وأباً وأمّاً أضيعها دماً وأذلّها أهلًا!!». «۱»

وقال له أيضاً: «إنزل مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار بها فسبيل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد الى بلد، حتى تنظر الى مايصير أمر الناس اليه، فإنّك أصوب ماتكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالًا.». «۲»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۵

وفى رواية الفتوح: «أَخرجْ إلى مكّة، فإن اطمأنّت بك الدار فذاك الذى تحبّ وأَحبّ، وإن تكن الأخرى خرجت الى بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيك وأبيك، وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولًا، فإن اطمأنّت بك أرض اليمن وإلا- لحقت بالرمال وشعوف الجبال، وصرت من بلد الى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.». «۱»

ثم تحرّك محمد بن الحنفية (رض) من المدينة إلى مكّة للقاء الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق، «۲» ويحدّثنا التأريخ عن لقاء تمّ بينهما فى مكّة فى الليلة الأخيرة التى خرج الإمام عليه السلام فى صبيحتها عن مكّة، يقول السيّد ابن طاووس (ره): «رويتُ من كتاب أصلٍ لأحمد بن الحسين بن عمر بن بريدة الثقة، وعلى الأصل أنه كان لمحمّد بن داود القمّى، بالإسناد عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

سار محمّد بن الحنفية الى الحسين عليه السلام فى الليلة التى أراد الخروج فى صبيحتها عن مكّة، فقال: يا أخى، إنّ أهل الكوفة من قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزّ من فى الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام: يا أخى، قد خفت أن يغتالنى يزيد بن معاوية فى الحرم، فأكون

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۶

الذى يُستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فَسِرْ الى اليمن أو بعض نواحى البّر، فإنّك أمنع الناس به ولايقدر عليك أحد!

فقال عليه السلام: أنظرُ فيما قلتَ.

ولمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التى ركبها، فقال له: يا أخى، ألم تعدنى النظر فيما سألتك!؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلًا!؟

فقال عليه السلام: أتانى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد مافارقتك، فقال: ياحسين، أُخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا!

فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنا اليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال!؟

فقال عليه السلام له: قد قال لى: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!

وسلّم عليه ومضى.». «۱»

إشارة: ..... ص : ۲۵۶

كنّا فى آخر الفصل الأول تحت عنوان (لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه؟) قد تناولنا بعض ملامح الحكمة فى قول الامام عليه السلام عن لسان النبىّ صلى الله عليه و آله: «فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلا!» و «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!»،

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۷

ونودُّ أن نشير هنا إلى:

۱)- أنّ من أبعاد خشية الامام عليه السلام من اغتيال السلطة الأموية إيّاه فى مكّة المكرّمة- إضافة الى جميع الأبعاد التى مرَّ ذكرها فيما مضى فى ثنايا هذا الكتاب- هو أنّ هناك روايات مأثورة عن النبىّ صلى الله عليه و آله تندّد بالمقتول القرشىّ فى مكّة، الذى تُنتهك وتستباح به حرمة البيت الحرام، وأنّ ذنوب هذا الرجل لو وزنت بذنوب الثقلين لوزنتها، وأنّ عليه نصف عذاب العالم، «۱» ومعلوم أنّ

السلطة الأموية سوف تطبّق هذه الروايات على الإمام الحسين عليه السلام لتستفيد منها إعلامياً فى تنفير الناس من الامام عليه السلام فيما لو تمكّنت من قتله فى مكّة المكرّمة.

۲)- لم يحدّد الإمام عليه السلام فى قوله: «أتانى رسول الله صلى الله عليه و آله بعد مافارقتك» نوع هذا المجىء، هل كان فى يقظة أو فى منام، وإنْ كانت النتيجة واحدة، لأنّ رؤية الامام عليه السلام النبىّ صلى الله عليه و آله فى المنام كرؤيته فى اليقظة، ومستوى التكليف الذى يوجّهه واحد سواء فى يقظة أو فى منام، ولاينحصر هذا فى رؤية الإمام عليه السلام النبىّ صلى الله عليه و آله بل يشمل رؤية المؤمن النبى صلى الله عليه و آله أيضاً، إذ قد أُثر عنه صلى الله عليه و آله أنه قال: «من رآنى فى منامه فقد رآنى، فإنّ الشيطان لايتمثّل فى صورتى، ولافى صورة أحد من أوصيائى، ولافى صورة أحدٍ من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة». «۲»

فلا يبقى مجال إذن للتشكيك بأنّ الثورة الحسينية وخروج الامام عليه السلام كانا قد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۸

ارتكزا على رؤيا منام لا اعتبار لها! كما تسطّر ذلك بعض الأقلام المأجورة والعقول الضعيفة. «۱»

لماذا تخلّف محمّد بن الحنفية عن الإمام عليه السلام؟ ..... ص : ۲۵۸

اشارة

لم نعثر- حسب تتبعنا- على مأثور عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بصدد علّة تخلّف محمد بن الحنفية (رض) عن الإلتحاق بالإمام الحسين عليه السلام سوى هذه الرواية: التى يرويها ابن فروخ صاحب «بصائر الدرجات» بسندٍ عن حمزة بن حمران عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول حمزة: «ذكرنا خروج الحسين وتخلّف ابن الحنفية عنه، قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: يا حمزة إنّى سأحدّثك فى هذا الحديث ولاتسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إنّ الحسين لمّا فصل متوجّهاً دعا بقرطاس وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علىّ الى بنى هاشم: أمّا بعدُ، فإنّه من لحق بى منكم استشهد معى، ومن تخلّف لم يبلغ الفتح. والسلام.». «۲»

وقد علّق العلّامة المجلسى (ره) على هذه الرواية تعليقتين قائلًا:

فى الأولى: ..... ص : ۲۵۸

«قوله عليه السلام: لم يبلغ الفتح، أى لم يبلغ ما يتمنّاه من فتوح الدنيا والتمتع

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۵۹

بها، وظاهر الجواب ذمّه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيّرهم فى ذلك، فلا إثم على من تخلّف!» «۱».

وفى الثانية: ..... ص : ۲۵۹

«ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح، اى لايتيسّر له فتح وفلاح فى الدنيا أو فى الآخرة، أو الأعمّ، وهذا إمّا تعليل بأنّ ابن الحنفية إنّما لم

يلحق لأنه علم أنّهُ يُقتل إن ذهب بإخباره عليه السلام، أو بيان لحرمانه عن تلك السعادة، أو لأنّه لاعُذر له فى ذلك لأنه أعلمه وأمثاله بذلك!» «۲».

ونقول: إنّ نصّ هذه الرسالة الشريفة- بغضّ النظر عن حقيقة المراد بالفتح «۳» فيها- يقرّر بلا شك أنّ من لم يلتحق بالامام عليه السلام محروم من مبلغ الفتح هذا، سواء كان معذوراً أو غير معذور، فلا دليل من نفس النصّ على أنّ كلّ من تخلّف غيرُ معذور ويُذمّ، كما هو المستفاد من ظاهر تعليقتى العلّامة المجلسىّ (ره) «۴» من أنّ كلّ من بلغته هذه الرسالة ليس بمعذور لأنّ الإمام عليه السلام أعلمه فيها بالمصير! «۵» هذا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۰

فضلًا عن المناقشة الموجودة فى سند هذه الرواية. «۱»

ولعلّ الإمام الصادق عليه السلام أراد أن يصرف اهتمام المتذاكرين فى سبب تخلّف ابن الحنفية الى ما هو أهمّ من أن يكون المتخلّف معذوراً أو غير معذور، وهذا الأهمّ هو أصل الحرمان من بلوغ منزلة «أنصار الحسين عليه السلام» الذين لم يسبقهم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۱

سابق فى سموّ مرتبتهم ولايلحق بهم لاحق كما قرّر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام «۱»، إذ المعذور وغير المعذور من المتخلّفين سواء- من حيث النتيجة العملية لامن حيث الحساب والجزاء- فى حرمانهم من ذلك الشرف الذى لايُضاهى والمجد الذى لايُدانى، وحَقَّ لكلّ مؤمن (غير أنصار الحسين عليه السلام) أن تذهب نفسه حسرات أسفاً على حرمانه من ذلك الفوز العظيم كلّما ردّد: ياليتنى كنت معكم فأفوز واللّه فوزاً عظيماً!!.

مع هذا، فإنّ من علمائنا من روى ونقل أنّ سيّدنا محمد بن الحنفية (رض) كان مريضاً أيّام خروج الإمام الحسين عليه السلام، إلى درجة أنه كان لايقوى على حمل السيف! وفى طليعة هؤلاء الأعلام السيّد ابن طاووس (قدّس)، فقد أورد فى كتابه:

عن أبى مخنف قوله: «وقد كان محمد بن الحنفية موكوعاً «۲»، لأنّه أُهدى الى أخيه الحسين عليه السلام درع من نسج داود على نبيّنا وعليه السلام، فلبسه ففضل عنه ذراع وأربعة أصابع، فجمع محمّد بن الحنفية ما فضل منه وفركه بيده فقطعه، فأصابته نظرة، فصارت أنامله تجرى دماً مدّة، ولهذا لم يخرج مع الحسين عليه السلام يوم كربلاء، لأنّه ما كان يقدر أن يقبض قائم سيف ولاكعب رمح.». «۳»

ومن هؤلاء الأعلام أيضاً العلّامة الحلى (ره)، ففى إجابته عن سؤال:

«مايقول سيّدنا فى محمّد بن الحنفية، هل كان يقول بإمامة أخويه وزين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۲

العابدين عليهما السلام أم لا؟ وهل ذكر أصحابنا له عذراً فى تخلّفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته له أم لا؟ وكيف يكون الحال إن كان تخلّفه عنه لغير عذر؟ وكذلك عبدالله بن جعفر وأمثاله؟» قال العلامة الحلى (ره): «قد ثبت فى أصول الإمامة أنّ أركان الإيمان: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة، والسيّد محمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجلّ قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق وخروجهم عن الإيمان الذى يحصل به اكتساب الثواب الدائم والخلاص من العقاب. وأمّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نُقل أنه كان مريضاً، ويحتمل فى غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغَدَرَةِ إليه وتوهّموا نصرتهم له!». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۳

كما أورد الدربندى فى (اسرار الشهادة) نقلًا عن أبى مخنف محاورة فى المدينة بين الامام عليه السلام وبين أخيه محمّد، كان منها قول محمّد: «إنّى والله ليحزننى فراقك، وما أقعدنى عن المسير معك إلّا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فوالله يا أخى ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولاكعب رمح، فوالله لا فرحت بعدك أبداً. ثم بكى شديداً حتى غُشى عليه، فلمّا أفاق من غشيته قال: يا أخى

استودعك الله من شهيد مظلوم!». «۱»

كما تعرّض الشيخ حبيب الله الكاشانى لهذا وذكر أنّ أبن الحنفية كان مصاباً بألم، فلم يقدر على حمل السيف والجهاد، «۲» بل ذكر أنّ المشهور هو أنّ ابن الحنفية كان مريضاً فى المدينة. «۳»

وجدير بالذكر: أنّ محمّد بن يزيد المبّرد فى كتابه (الكامل) روى قصة محمد بن الحنفية مع الدرع قائلًا: «وكان عبدالله بن الزبير يُظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله! وكان يحسدُه على أيْدِهِ (أى قوّته)، ويُقال: إنّ عليّاً استطال درعاً فقال:

لينقص منها كذا وكذا حلْقة، فقبض محمّد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثمّ جذبه فقطعه من الموضع الذى حدَّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا حُدِّث بهذا الحديث غضب واعتراه له أَفْكَلٌ (أى رعدة)!» «۴»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۴

زيادة .. ربّما كانت أموية! ..... ص : ۲۶۴

ادّعى ابن عساكر فى تأريخه، ومن بعده المزّى، والذهبى، أنّ ابن الحنفية لمّا يأس فى مكّة من تغيير عزم الامام الحسين عليه السلام ومنعه من الخروج الى العراق منع ولده من الإلتحاق بالامام عليه السلام، حيث قالوا: «وبعث الحسين الى المدينة، فقدم عليه من خفّ معه من بنى عبدالمطّلب، وهم تسعة عشر رجلًا، ونساء، وصبيان، من إخوانه وبناته ونسائهم. وتبعهم محمّد بن الحنفية فأدرك حسيناً بمكّة، وأعلمه أنّ الخروج ليس له برأى يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل [رأيه]، فحبس محمّد بن على وُلْده [عنه] فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد حسين فى نفسه على محمّد وقال [له]: أترغب بولدك عن موضع أُصاب فيه!؟

فقال محمّد: وماحاجتى أن تُصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم!». «۱»

أقول: لم نعثر على هذا- أى حبس محمّد أولاده عن الإلتحاق بالامام عليه السلام- فى كتبنا، بل فى تواريخ غيرنا أيضاً سوى ما أورده ابن عساكر ثمّ المزىّ «۲» ثمّ الذهبى، «۳» وقد أورد الذهبى هذه الرواية مرسلة، وكذلك أوردها المزّى، ولعلهما أخذاها عن ابن عساكر الذى أوردها بسند، فيه أكثر من مجهول، وفيه من اتهمه ابن عساكر نفسه برقّة دينه كالبزاز! «۴»، وفيه من هو ليس بالقوى فى حديثه كابن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۵

فهم. «۱»

فضلًا عن هذا، فإنّ مثل هذا الأمر لوكان قد حصل فعلًا، لكان سُبّةً وسَوْءةً يُعيَّر بها ابن الحنفية وأبناؤه، ولكان لهذا الحدث آثار ممتدّة يُعرف من خلالها، كأن يُعاتب ابن الحنفية أو أبناؤه من قبل واحد من أهل البيت عليهم السلام أو أكثر مثلًا، أو من قبل أحد الهاشميين، أو من قبل بعض الناس، فيردّ محمّد- أو أبناؤه- مدافعاً عن موقفه فى منع أولاده من الالتحاق بالامام عليه السلام، ولاشك أن جميع هذه الآثار أو بعضها سوف تنطبع على صفحة التأريخ فنقرأها فى المطبوع منه أو فى المخطوط.

لكننا لانجد شيئاً من هذا على صفحة التأريخ، ولا فى المأثور عن أهل البيت عليهم السلام بصدد نهضة الامام الحسين عليه السلام، أو بصدد محمد بن الحنفية نفسه، بل ولانجد له أثراً فى المأثور عن ابن الحنفية نفسه وعن أبنائه.

من هنا، نرى أنّ ماروواه ابن عساكر بهذا الصدد، زيادة مكذوبة، ولايبعد أن يكون أحد الرواة فى سندها ذا ميل أموىّ «۲»، فأراد أن يشوّه وحدة الصفّ الهاشمى فى الموقف من نهضة الامام الحسين عليه السلام، ويُسىء بالخصوص الى محمد بن الحنفية (رض) الذى كان معتقداً بإمامة الحسنين عليهما السلام، وبإمامة زين العابدين عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۶

أئمّة له فى حياته بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

تحرّک عبدالله بن جعفر (رض) ..... ص : ۲۶۶

اشارة

لم يحدّثنا التأريخ عن شىء من تحرّک عبدالله بن جعفر (رض) «۱» طيلة أيّام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۷

النهضة الحسينية إلّا فى ثلاث قضايا:

الأولى:- ..... ص : ۲۶۷

كتابته الرسالة التى بعث بها من المدينة الى الامام عليه السلام فى مكّة بعد انتشار الخبر فى أهل المدينة بأنّ الامام الحسين عليه السلام يريد الخروج الى العراق (على ما فى رواية الفتوح)، أو بعثها إليه من مكّة بعد خروجه عليه السلام منها (على ما فى رواية الطبرى).

والثانية:- ..... ص : ۲۶۷

وساطته بين والى مكّة والمدينة يومئذٍ عمرو بن سعيد الأشدق وبين الامام عليه السلام بُعَيْدَ خروجه من مكّة.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۸

والثالثة:- ..... ص : ۲۶۸

إرساله ولديه محمّداً وعوناً لنصرة الامام عليه السلام.

أمّا فى قضية الرسالة فتقول رواية الفتوح:

«.. واتصل الخبر بالمدينة، وبلغهم أنّ الحسين عزم على الخروج الى العراق، فكتب إليه عبدالله بن جعفر الطيّار:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن على من عبدالله بن جعفر: أمّا بعدُ، فإنّى أُنشدک الله أن تخرج عن مكّة، فإنّى خائف عليک من هذا الأمر الذى قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاکک وأهل بيتک، فإنّک إنْ قُتلتَ أخاف أن يُطفأ نور الأرض وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير الى العراق، فإنّى آخذٌ لک الأمان من يزيد وجميع بنى أميّة، على نفسک ومالک وولدک وأهل بيتک، والسلام.». «۱»

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

«أمّا بعدُ، فإنّ كتابک ورد علىَّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمک أنّى قد رأيت جدّى رسول الله صلى الله عليه و آله فى منامى، فخبّرنى بأمرٍ وأنا ماضٍ له، لى كان أو علىَّ، والله يا ابن عمىّ، لو كنت فى جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجونى ويقتلونى! واللّه يا ابن عمّى ليعدينّ علىَّ كما عدت اليهود على السبت. والسلام.». «۲»

أمّا الطبرى فقد روى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) كان قد بعث برسالته هذه الى الامام عليه السلام من مكّة بعد خروجه عليه السلام منها، وقد رواها عن على بن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۶۹

الحسين عليه السلام قال: «لمّا خرجنا من مكّة كتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إلى الحسين بن علىّ مع ابنيه عون ومحمد: أمّا بعدُ، فإنى أسألك باللّه لما انصرفت حين تنظر فى كتابى، فإنّى مشفق عليك من الوجه الذى توجّه له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إنّ هلكت اليوم طُفيء نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنّى فى أثر الكتاب، والسلام.». «۱»

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۶۹

۱)- يستفاد من نصّ رواية الفتوح أنّ هذه الرسالة كتبها عبدالله بن جعفر (رض) من المدينة إلى الإمام عليه السلام بعد أن شاع فى المدينة نفسها خبر عزم الامام عليه السلام على التوجّه الى العراق، أى فى أواخر الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية، بل المستفاد من رواية الطبرى أنّ هذه الرسالة كتبت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة، أى بعد انتهاء الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية.

وعلى كلا الإحتمالين قد يستشعر المتأمّل أنّ تحرّك عبدالله بن جعفر (رض) جاء متأخّراً كثيراً قياساً الى بداية حركة أحداث النهضة الحسينية، هذا على ضوء المتون التأريخية المتوفّرة، والله العالم.

أمّا ابن عساكر فقد أشار إلى هذه الرسالة فقط بقوله: «وكتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إليه كتاباً يحذّره من أهل الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم.»، «۲» كما لم يَروِ من جواب الامام عليه السلام إلّا: «إنّى رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه و آله

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۰

وأمرنى بأمرٍ أنا ماضٍ له، ولستُ بمخبرٍ بها أحداً حتى أُلاقى عملى.» «۱»

۲)- يظهر من نص رسالة ابن جعفر (رض) أنّه يشترك مع ابن عبّاس (رض) وابن الحنفيّة (رض) وغيرهم فى النظرة الى قيام الامام عليه السلام من زاوية النصر أو الإنكسار الظاهريين، هذه النظرة التى كانت منطلق مشوراتهم ونصائحهم، وخوفهم أن يُقتل الإمام عليه السلام فى الوجهة التى عزم عليها، ولذا فقد كان الامام عليه السلام يجيبهم بأنّ منطقه الذى يتحرّك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التى رأى فيها جدّه صلى الله عليه و آله، وأنه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالًا لأمر رسول الله صلى الله عليه و آله.

۳)- كما يظهر من نصّ رسالة عبدالله بن جعفر (رض) أنه كان يعتقد أو يأمل- من خلال الوساطة- أن تتحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام إذا انثنى عن القيام والخروج وإن لم يبايع!

ولذا فقد ردّ الامام عليه السلام على هذا الوهم بأنه ما لم يُبايع يُقتل لامحالة، ولأنه لايبايع يزيد أبداً فالنتيجة لا محالة هى: «لو كنت فى جحر هامّة من هوامّ الارض لاستخرجونى حتى يقتلونى! ..»، وفى هذا ردٌّ أيضاً على تصوّر عبدالله بن جعفر- على فرض صحة رواية الفتوح- بأنه يستطيع أخذ الأمان من الأمويين للإمام عليه السلام ولما له وأولاده وأهله!

ولا يخفى على العارف أننا هنا إنّما نناقش معانى مستوحاة من نصّ الرسالتين، وإلّا فإنّ الامام عليه السلام لم يكن لينثنى عن قيامه ونهضته حتّى لو أُعطى الأمان مع عدم المبايعة، ذلك لأنه لم يخرج لفقده الأمان بل لطلب الإصلاح فى أمّة جده صلى الله عليه و آله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيرة جدّه وأبيه صلوات الله عليهما وآلهما.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۱

أمّا قصة وساطته بين عمرو الأشدق وبين الامام عليه السلام ....

فالظاهر من رواية الطبرى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) لم يكتف بمراسلة الامام عليه السلام، بل ترك المدينة مسرعاً الى مكّة لتحقيق وعده بتحصيل الأمان الأموى للإمام عليه السلام!

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ عبدالله بن جعفر (رض) حينما توسّط فى الأمر كان الامام عليه السلام قد تحرك بالفعل خارجاً عن مكّة المكرّمة ..

تقول الرواية: «وقام عبدالله بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلّمه وقال: أكتب الى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيّه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له فى كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتنى به حتّى أختمه.

فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئنّ نفسه اليه ويعلم أنه الجدّ منك.

ففعل ... فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إنى رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه و آله وأُمرت فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له علىَّ كان أو لى!

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربى!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد الى الحسين بن علىّ:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علىّ:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۲

أمّا بعد، فإنّى أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك، بلغنى أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإنّى أُعيذك بالله من الشقاق، فإنّى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إلىَّ معهما، فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله علىَّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ومُراعٍ ووكيل، والسلام عليك.». «۱»

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۷۲

۱)- توحى هذه الرواية- كما أوحت ذلك من قبل أيضاً رسالة عبدالله بن جعفر الى الامام عليه السلام التى رواها صاحب الفتوح- بأنّ عبدالله بن جعفر كان يعتقد أنّ الامام عليه السلام إنّما خرج لفقده الأمان على حياته لا لأمرٍ آخر وراء ذلك، فهو هنا يقول للأشدق: أكتب للحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة ...

لعلّه يطمئن الى ذلك فيرجع!

كما توحى أيضاً بأنه كان يرى إمكان تحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الامام عليه السلام فى حال عدم مبايعته ليزيد! الأمر الذى لم يكن يراه محمّد بن الحنفية وعبدالله بن عباس رضى الله عنهما كما هو المستفاد من محاوراتهما مع الامام عليه السلام.

ونحن نستبعد جدّاً أن يكون عبدالله بن جعفر (رض) ذا اعتقاد كهذا! وهو ابن عمّ الإمام عليه السلام، القريب منه الحميم العلاقة به، والمعتقد بإمامته وعصمته، العارف بنظرته الى الأمور، البصير بمشربه.

ونعتقد أنّ قلّة الوثائق التأريخية المتعلّقة بأخبار وتفاصيل موقف ابن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۳

جعفر (رض) من قيام الامام عليه السلام ساعدت كثيراً على مظلوميته!

والنزر القليل جدّاً من الروايات التأريخيـة المتوفّرة فى هذا الصدد قد شوّه الصورة الناصعة لهذا الهاشـمى العظيم الذى وردت روايات فيه أنه أشبه رسول الله صلى الله عليه و آله خلقاً وخُلقاً. «۱»

۲)- وتـدّعى هـذه الروايـة أيضاً أنّ رسالـة الأشـدق الى الامام عليه السـلام كان قـد كتبها عبـدالله بن جعفر (رض)، وهذا من مظلوميته التأريخية أيضاً، ذلك لأنّ المتأمّل فى متن هذه الرسالة يرى فيها كثيراً من سوء الأدب فى مخاطبة الامام عليه السلام، كمثل:

«أسأل الله أن يصـرفك عمّا يوبقك، وأن يهـديك لما يُرشـدك .. وإنى أُعيـذك بالله من الشـقاق!»، وهـذا مسـتبعد صدروه من رجل مؤمن بإمامة الامام الحسين عليه السلام، ويراه: «نور الأرض» و «أمير المؤمنين» و «روح الهدى». «۲»

ومن الجـدير بالـذكر هنـا: أنّ ابن أعثم الكوفى فى كتـابه الفتوح «۳» قـد ذكر هـذه الرسالـة التى بعثها الأشدق الى الامام عليه السـلام، ولكنّه ذكر أن عمرو بن سعيد الأشدق هو الذى كتبها وليس عبدالله بن جعفر (رض)، كما ذكر أنّ حاملها الى الامام عليه السلام كان يحيى بن سعيد وحده، أى لم يكن عبدالله بن جعفر (رض) معه!

كما أنّ الشيخ المفيد (ره) روى نفس قصة هذه الرسالة- كما رواها الطبرى- لكنّه لم يذكر أنّ عبدالله بن جعفر (رض) هو الذى كتبها «۴»، بل قال: «فكتب إليه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۴

عمرو بن سعيد كتاباً ...»، «۱» فتأمّل!

وأمّا قصة التحاق ابنيه عون ومحمّد «۲» بالإمام عليه السلام ...

فإنّ ظاهر القرائن التأريخيـة يفيـد أنهما كانا مع أبيهما، ثمّ التحقا بالإمام عليه السـلام وانظمّا إلى الركب الحسينى بعد خروجه من مكّة بعلمٍ من أبيهمـا وبـإذنه، يقـول الشـيخ المفيـد (ره): «فلمّـا أيس منه عبـدالله بن جعفر (ره) أمر ابنيه عونـاً ومحمّـداً بلزومه والمسـير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد الى مكّة.». «۳»

وقد كان إبناه محمد وعون حاملى رسالة أبيهما الى الامام عليه السلام قبل ذلك على ما فى رواية الطبرى والمفيد، «۴» وإن كان سياق القصـة على ما فى رواية الفتوح أنه بعثهما برسالته من المدينة الى الامام عليه السـلام فى مكّة، «۵» وهذا ما ذهب اليه ابن الصـبّاغ أيضاً فى الفصول المهمة حيث قال: «ثمّ إنّه وردت على الحسين عليه السـلام كتب من أهل المدينة من عند عبدالله بن جعفر على يدى ابنيه عون ومحمّد، ومن سعيد بن العاص ومعه جماعة من أعيان المدينة ...». «۶»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۵

وإرسال عبدالله بن جعفر (رض) ولديه عوناً ومحمّداً ليجاهدا دون الامام عليه السـلام وليستشهدا بين يديه دليل تام على تأييده النهضة الحسينية، وهنا يلمح المتأمّل أنّ عبدالله بن جعفر يشترك مع ابن الحنفية وابن عباس فى أصل تأييد قيام الامام عليه السلام وفى أصل معارضة خروجه الى العراق ..

ومن الروايـات الكاشـفة عن تأييـده (رض) لقيـام الامام عليه السـلام، ما رواه الشـيخ المفيـد (ره) قائلًا: «ودخل بعض موالى عبـدالله بن جعفر بن أبى طالب عليهم السـلام فنعى إليه ابنيه، فاسترجع، قال أبو السلاسل (أبو اللسلاس) «۱» مولى عبدالله: هذا مالقينا من الحسين بن علىّ!

فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء، أللحسين عليه السـلام تقول هذا!؟ والله لو شـهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أُقتل معه! والله إنه لممّا يسخّى نفسى عنهما ويعزّى عن المصاب بهما أنهما أُصيبا مع أخى وابن عمّى مواسيين له، صابرين معه.

ثمّ أقبل على جلسائه فقال: الحمدُ للّه، عزَّ علىَّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدى فقد آساه ولداى.». «۲»

وجـدير بالذكر هنا أن نضـيف أنّ أبا الفرج الأصـبهانى روى أنّ لعبدالله بن جعفر (رض) ولداً آخر أسـمه عبيدالله، وأمّه الخوصاء بنت حفصـة بن ثقيف، قُتل أيضاً فى كربلاء بين يـدى الامام الحسـين عليه السـلام، وهو أخو محمد بن عبدالله بن جعفر (رض) لأمّه وأبيه.

«۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۶

لماذا لم يلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالامام عليه السلام ..... ص : ۲۷۶

لم نعثر- بحسب تتبعنا- على من تأمّل فى جلالـة عبـدالله بن جعفر (رض)، لا فى كتبنا ولا فى كتب السـنّة، فكأنّ جلالة قدر عبدالله بن جعفر (رض) أمرٌ متسالم ومتّفق عليه.

فالعلّامـة الحلّى (ره)- على سبيـل المثـال لاـ الحصـر- يقول فيه وفى محمّـد بن الحنفيـة رضوان الله عليهما: «والسـيّد محمّـد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجل قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحقّ وخروجهم عن الإيمان ...». «۱»

ويقول السيّد الخوئى (ره): «جلالة عبدالله بن جعفر الطيّار بن أبى طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء ..». «۲»

ويقول الذهبى: «عبدالله بن جعفر، السيّد العالم .. كان كبير الشأن، كريماً جواداً، يصلح للإمامة ..» «۳».

ولا شكّ أنّ المتتبّع العارف بسيرة عبدالله بن جعفر (رض)، وبأخباره، وبمواقفه الجريئة فى الدفاع عن الحق ودحض الباطل، وبانقطاعه الى عمّه أمير المؤمنين علىّ عليه السـلام والحسـنين عليهمـا السـلام من بعـده، وبمعرفته بـأئمته الـذين فرض الله طـاعتهم وولايتهم، «۴» وبعلاقته الحميمـة بالامام الحسين عليه السـلام وبقربه منه، يقطع مطمئنّاً بأنّ هذا السيّد الهاشـمىّ الإمامىّ الشـجاع البصـير المنقطع الى الامام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۷

الحسين عليه السـلام كان عارفاً بفرض امتثال أمر إمامه عليه السـلام، وبوجوب نصرته، فلابدّ أنّه كان معذوراً فى عدم التحاقه بالركب الحسينى، وكيف يتخلّف بلا عـذرٍ وقـد خرجت زوجته وابنـة عمّه المكرّمـة زينب الكبرى بنت علىّ عليهما السـلام، وخرج ولداه- أو أولاده- مع الامام عليه السلام فى رحلة الفتح بالشهادة!؟

إنّ من يواسى الامام عليه السلام بأعزّ ما عنده من أهل بيته لابدّ وأن يكون تخلّفه عن الإمام عليه السلام على كُرْهٍ منه بسبب عُذر قاهر!

يقول المامقانى (ره): «وقد واساه بولده عون ومحمّد وعبدالله، قُتلوا معه بالطفّ لما كان هو معذوراً فى الخروج معه.». «۱»

أمّـا مـا هو عـذره فى عـدم الإلتحاق بالامام عليه السـلام، فإننا لم نعثر- مع تتبع غير يسير على مصـدر يشـخّص نوع هـذا العـذر، إلّا ما وجدناه فى كتاب (زينب الكبرى) للمحقّق الشيخ جعفر النقدى، حيث يقول: «أمّا عدم خروجه مع الحسين عليه السلام الى كربلاء فقد قيل إنه مكفوف البصر!». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۸

عبدالله بن الزبير .. والنصائح المتناقضة! ..... ص : ۲۷۸

اشارة

لم يستثقل عبدالله بن الزبير «۱» وجود الإمام الحسين عليه السلام من قبلُ فى أىّ مكان

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۷۹

- بعد موقعة الجمل- كما أستثقله فى مكّة المكرّمة أيّام تواجد الإمام عليه السلام فيها بعد رفضه البيعة ليزيد، ذلك لأنّ ابن الزبير كان قـد نوى منـذ البـدء أن يتّخـذ مكّـة المكرّمة منطلقاً للتمرّد على السـلطة الأموية ومركزاً لإدارة أمور البلدان الأخرى فى حال نجاحه فى

مسعاه، ولذا فقد كان فى حاجة ماسّة إلى أن يخلو له وجه مكّة من أى منافس، وتصفو له من كلّ مزاحم، فما بالك بمزاحمٍ ومنافسٍ لايرى الناس ابن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۰

الزبير قباله شيئاً مذكوراً!؟ ولايعبأون بحضوره أو بغيابه إذا حضر ذلك الشخص المبجّل عندهم!؟.

فمع وجود الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة كانت الارض قد ضاقت على ابن الزبير بما رحبت، وضاقت عليه حرجاً أنفاسه كأنما يصّعدُ فى السماء، لكنه كان يُدارى حراجة تلك الأيّام باستظهار هدوءٍ مفتعل، وصبر مصطنع، ويتكتّم على حسده وغِلّه ونواياه بما هو فوق طاقته!

يقول التأريخ: «واشتدّ ذلك على ابن الزبير لأنه كان قد طمع أن يبايعه أهل مكّة، فلمّا قدم الحسين شقّ ذلك عليه، غير أنه لايُبدى ما فى قلبه الى الحسين، لكنّه يختلف إليه ويصلّى بصلاته، ويقعد عنده ويسمع حديثه، وهو يعلم أنه لايبايعه أحدٌ من أهل مكّة والحسين بن علىّ بها، لأنّ الحسين عندهم أعظم فى أنفسهم من ابن الزبير.». «۱»

«وأمّا ابن الزبير فإنه لزم مصلّاه عند الكعبة، وجعل يتردد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس، ولايمكنه أن يتحرّك بشىء مما فى نفسه مع وجود الحسين، لِما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إيّاه عليه ... بل الناس إنّما ميلهم الى الحسين لأنه السيّد الكبير، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحدٌ يساميه ولايساويه ...». «۲»

من هنا كان كلُّ همِّ عبدالله بن الزبير وأقصى أُمنيته أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة لتخلو له، وكان ابن الزبير يظنّ أنّ مايضمره خافٍ على

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۱

الإمام عليه السلام وعلى الآخرين من وجهاء الأمّة وأعلامها، غير أنّ أمره كان أظهر من أن يخفى على ذى فطنة كابن عباس مثلًا، فما بالك بالإمام عليه السلام!؟

يروى الطبرى أنّ ابن الزبير أتى الإمام الحسين عليه السلام- بعد خروج ابن عباس (رض) من عند الإمام عليه السلام!- فحدّثه ساعة، ثمّ قال: ما أدرى ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة الأمر دونهم!؟ خبّرنى ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين عليه السلام: واللّه لقد حدّثت نفسى بإتيان الكوفة، ولقد كتب إلىَّ شيعتى بها وأشراف أهلها، وأستخير الله.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت بها! ثمّ خشى أن يتّهمه فقال: أما إنّك لو أقمت بالحجاز ثمّ أردتَ هذا الأمر ها هنا ماخولف عليك إن شاء الله!

ثم قام فخرج من عنده.

فقال الحسين عليه السلام: «ها إنّ هذا ليس شىء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز الى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معى شىء، وأنّ الناس لم يعدلوه بى فودَّ أنّى خرجت منها لتخلو له.». «۱»

ويروى ابن عساكر عن معمر، عن رجل أنه سمع الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام يقول لابن الزبير: «أتتنى بيعة أربعين ألفاً يحلفون لى بالطلاق والعتاق

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۲

من أهل الكوفة- أوقال من أهل العراق-.

فقال له عبدالله بن الزبير: أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك!؟». «۱»

ويروى الطبرى أيضاً عن عبدالله بن سليم والمُذرى بن المشمعّل الأسديين أنهما رأيا- يوم التروية!- فيما بين الحجر وباب الكعبة كُلًّا من الإمام الحسين عليه السلام وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى، وسمعا ابن الزبير يقول للإمام عليه السلام:

«إنْ شئت أن تقيم أقمتَ فَوُلِّيتَ هذا الأمر، فآزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك!

فقال له الحسين عليه السلام: إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش!

فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتولّينى أنا الأمر، فتُطاع ولاتُعصى!

فقال عليه السلام: وما أريد هذا أيضاً!». «۲»

أمّا الدينورى فيروى قائلًا: «وبلغ عبدالله بن الزبير ما يهمُّ به الحسين، فأقبل حتى دخل عليه، فقال له: لو أقمت بهذا الحرم، وبثثت رسلك فى البلدان، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوى أمرك نفيتُ عمّال يزيد عن هذا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۳

البلد، وعلىَّ لك المكانفة والمؤازرة، وإن عملتَ بمشورتى طلبتَ هذا الأمر بالحرم، فإنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار، لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوتُ أن تناله!». «۱»

وفى روايةٍ أخرى عن أبى مخنف عن أبى سعيد عقيصا، «۲» عن بعض أصحابه قال سمعت الحسين بن علىّ وهو بمكّة وهو واقف مع عبدالله بن الزبير فقال له ابن الزبير: إلىَّ يا ابن فاطمة!

فأصغى إليه، فسارّه، ثمّ التفت إلينا الحسين عليه السلام

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۴

فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟

فقلنا: لاندرى، جعلنا فداك!

فقال: قال أَقِمْ فى هذا المسجد أجمع لك الناس!

ثمّ قال الحسين عليه السلام: والله لئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل داخلًا منها بشبر!، وأيمُ الله لو كنت فى جُحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم!، والله ليعتدُنَّ علىَّ كما اعتدت اليهود فى السبت!». «۱»

أمّا ابن قولويه (ره) فيروى (بسندٍ) عن سعيد عقيصا قال:

سمعت الحسين بن علىّ عليهما السلام وخلا به عبدالله بن الزبير فناجاه طويلًا، ثمَّ أقبل الحسين عليه السلام بوجهه إليهم وقال: إنّ هذا يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم، ولأن أقتل وبينى وبين الحرم باعٌ أحبّ إلىَّ من أن أقتل وبينى وبينه شبر، ولأن أُقتل بالطفّ أحبّ إلىَّ من أن أُقتل بالحرم». «۲»

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال عبدالله بن الزبير للحسين عليه السلام: ولو جئت إلى مكّة فكنتَ بالحرم! «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۵

فقال الحسين عليه السلام: لا نَستحلّها، ولاتُستحلُّ بنا، ولأن أُقتل على تل أعفر «۱» أحبّ إلىَّ من أن أُقتل بها». «۲»

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام أبى جعفر عليه السلام أنّ ابن الزبير شيّع الإمام الحسين عليه السلام: «فقال: يا أبا عبدالله، قد حضر الحجُّ وتدعه وتأتى العراق!؟

فقال: يا ابن الزبير، لأن أُدفن بشاطىء الفرات أحبّ إلىّ من أن أُدفن بفناء الكعبة!». «۳»

وروى السيّد ابن طاووس (ره) أنّ عبدالله بن العبّاس (رض) وعبدالله بن الزبير جاءا الى الإمام عليه السلام فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله قد أمرنى بأمرٍ وأنا ماضٍ فيه!». «۴»

ويبدو أنّ ابن الزبير- من جملة محاوراته مع الإمام عليه السلام ومن مجموع الإخبارات المتناقلة آنذاك عن مصرع الامام عليه السلام- كان يعلم أنّ الإمام عليه السلام سوف يُقتل فى سفره هذا الى العراق لا محالة، وأنّ ذلك آخر العهد به عليه السلام، فحرص فى

اللحظات الأخيرة على الإستفادة من علم الإمام عليه السلام، فسأله قائلًا: «يا ابن رسول الله، لعلّنا لانلتقى بعد اليوم، فأخبرنى متى يرث المولود ويورث؟ وعن جوائز السلطان هل تحلّ أم لا؟».

فأجابه عليه السلام: «أمّا المولود فإذا استهلّ صارخاً .. وأمّا جوائز السلطان فحلال مالم يغصب الأموال.». «۵»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۶

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۸۶

۱)- فى محاوراته مع الإمام عليه السلام كان ابن الزبير يناقض نفسه فى نصائحه ومشوراته، فمرّة يستظهر خلاف ما يستبطن فيشير على الإمام عليه السلام بالبقاء فى مكّة!، وأخرى يغفل عن تصنّعه فتظهر أمنيّة قلبه فى فلتات لسانه فيحثّ الامام عليه السلام على الخروج الى العراق!، وقد يعارض نفسه فى المحاورة الواحدة فيشير فى أوّلها بالخروج ثم يستدرك فيشير بالبقاء خوفاً من أن يُتّهم بما يُكنُّ فى نفسه! وقد ينسى نفسه وماحوله فيطلب من الإمام عليه السلام أن يوليّه الأمر!!

۲)- ويلاحظ على ابن الزبير أيضاً أنّ «حبّ الرئاسة» قد طغى على قلبه وهيمن على تفكيره إلى درجة أنساه عندها حتى الفرق الهائل بين قعر الوهدة وذروة القمة حين تعامى عن الفرق الكبير بينه وبين الإمام عليه السلام! فعدَّ نفسه- كما الإمام عليه السلام!- من ولاة الأمر وأصحاب الحقّ بالخلافة حيث يقول: «ونحن أبناء المهاجرين وولاة الأمر دونهم!»، بل يغلب حبّ الرئاسة على عقله الى درجة يفقد عندها توازنه فيعمى عن حقائق الأشياء وموازينها- فيما يمكن ومالا يمكن- فلا يرى مانعاً من أن يكون هو الخليفة حتّى مع وجود الإمام عليه السلام حيث يخاطبه قائلًا:

«فأَقم إن شئت وتولّينى أنا الأمر ..!!».

۳)- ويلاحظ المتأمّل فى جميع هذه المحاورات الأدب الجمّ والخلق السامى الذى تعامل به الإمام عليه السلام مع عبدالله بن الزبير، مع معرفته التامّة بما انطوى عليه ابن الزبير من بغض لأهل البيت عليهم السلام، فكان صلوات الله عليه يسارّه كما يسارّ الودود المخلص فى وداده، ويحاوره كما يحاور الناصح الصادق فى نصحه، ومع كلّ هذا الخلق العظيم فقد حرص الإمام عليه السلام فى محاوراته مع ابن الزبير على أمرين هما:

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۷

الأوّل: التأكيد على حرمة استحلال البيت وانتهاك حرمته «إنّ أبى حدّثنى أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش!» و «والله لئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل داخلًا منها بشبر!» و «لأَن أُقتل وبينى وبين الحرم باعٌ أحبُّ إلىَّ من أن أُقتل وبينى وبينه شبر!» و «لانستحلّها ولاتُستحلّ بنا، ولأن أُقتل على تل أعفر أحبّ إلىَّ من أن أُقتل بها!»، ولايخفى على المتأمّل أنّ الإمام عليه السلام أراد من خلال هذا التأكيد أيضاً نهى ابن الزبير ألّا يكون هو أيضاً ذلك الكبش القتيل إقامة للحجّة عليه، مع علمه عليه السلام بأنّ ابن الزبير هو ذلك المستحِلُّ لحرمة البيت الحرام!

الثانى: تأكيد الإمام عليه السلام على نفى أىّ ارتباط بينه وبين ابن الزبير، ويظهر حرص الإمام عليه السلام على ذلك كلّما أحسّ أنّ هناك من يراهما اثناء التحاور ويُنصت لهما، حيث يكشف الإمام عليه السلام لأولئك المراقبين عن ما يسرّه إليه ابن الزبير، كمثل قوله عليه السلام: «إنّ هذا يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم ...» وقوله عليه السلام كاشفاً عن أمنية ابن الزبير:

«ها إنّ هذا ليس شىء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أخرج الى العراق ...».

۴)- ويلاحظ أيضاً أنّ الإمام عليه السلام أكّد لابن الزبير ولسامعيه الآخرين أنه لامحالة مقتول حيث قال عليه السلام: «وأيمُ الله لو كنت فى جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم! والله ليعتدُنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت!»، كما أشار عليه

السلام تلميحاً إلى مكان مصرعه فى قوله: «ولأن أقتل بالطفّ أحبّ إلىّ من أن أقتل بالحرم!» و «يا ابن الزبير، لأن أدفن بشاطىء الفرات أحبّ إلىّ من أن أدفن بفناء الكعبة!»، ولعلّ الإمام عليه السلام أراد بذلك إلقاء الحجّة على ابن الزبير وعلى من كان يسمع تحاورهما بوجوب الخروج معه

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۸

لنصرته والجهاد بين يديه.

۵)- ممّا لايخفى- على من له أدنى اطّلاع على تأريخ النهضة الحسينية- أنّ مشورات ونصائح ابن الزبير المتعارضة- وإن استمع إليها الإمام عليه السلام بأدبه السامى العظيم- لم يكن لها أىّ تأثير على الإمام عليه السلام الذى كان عارفاً بحقيقة مايستبطنه ابن الزبير من عداوة وبغضاء لآل محمّد صلى الله عليه و آله، وبكذب مايستظهره من نصح ومودّة لهم، ولذلك فلم يكن لرأى ابن الزبير أىّ أثر على حركة أحداث النهضة الحسينية لا من قريب ولا من بعيد.

من هنا حقَّ للمتأمّل أن يعجب كثيراً من سخيف ما ذهب إليه ابن أبى الحديد من أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج الى العراق عملًا بنصيحة ابن الزبير له بذلك، فغشه!

يقول ابن أبى الحديد: «واستشار الحسين عليه السلام، عبدالله بن الزبير وهما بمكّة فى الخروج عنها، وقصد العراق ظانّاً أنه ينصحه، فغشّه، وقال له: لاتقم بمكّة، فليس بها من يبايعك، ولكن دونك العراق، فإنّهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً، فخرج الى العراق حتى كان من أمره ما كان!». «۱»

وأسخف من قول ابن أبى الحديد قول محمّد الغزالى فى الدفاع عن ابن الزبير واستبعاده أن يكون ابن الزبير قد أشار على الإمام عليه السلام بالخروج الى العراق ليستريح منه، قائلًا: «فعبد الله بن الزبير أتقى للّه وأعرق فى الإسلام من أن يقترف مثل هذه الدنيّة!». «۲»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۸۹

عبدالله بن عمر .. والمشورة المريبة! ..... ص : ۲۸۹

اشارة

تميّز عبدالله بن عمر «۱» عن جميع وجهاء الأمّة وأعلامها من الرجال الذين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۲

التقوا مع الامام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة وعرضوا عليه نصائحهم ومشوراتهم بموقفه الرافض لأصل القيام والنهضة! وبدعوته الإمام عليه السلام الى الدخول فى ما دخل فيه الناس! وإلى مبايعة يزيد! والصبر عليه كما صبر لمعاوية من قبل!

وكان هذا النهى عن القيام والخروج، والدعوة الى مبايعة يزيد، والدخول فى ما دخل فيه الناس، خطّاً ثابتاً لابن عمر فى لقاءاته الثلاثة «۱» مع الإمام الحسين عليه السلام منذ ابتداء قيامه المبارك.

ولم يسجّل لنا التأريخ فى الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية شيئاً عن موقف ابن عمر من قيام الإمام عليه السلام سوى آرائه ومشوراته التى أبداها فى المحاورة الثلاثية بينه وبين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس (رض).

وقد نقلنا هذه المحاورة فى حديثنا عن تحرّك ابن عبّاس (رض) مركّزين

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۳

على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام وبين ابن عباس (رض)، وننقلها هنا مركزّين على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام

وبين عبدالله بن عمر ..

تقول الرواية التأريخية: «وأقام الحسين عليه السلام بمكّة باقى شهر شعبان ورمضان وشوّال وذى القعدة، وبمكّة يومئذٍ عبدالله بن عبّاس وعبدالله بن عمر بن الخطّاب، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين عليه السلام وقد عزما على أن ينصرفا الى المدينة ...

فقال له ابن عمر: أبا عبدالله، رحمك الله إتّق الله الذى إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إيّاكم، وقد ولى الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية! ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشرٌ كثير، فإنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وهو يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله الى يوم القيامة»، وأنا أشير عليك أن تدخل فى صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعلّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين!

فقال له الحسين عليه السلام:

أبا عبدالرحمن! أنا أُبايع يزيد وأدخل فى صلحه وقد قال النبىّ صلى الله عليه و آله فيه وفى أبيه ما قال!؟

وهنا يتدخّل ابن عبّاس فى الحوار ليصدّق قول الامام عليه السلام، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: «مالى وليزيد! لابارك الله فى يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام، والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانى قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم»، ثم يبكى ابن عبّاس، ويبكى معه الإمام عليه السلام ويسأله أليس يعلم أنّه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فيشهد ابن عبّاس بذلك ويؤكّد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۴

أنّ نصرة الامام عليه السلام فرض على هذه الأمّة كالصلاة والزكاة!

ثمّ يسأله الامام عليه السلام عن رأيه فى الأمويين الذين أخرجوه عن حرم جدّه صلى الله عليه و آله وأرادوا سفك دمه بلا جُرم كان قد اجترحه، فيجيبه ابن عبّاس بأنّ هؤلاء قوم كفروا بالله ورسوله، وعلى مثلهم تنزل البطشة الكبرى، ثمّ يشهد ابن عبّاس أنّ من طمع فى محاربة الامام عليه السلام والرسول صلى الله عليه و آله فماله من خلاق! وهنا يقول الامام عليه السلام «ألّلهمّ اشهد!»، فيُدرك ابن عباس (رض) أنّ الامام عليه السلام قصده وابن عمر بطلب النصرة! فيبادر ابن عباس ويظهر استعداده لنصرة الامام عليه السلام والجهاد بين يديه، ويقول انه لا يوفّى بذلك عشر العشر من حقّه عليه السلام!

وهنا يُحرج ابن عمر لأنّه مقصود أيضاً بالخطاب! فيتدخل ليحرف مسير الحوار عن الإتجاه الذى أراده الامام عليه السلام فيقول لابن عباس: مهلًا، ذرنا من هذا يا ابن عبّاس!

ثمّ أقبل ابن عمر على الحسين عليه السلام فقال: أبا عبدالله، مهلًا عمّا قد عزمت عليه، وارجع من هنا الى المدينة، وادخل فى صلح القوم! ولاتغب عن وطنك وحرم جدّك رسول الله صلى الله عليه و آله، ولا تجعل لهؤلاء الذين لاخلاق لهم على نفسك حجّة وسبيلا، وإن أحببت أن لاتبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك، فإنّ يزيد بن معاوية عسى أن لايعيش إلّا قليلًا فيكفيك اللّه أمره!

فقال الحسين عليه السلام:

أُفٍّ لهذا الكلام أبداً مادامت السموات والأرض!، أسألك بالله يا عبدالله! أنا عندك على خطأ من أمرى هذا؟ فإن كنتُ عندك على خطأ فردّنى فإنى أخضع وأسمع وأطيع!

فقال ابن عمر: ألّلهمّ لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۵

وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول صلى الله عليه و آله على مثل يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمّة ما لا تحب، فارجع معنا الى المدينة، وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً

واقعد فى منزل!

فقال الحسين عليه السلام:

هيهات يا ابن عمر! إنّ القوم لايتركونى، إن أصابونى وإن لم يُصيبونى، فلا يزالون حتى أُبايع وأنا كاره، أو يقتلونى! أما تعلم يا عبدالله أنّ من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أُتى برأس يحيى بن زكريا عليه السلام الى بغيّة من بغايا بنى إسرائيل والرأس ينطق بالحجّة عليهم؟ أما تعلم أبا عبدالرحمن أنّ بنى إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبيّاً ثمّ يجلسون فى أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنّهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، ثمّ أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر! إتّقِ الله أبا عبدالرحمن ولا تدعنّ نصرتى! واذكرنى فى صلاتك! يا ابن عمر، فإن كان الخروج معى ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت فى أوسع العذر، ولكن لا تتركنّ لى الدُعاء فى دبر كلّ صلاة، واجلس عن القوم، ولاتعجل بالبيعة لهم حتى تعلم الى ماتؤول الأمور!

ثمّ أقبل الامام عليه السلام على ابن عبّاس (رض) فأثنى عليه، ورخّصه بالمضىّ الى المدينة وأوصاه بمواصلته بأخباره، وأظهر عليه السلام أنه مستوطن الحرم ما رأى أهله يحبّونه وينصرونه، وأنه يستعصم بالكلمة التى قالها إبراهيم عليه السلام يوم أُلقى فى النار (حسبى الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۶

فبكى ابن عبّاس (رض) وابن عمر بكاءً شديداً، وشاركهما الامام عليه السلام بكاءهما ساعة ثمّ ودّعهما وصارا الى المدينة. «۱»

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۲۹۶

۱)- سبق ان قلنا «۲» أنّ ابن أعثم الكوفى كان قد تفرّد برواية نصّ هذه المحاورة المفصّلة فى كتابه الفتوح، ونقلها عنه الخوارزمى فى كتابه مقتل الحسين عليه السلام، والملفت للإنتباه أنّ هذا النص قد احتوى على عبارات متعارضة، وأخرى لاتنسجم مع نظرة أهل البيت عليهم السلام الى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله سواء فى حياته صلى الله عليه و آله أو بعد رحلته، ومثال على المتعارضات قوله عليه السلام لابن عمر «إتّق اللّه أبا عبدالرحمن ولاتدعنّ نصرتى» وقوله بعد ذلك «فإن كان الخروج معى ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت فى أوسع العُذر!». ومثال على الاخرى قوله: «فوالذى بعث جدّى محمداً صلى الله عليه و آله بشيراً ونذيراً لو أنّ أباك!»، وقوله «واذكرنى فى صلاتك!» وقوله «ولكن لا تتركنّ لى الدعاء فى دبر كُلّ صلاة!».

والظنّ قويٌّ أنّ العبارة التى ترخّص لابن عمر فى عدم نصرة الامام عليه السلام وتجعله فى أوسع العذر! والعبارة التى تثنى على بعض الصحابة بمالم يفعله (والوثائق التأريخية تؤكد خلاف ذلك!)، والعبارة التى تدّعى عناية الامام عليه السلام بصلاة ابن عمر أو بدعائه- على فرض صحة رواية هذه المحاورة أصلًا- قد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۷

أُدخلت على أصل النصّ وأُقحمت عليه إقحاماً من قبل بعض الرواة أو النسّاخ من أجل تحسين صورة البعض على لسان الامام عليه السلام!!

۲)- اعترف ابن عمر بأنّ نصرة الامام الحسين عليه السلام والإنضمام إليه واجب شرعىّ حين قال إنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «حسينٌ مقتول! ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله يوم القيامة!».

ويتأكد لابن عمر هذا الواجب الشرعىّ المقدّس حين يسمع من ابن عباس أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«مالى وليزيد!؟ لابارك الله فى يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام! والذى نفسى بيده لايُقتل ولدى بين ظهرانىّ قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!».

ويُلقى الامام عليه السلام الحجّة صريحة بالغة تامة على ابن عمر حيث يقول له:

«إتّقِ الله أبا عبدالرحمن ولا تدعنّ نصرتى!».

ومع كلّ هذا نرى عبدالله بن عمر يقعد ويتخلّف عن نصرة الامام الحسين عليه السلام عامداً بلا عُذر! ولايكتفى بذلك بل يلحُّ بإصرار على الامام عليه السلام ليترك القيام، ويرجع الى المدينة، ويدخل فى صلح القوم!، ويصبر على يزيد!

۳)- ونلاحظ ابن عمر أيضاً يحاول- وكأنّه ناطق رسمىّ أموىّ!- أن يوهم الامام عليه السلام بأنّ المتاركة بينه وبين يزيد أمرٌ ممكن، وأنّه لابأس على الامام عليه السلام إنْ ترك القيام حتى وإن لم يبايع! فيقول له: «وإن أحببت أن لا تبايع فأنت متروك حتّى ترى برأيك!»، ويقول: «وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد فى منزل!».

تُرى هل كان ابن عمر مؤمناً حقّاً بإمكان هذه المتاركة!؟

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۸

كيف يكون مؤمناً بها وقد روى هو نفسه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«حسين مقتول! ...» ويسمع ابن عباس أيضاً يروى عنه صلى الله عليه و آله بأنّ يزيد قاتل الحسين عليه السلام!؟

وإذا لم يكن مؤمناً بإمكان هذه المتاركة! فلماذا كان يصرّ على دعوى إمكانها وكأنّه ينطق عن لسان الحكم الأموىّ!؟

هل كان ابن عمر يريد- بلسان المشورة والنصيحة- أن يوقع الامام عليه السلام فى شِباك صيد يزيد بعد نزع فتيل الثورة قبل اندلاعها!؟

وهل يستبعد المتأمّل ان يصدر هذا من ابن عمر!؟

لعلّ التأمّل فى أبعاد الملاحظة التالية يكشف لنا عن الجواب!

۴)- أكّد ابن عمر فى هذه المحاورة اعترافه بعداوة الأمويين لأهل البيت عليهم السلام وبظلمهم إيّاهم! وبأنّ الأمويين وعلى رأسهم يزيد هم «القوم الظالمون»! وأنهم «لاخلاق لهم» عند الله! وأكّد على خوفه من أن يميل الناس إليهم طمعاً فى ما عندهم من الذهب والفضة «الصفراء والبيضاء»!

لكننا نجد أنّ ابن عمر هذا كان ممن تسلّم هذه الصفراء والبيضاء من معاوية رشوة أيّام تمهيده ليزيد بولاية العهد من بعده! حيث أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم فقبلها! «۱»

ونجد ابن عمر قد بادر الى بيعة يزيد! مع أنّ الإمام عليه السلام كان قد طلب إليه فى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۲۹۹

هذه المحاورة- على الأقلّ!- ألّا يعجل بالبيعة ليزيد حتّى يعلم ما تؤول إليه الأمور! هذا مع اعتراف ابن عمر بأنّ يزيد رجل ظالم ولاخلاق له عند الله! ثمّ نجد ابن عمر وقد انتفضت الأمّة فى المدينة على يزيد وخلعته لفسقه وفجوره يصرُّ على التمسّك ببيعة يزيد مدّعياً أنها كانت بيعة للّه ولرسوله!! وينهى أهله عن التنكّر لهذه البيعة معلناً براءته ممّن تنكّر لها منهم!

يقول التأريخ: لمّا خلع أهل المدينة بيعة يزيد «جمع ابن عمر بنيه وأهله ثمَّ تشهد، ثمّ قال: أمّا بعدُ، فإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله! وإنّى سمعت رسول الله يقول: إنّ الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، يقال هذا غدر فلان، فإنّ من أعظم الغدر- إلّا أن يكون الشرك بالله- أن يبايع رجل رجلًا على بيعة الله ورسوله ثمّ ينكث بيعته! فلا يخلعنّ أحدٌ منكم يزيد! ولايسرفنّ أحد منكم فى هذا الأمر فيكون الفيصل بينى وبينه- رواه مسلم، وقال الترمذى: صحيح.» «۱»

فهل يُعقل أن تكون البيعة لرجل ظالم فاسق لاخلاق له عند الله تعالى بيعة لله ولرسوله!؟

أو ليسَ مما أجمعت الأمّة عليه أنّ العدالة من شروط الإمامة!؟ «۲»

ومن هو الغادر الذى يُنصب له لواء يوم القيامة! الذى بايع الفاسق مع علمه بفسقه منذ البدء- كما فعل ابن عمر!- أم أهل المدينة الذين

انتفضوا على يزيد بعد أن تيقّنوا من فسقه وخلعوا بيعته!؟

ثمّ لماذا لايرى ابن عمر كُلًّا من طلحة والزبير ومن معهما غادرين تُنصب لهم ألوية غدر يوم القيامة! حيث نكثوا بيعتهم لرمز العدالة أمير المؤمنين علىّ عليه السلام!؟ أم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۰

يتوقّف ابن عمر فى هذا الأمر فيبتدع مغالطة أخرى من مغالطاته الكبيرة الكثيرة!؟

لقد كان عبدالله بن عمر لساناً من الألسنة التى خدمت الحكم الأموىّ، بل كان بوقاً أمويّاً حرص على عزف النغمة النشاز فى أنشودة المعارضة! وسعى إلى تحطيم المعارضة من داخلها، ولا يُعبأ بما صوّره به بعض المؤرخين من أنه كان رمزاً من رموزها، لأنّ المتأمّل المتدبّر لا يجد لابن عمر هذا أىّ حضورٍ فى أىّ موقف معارضٍ جادّ! بل يراه غائباً تماماً عن كلّ ساحة صدق فى المعارضة!

وإذا تأمّل المحقق مليّاً وجد عبدالله بن عمر ينتمى انتماءً تاماً- عن إصرار وعناد- الى حركة النفاق التى قادها حزب السلطة، منذ البدء ثمّ لم يزل يخدم فيها حتى فى الأيّام التى آلت قيادتها فيها الى الحزب الأموى بقيادة معاوية ثمّ يزيد! هذه هى حقيقة ابن عمر وإن تكلّف علاقات حسنة فى الظاهر مع وجوه المعارضة عامّة ومع الإمام الحسين عليه السلام خاصة.

وحقيقة ابن عمر هذه يكشف عنها معاوية لابنه يزيد فى وصيته إليه بلا رتوش نفاقية حيث يقول له: «.. فأمّا ابن عمر فهو معك! فالزمه ولاتدعه!» «۱».

الأوزاعى .. والنهى عن المسير إلى العراق! ..... ص : ۳۰۰

روى ابن رستم الطبرى فى كتابه (دلائل الإمامة) قائلًا:

«حدّثنا يزيد بن مسروق قال: حدّثنا عبدالله بن مكحول، عن الأوزاعى قال:

بلغنى خروج الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام الى العراق، فقصدتُ مكّة فصادفته بها، فلمّا رآنى رحّب بى وقال: مرحباً بك يا أوزاعى، جئت تنهانى عن المسير،

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۱

وأبى اللّه عزّ وجلّ إلّا ذلك، إنّ من هاهنا الى يوم الاثنين متيّتى (مبعثى)!.

فسهدتُ فى عدّ الأيّام، فكان كما قال!» «۱».

تُرى من هو هذا الأوزاعىّ الذى أهمّه أمر الإمام الحسين عليه السلام حتى قصد مكّة لينهاه عن المسير الى العراق؟ وما هو دافعه فى ذلك؟ وما معنى قول الإمام عليه السلام:

«إنّ من هاهنا الى يوم الإثنين متيّتى (مبعثى)!»؟

أمّا من هو هذا الأوزاعى؟ فانّ هناك جماعة من الرجال عُرفوا بهذا اللقب «۲» لكنّ الاحتمال الأقوى هو أنّ المراد بهذا الأوزاعىّ: أبوأيّوب، مغيث بن سمّى

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۲

الأوزاعى: الذى يُقال إنه أدرك زهاء ألفٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، «۱» وقد روى عن ابن الزبير وابن عمر، وابن مسعود، وكعب الأحبار، وأبى هريرة، وهو من الطبقة الثانية من تابعى أهل الشام، وقد وثّقه ابن حبّان، وأبوداود، ويعقوب بن سفيان. «۲» ولكن لم يرد له ذكر فى كتبنا الرجالية على ما حقّقنا.

أمّا ما هو دافعه فى التحرّك حتى قصد مكّة لينهى الامام عليه السلام عن المسير الى العراق، فذلك ممّا لا نستطيع أن نحدّده من متن الرواية- ومن عدم معرفتنا بتأريخ هذا الرجل وسيرته- إلّا أنّ ترحيب الامام عليه السلام به قد يكشف عن أنّ هذا الأوزاعى كان مشفقاً

على الإمام عليه السلام من القتل فى مسيره الى العراق، وإن كان ظاهر النصّ صريحاً فى أنه كان ناهياً لا ناصحاً!

وأما ما هو المراد من قوله عليه السلام: «إنّ من هاهنا الى يوم الإثنين متيتى (مبعثى)!»، فلا يخفى على المتأمّل أنّ فيه غموضاً وتشابهاً! فهل أراد الإمام عليه السلام أن يقول للأوزاعى إنّ لك أن تعدَّ مِن هذه الساعة الى يوم الاثنين الذى أُقتلُ فيه!؟ ولذا يقول الأوزاعى: فسهدتُ (اى سهرتُ) فى عدّ الأيام فكان كما قال! وعلى هذا يكون الإمام عليه السلام قد قُتل فى يوم الإثنين! وهذا مالا يتّفق مع المأثور أنّ يوم عاشوراء كان يوم الجمعة أو يوم السبت. «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۳

أم أنّ الإمام عليه السلام اراد أن يقول للأوزاعى: إنّنى باقٍ فى مكّة الى يوم الإثنين، وبعده (أى يوم الثلاثاء) يكون مبعثى الى العراق، أى سفرى إليه!؟

ونرى أنّ هذا هو الأقوى احتمالًا، لأنّ الإمام عليه السلام قد خرج من مكّة بالفعل يوم الثلاثاء بدليل قول الإمام عليه السلام نفسه فى رسالته الأخيرة التى بعثها الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهّر الصيداوى (رض) حيث يقول فيها: «.. وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجّة يوم الترويه ..». «۱»

وعلى أساس هذا التقويم يكون يوم عاشوراء الجمعة إذا كان ذو الحجة تسعة وعشرين يوماً، أو السبت إذا كان ثلاثين يوماً، وهذا ما يتّفق مع المأثور بصدد يوم عاشوراء.

عمر بن عبدالرحمن المخزومى .. والنصيحة الصائبة! ..... ص : ۳۰۳

اشارة

روى الطبرى عن عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى أنه قال: «لمّا تهيأ الحسين عليه السلام للمسير الى العراق أتيته، فدخلت عليه، فحمدت الله وأثنيتُ عليه، ثمّ قلت: أمّا بعدُ، فإنّى أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها نصيحة، فإن كُنتَ ترى أنّك تستنصحنى وإلّا كففتُ عمّا أريد أن أقول!

فقال الحسين عليه السلام:

قلْ، فوالله ما أظنّك بسىّ الرأى، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل!

فقال: إنه قد بلغنى أنّك تريد المسير الى العراق، وإنى مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتى بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۴

لهذا الدرهم والدينار! ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه!!

فقال الحسين عليه السلام: جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، فقد والله علمتُ أنك مشيتَ بنصح وتكلّمت بعقل، ومهما يُقضَ من أمرٍ يكنْ، أخذتُ برأيك أو تركته، فأنت عندى أحمد مشير وأنصح ناصح!». «۱»

تأمّل وملاحظات: ..... ص : ۳۰۴

۱)- هذه المحاورة كاشفة عن منزلة حسنة جداً لعمر بن عبدالرحمن المخزومى عند الإمام عليه السلام حيث أثنى عليه ثناء رائعاً فى

قوله عليه السلام: «قُلْ، فو الله ما أظنّك بسىء الرأى، ولا هو للقبيح من الأمروالفعل!»، وفى تعبير آخر: «ما أنت ممّن يُستغشّ ولايُتّهم، فقلْ»، «۲» وفى تعبير آخر: «قُلْ، فوالله ما أستغشّك، وما أظنّك بشىء من الهوى!»، «۳» وقال له فى ختام هذه المحاورة «فأنت عندى أحمدُ مشير وأنصح ناصح!»، وفى تعبير آخر: «ولم تنطق عن هوى!»، «۴» وجميع ذلك كاشف عن متانة هذا المخزومى وصدقه وحبّه للإمام الحسين عليه السلام.

ولم يرد لعمر بن عبدالرحمن المخزومى هذا ذكر فى كتبنا الرجالية، لكنّه معدود من رجال الصحاح الستّة، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وحدّث عن عمّار بن ياسر، وأمّ سلمة، وعائشة، وأبى هريرة، ومروان ... وقد استصغر يوم الجمل فرُدَّ، وعن ابن سعد: أنه ولد فى خلافة عمر، ومات سنة الفقهاء، وقيل سنة خمس

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۵

وتسعين، «۱» وكان يُقال له راهب قريش لكثرة صلاته، وكان مكفوفاً، وهو من سادات قريش. «۲»

۲)- إنّ المشورة التى قدّمها عمر بن عبدالرحمن المخزومى تشبه تماماً فى مبناها مشورة لابن عبّاس (رض) «۳» وأخرى لعمرو بن لوذان فى هذا الصدد، «۴» ويتلخّص مبنى هذا المشورات الثلاث فى أنّ الصحيح أن يتحرّك أهل الكوفة عملياً قبل توجّه الإمام عليه السلام إليهم، فيثوروا على السلطة فى الكوفة، وينفوا عمّال يزيد وأتباعه، ويسيطروا على الأوضاع فيها، وعندها يتوجّه الامام عليه السلام إليهم، وهذا هو الرأى الصواب عندهم! ولكن على أساس منطق الفتح القريب والنصر الظاهرى وتسلّم الحكم، ومن هنا نجد الإمام عليه السلام لايُخطّى هذه المشورات، بل نراه يثنى على أصحابها، ومع هذا يخالفها ولايعمل بها، لأنه كان يتحرّك على أساس منطق آخر هو منطق (الفتح بالشهادة)! الفتح المبين العميق الشامل الدائم الذى يحفظ الإسلام المحمدىّ الخالص نقيّاً من كلّ الشوائب الى قيام الساعة.

۳)- ربّما يُقال: إنّ ما ورد فى متن هذا الخبر من قول المخزومى: «لمّا تهيّأ الحسين عليه السلام للمسير الى العراق ..» لايدلّ بالضرورة على أنّ هذا اللقاء قد تمّ فى مكّة، لأنّ هناك روايات لبعض اللقاءات مع الإمام عليه السلام حملت مثل هذه الإشارات مع أنَّ المؤكّد أنها تمّت فى المدينة، كلقائه عليه السلام مع أم سلمة (رض)، فهل ثمّ دليل آخر على أنّ لقاءه عليه السلام مع المخزومىّ تمّ فى مكّة؟

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۶

فنقول: لم ينتشر خبر عزم الإمام عليه السلام على السفر الى العراق إلّا فى أواخر أيّام مكثه فى مكّة المكرمة، وحينما كان الإمام عليه السلام فى المدينة المنوّرة لم يكن قد أطّلع أحدٌ على نيّته فى التوجّه الى العراق سوى خاصة الخاصة كمثل محمّد بن الحنفية (رض) وأمّ سلمة (رض)، وأمّا غير هؤلاء الخواصّ فإنّ الإمام عليه السلام غالباً ما كان يشير إليهم أنه متوجّه الى مكّة فى أيامه تلك ثمّ يستخير الله فى أمره، وعليه فإنّ أمثال عمر المخزومىّ هذا لم يكونوا على علم بنيّة الامام عليه السلام فى التوجّه الى العراق منذ البدء.

هذا فضلًا عن أنّ لهذا الخبر تتمة- فى رواية الطبرى- على لسان المخزومى أنه «قال: فانصرفت من عنده، فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص «۱»- والى مكّة- فسألنى: هل لقيتَ حسيناً؟ فقلت له: نعم.

فقال: فما قال لك، وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلتُ كذا وكذا، وقال كذا وكذا.

فقال: نصحته وربّ المروة الشهباء! أما وربّ البنيّة إنّ الرأى لما رأيته، قَبِلَه أو تركه ..»، «۲» وفى هذا دلالة كافية على أنّ هذا اللقاء كان قد حصل فى مكّة المكرّمة.

لقاء جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) مع الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۰۶

روى ابن كثير خبراً مرسلًا أنّ جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) «۳» كان قد

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۷

التقى الإمـام عليه السـلام وكلّمه ليردّه عن القيام والخروج على يزيـد: «قال جابر بن عبـدالله: كلّمتُ حسيناً، فقلت: إتّق الله، ولاتضـرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ماحمدتم ما صنعتم. فعصانى!».

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۸

ولا يخفى على ذى أدنى معرفة بجابر بن عبـدالله الانصارى (رض) أنّ أصل اللقاء هـذا إذا كان محتملًا، فلا سبيل إلى احتمال محتواه! لأنه بعيد كلّ البعد أن تصدر مثل هذه الجسارة على الامام عليه السـلام ومثل سوء الأدب هذا عن هذا الصـحابى الجليل القدر العارف بحق أهل البيت عليهم السلام!

والظنّ قوىّ جداً فى أن يكون محتوى هذا الخبر من مفتعلات مرتزقة الإعلام الأموى من أجل الإساءة الى النهضة الحسينية وتخطئتها! وممّا يؤيد كون هذا الخبر من الموضوعات أنّ ابن كثير أورده مرسلًا دون أن يذكر له طريقاً.

نعم، روى عماد الدين أبو جعفر محمد بن علىّ الطوسـى «۱» المعروف بـابن حمزة فى كتابه «الثاقب فى المناقب» لقاءً لجابر الأنصارى (رض) مع الامـام عليه السـلام يفوح منه عطر حسن الأدب فى مخاطبـة الامـام عليه السـلام، والمعرفـة بحقّ أهـل البيت عليهم السـلام، والصدق فى موالاتهم ومحبّتهم والتشيّع لهم:

«عن جابر بن عبـدالله (رض) قال: لمّا عزم الحسين بن علىّ عليهما السـلام على الخروج الى العراق، أتيته فقلت له: أنت ولد رسول الله صلى الله عليه و آله، وأحد سبطيه، لا أرى إلّا أنّك تصالح كما صالح أخوك الحسن عليه السلام، فإنه كان موفّقاً راشداً.

فقال لى عليه السلام:

يا جابر، قد فعل أخى ذلك بأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و آله، وإنّى أيضاً أفعل

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۰۹

بأمر الله تعالى ورسوله، أتريد أن أستشهد لك رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعليّاً وأخى الحسن عليهما السلام بذلك الآن!

ثمّ نظرتُ، فاذا السماء قد انفتح بابها، واذا رسول الله صلى الله عليه و آله وعلىّ والحسن عليهما السلام وحمزة وجعفر وزيد، «۱» نازلين عنها حتّى استقرّوا على الأرض، فوثبت فزعاً

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۰

مذعوراً!

فقال لى رسول الله صلى الله عليه و آله:

يـا جـابر، ألم اقل لك فى أمر الحسن قبل الحسـين، لاتكون مؤمناً حتّى تكون لأئمتّك مسـلّماً ولاتكون معترضاً، أتريـد أن ترى مقعد معاوية، ومقعد الحسين ابنى، ومقعد يزيد قاتله لعنه اللّه؟

قلت: بلى يا رسول الله!

فضـرب برجله الأرض فانشـقّت، وظهر بحر فانفلق، ثم ضرب فانشقّت هكذا حتى انشقّت سبع أرضين، وانفلقت سبعة أبحر، فرأيتُ من تحت ذلك كلّه النار فيها سلسـلة قُرن فيها الوليد بن المغيرة وأبوجهل ومعاوية الطاغية ويزيد، وقُرن بهم مردة الشـياطين، فهم أشدّ أهل النار عذاباً.

ثم قال صلى الله عليه و آله: إرفع رأسك!

فرفعتُ فإذا أبواب السـماء مفتّحة، وإذا الجنّة أعلاها! ثم صـعد رسول الله صلى الله عليه و آله ومن معه الى السماء، فلمّا صار فى الهواء صاح بالحسين: يا بُنىّ إلحقنى. فلحقه الحسين وصعدوا حتى رأيتهم دخلوا الجنّة من أعلاها!

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۱

ثم نظر إلىَّ من هناك رسول الله صـلى الله عليه و آله، وقبض على يد الحسـين عليه السلام وقال: يا جابر، هذا ولدى معى ها هنا، فسلّم

له أمره ولاتشكّ لتكون مؤمناً.

قال جابر: فعميت عيناى إن لم أكن رأيتُ ما قُلت من رسول الله صلى الله عليه و آله.». «۱»

لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء! ..... ص : ۳۱۱

اشارة

روى ابن رستم الطبرى (ره) قائلًا: «حدّثنا أبو محمّد سفيان بن وكيع، عن أبيه وكيع، عن الأعمش، قال: قال لى أبو محمّد الواقدى وزرارة بن جلح:

لقينا الحسين بن علىّ عليهما السلام قبل أن يخرج الى العراق بثلاث ليالٍ، فأخبرناه بضعف الناس فى الكوفة، وأنَّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه! فأومأ بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء، ونزل من الملائكة عدد لايحصيهم إلّا الله، وقال:

«لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلمُ علماً أنّ من هناك مصعدى، وهناك مصارع أصحابى، لاينجو منهم إلّا ولدى علىٌّ!.». «۲»

تأمّلُ وملاحظات: ..... ص : ۳۱۱

۱)- من هو هذا الواقدى فى سند هذه الروايةُ؟ ومن هو زرارة هذا؟

أمّا الواقدى، فإن كان هو محمّد بن عمر بن واقد، أبو عبدالله الأسلمى المدنى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۲

الواقدى، فولادته سنة عشرين بعد المائة، فهو لم يدرك عصر الحسين عليه السلام! «۱»

وإن كان هو واقد بن عبدالله التميمى الحنظلى، فقد توفى أيام عمر بن الخطاب، «۲» فهو لم يدرك أيضاً أيّام النهضة الحسينية عام ستين للهجرة!

وأمّا زرارة، فهو مهمل سواء كان ابن خلج او حلح (كما فى دلائل الإمامة) أو صالح!

وعن النمازى فى مستدركات علم الرجال: أنّ ابن خلج من أصحاب الحسين عليه السلام ورأى معجزته وإخباره إيّاه بشهادته وشهادة أصحابه، وأمّا ابن صالح فقد تشرّف بلقاء الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق بثلاثة أيام! «۳»

لكنّ النمازى (ره) لم يأتِ بأكثر مما فى رواية الطبرى، ولم يخرج زرارة هذا عن الجهالة والإهمال!

وربما كان فى السند حذف وإرسال، وكان اللذان التقيا بالإمام عليه السلام هما غير الواقدى وزرارة، وقد حُذف إسماهما، والله العالم.

۲)- فى متن هذه الرواية صورة من صور الإرادة والقدرة التكوينية التى يتمتع بها الإمام المعصوم عليه السلام، وهذا من صلب اعتقاداتنا، فالإمام عليه السلام إذا أشار الى جبل لزال من مكانه، كما فى الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام، «۴» وأنّ الكون-

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۳

أعمّ من العالم العلوىّ والسفلى- تحت تصرف الإمام عليه السلام تفضّلًا من الله تبارك وتعالى، والأئمّة عليهم السلام مختلف الملائكة، تتنزّل عليهم وتطوف بهم، وأمّا فى نهضة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فقد نزلت إليه أفواج من الملائكة فى طريقه

من المدينة الى مكّة وعرضت عليه استعدادها لنصرته والقتال بين يديه! «۱»

أمّا ماهو مراده صلوات الله عليه فى قوله: «لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر»؟ فلعلّ من مراده عليه السلام فى «تقارب الأشياء»: أنه لو توسّل فى تحقيق أهدافه بالخوارق والمعاجز دون الأسباب الطبيعية لتحقّق له ذلك عاجلًا وعلى أحسن وجه- والله غالب على أمره- لكنّ ذلك خلاف للإرادة الإلهية فى امتحان الخلق وابتلائهم فى مجارى الأسباب والإقتضاءات والعلل الطبيعية العادية، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة، ولتكون الحجّة البالغة للّه على خلقه، هذا فضلًا عن أنّ الأعمال والإنجازات العظيمة التى يمكن للناس جميعاً أن يتأسّوا بها هى الأعمال والبطولات التى‌تتمّ فى إطار السنن الطبيعية والمجارى العادية المألوفة لا الخوارق والمعاجز- التى لا يُلجأُ إليها إلّا إذا دعت الضرورة إليها- ذلك لأنّ استخدام المعاجز وخوارق العادة ليس ميسوراً لجميع الناس، وامتحان الخلق- فى إطار التأسّى بالقادة الربانيين- إنّما يصح إذا كان الإختبار والتكليف بما يستطيعونه لا بما يعجزون عنه.

ويؤيد هذا قوله عليه السلام لمؤمنى الجنّ الذين عرضوا عليه نصرتهم قائلين:

«يا مولانا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۴

لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك!». «۱»

فجزاهّم خيراً وقال لهم فيما قال:

«.. فإذا أقمتُ فى مكانى فبمَ يُمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يُختبرون!؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتى؟ وقد اختارها الله تعالى لى يوم دحا الأرض، وجعلها معقلًا لشيعتنا ومُحبّينا، تقبل أعمالهم وصلواتهم، ويجاب دعاؤهم، وتسكن شيعتنا فتكون لهم أماناً فى الدنيا وفى الآخرة ..». «۲»

أمّا مراده عليه السلام من «حبوط الأجر» فلا شكّ أنّ الأجر مرتبط بالنيّة ودرجة المشقّة ومستوى أثر العمل، ولا شكّ أن العمل الذى يتمّ بالخوارق والمعاجز ليس كالعمل المتحقق فى إطار السنن الطبيعية من حيث درجة المشقّة فيه! كما أنّ الأثر والفتح المترتب على شهادته عليه السلام هو أعظم أثر وفتح متصوَّر من حيث النتائج والبركات المترتبة عليه بالنسبة الى الاسلام والإمة الإسلامية، والإنسان المسلم خاصة، والإنسانيّة عامة! ولعلّ هذا من أسرار قول الرسول صلى الله عليه و آله له عليه السلام: «يا حسين أُخرج! فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلًا!» «۳»

و «وإنّ لك فى الجنّة درجات لا تنالها إلّا بالشهادة!». «۴»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۵

ولأبى سعيد الخدرى مشورة أيضاً ..... ص : ۳۱۵

اشارة

روى إبن كثير: أنّ أبا سعيد الخدرى (ره) لقى الإمام الحسين عليه السلام وحذّره من أهل الكوفة، إذ قال: «جاءه أبوسعيد الخدرى فقال: يا أبا عبدالله، إنى لكم ناصح، وإنى عليكم مشفق، وقد بلغنى أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم! فإنى سمعتُ أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملّونى وأبغضونى! وما يكون منهم وفاء قطّ! ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله مالهم نيّات ولا عزم على أمرٍ، ولا صبرٌ على السيف!.». «۱»

وروى ابن كثير أيضاًنصّاً آخر عن لسان أبى سعيد الخدرى (ره) أنه قال:

«غلبنى الحسين على الخروج، وقلت له: إتّقِ اللّه فى نفسك! والزم بيتك ولاتخرج على إمامك!!». «۲»

تأمّلُ وملاحظات: ..... ص : ۳۱۵

۱)- هذان النصّان لم يرد أىّ ذكر لهما فى التواريخ الشيعية، فهما ستيّا المنبع، وإذا كان المتأمّل لايجد بأساً فى قبول النصّ الأوّل مع ما فيه من بعض الهنات، فإنه يقف ذاهلًا متحيّراً فى دهشته إزاء النصّ الثانى لأنه يشبه تماماً فى محتواه- من حيث الجسارة وسوء الأدب فى مخاطبة الإمام عليه السلام- خطابات قتلة الإمام عليه السلام الذين تالّبوا وتآزروا على قتله فى كربلاء! أمثال شمر وعزرة بن قيس وغيرهم من مسوخ هذه الأمة! الذين اتهموا الإمام عليه السلام بالخروج على (إمامهم!) يزيد.

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۶

ولذا فالمتأمّل المنصف العارف لايتردد فى- بل يقطع- أنّ النصّ الثانى من مكذوبات مرتزقة الإعلام الأموىّ أعداء أهل البيت عليهم السلام ليزيّنوا للسذّج من هذه الأمّة أنّ جمعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه و آله ذوى المكانة المرموقة قد أنكروا على الإمام الحسين عليه السلام خروجه وقيامه، واتهموه بشقّ عصا الطاعة وتفريق كلمة الأمة! فهذا نصّ مفترى على أبى سعيد الخدرى (ره)، ومرّ بنا من قبل هذا نصٌّ مفترىً آخر على جابر بن عبدالله الأنصارى (ره)، والأمثلة كثيرة!

۲)- ولكى يطمئنّ القارىء تماماً إلى أنّ هذا النصّ مكذوب على أبى سعيد ومفترىً عليه، يحسن هنا أن نقدّم صورة مباركة موجزة عن هذا الصحابى الجليل العارف بحقّ أهل البيت عليهم السلام، المتأدّب فى محضر من شهد منهم:

إنّه سعد بن مالك بن سنان الخزرجى، من مشاهير أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله ونجباء الأنصار وعلمائهم، شهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله إثنتى عشرة غزوة أوّلها الخندق، وتوفى عام ۶۴ أو ۷۴. «۱»

وولاؤه لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام معروف، فهو من السابقين الذين رجعوا اليه، ورواياته فى فضائل علىّ عليه السلام كثيرة، وكذلك رواياته عن النبىّ صلى الله عليه و آله فى فضائل وأسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام. «۲»

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام فى مدحه أنّه «رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً». «۳»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۷

كما ذكره الإمام الرضا عليه السلام ضمن من لم يتغيّروا ولم يبدّلوا، «۱» فهو من الذين تجب ولايتهم، والمستفاد من هذا وثاقته وجلالته.

هذا وقد مدحه علماء الرجال والتراجم:

فقد قال فيه الشيخ عبّاس القمىّ (ره): «كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، وكان مستقيماً.». «۲»

وذكر السيّد الخوئى (ره) إطراء الرجاليين وثناءهم عليه ولم يذكر أى قدح فيه أو ذمّ له! «۳»

وقد دافع التسترى عنه حينما عدّه المسعودى فيمن تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام قائلًا: «إلّا أنه بعد اتفاق أخبارنا على استقامته وقوله بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وجب القول إمّا باستبصاره بعدُ، أو باشتباه المسعودى وأنه رأى تخلّف سعد بن مالك- أى سعد بن أبى وقّاص- فتوّهمه الخدرى!- فكلٌّ منهما سعد بن مالك.». «۴»

۲)- قد ينقدح فى ذهن المتأمّل سؤال حول سرّ عدم إلتحاق أبى سعيد بالإمام عليه السلام مع ماله من معرفة بحقّ أهل البيت عليهم السلام وولائه لهم؟

وهل يمكن القول: إنّ ذلك لايضرُّ بحسنه واستقامته!؟

قال النمازى: «ولانعلمُ علّة عدم حضوره لنصرة الحسين عليه السلام، فلا يضرُّ ذلك

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۸

فى حسنه واستقامته». «۱»

وقال المامقانى: «إنّ بعض الأواخر قد استشكل فى حسن عاقبة الرجل بكونه لم يشهد مع الحسين عليه السلام طفّ كربلاء، مع أنّه ممن سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. وهذا إشكال واهٍ ضعيف، إذ لم يُحرز علمُه بخروجه عليه السلام الى كربلاء! ولا عُلِمَ عدم عذره لو كان عالماً، وليس كلّ متخلف عنه عليه السلام هالكاً، نعم لاينال تلك الدرجات الرفيعة المعدّة لأصحابه، وقد نبّهنا على ذلك فى فوائد المقدّمة.». «۲»

كلام المامقانى (ره) فى الفائدة السادسة والعشرين: ..... ص: ۳۱۸

ويحسن هنا أن نقرأ ماقاله المامقانى (ره)، فى الفائدة السادسة والعشرين:

قال (ره): «إذا ثبت حسنُ حال الرجل أو عدالته وثقته، لم يمكن المناقشة فى ذلك بحياته فى زمان وقعة الطفّ وتركه الحضور لنصرة سيّد المظلومين عليه السلام، ضرورة أنّ عدم الحضور فعل مجمل لايحمل على الفاسد إلّا إذا احرز فيه جهة الفساد.

وسبب الحمل على الصحة فى ذلك واضح لائح، ضرورة أنّ الرجل إن كان كوفياً فإنّ ابن زياد قد حبس أربعمائة وخمسين رجلًا من الشيعة والموالين حتى لايحضروا النصرة! فلعلّ الرجل كان فيهم.

وأيضاً فقد صدَّ على الطرق حتى لايصل أحدٌ الى كربلاء!

ومن حضر الطفّ: بين من كان معه، ومن خرج فى عسكر ابن سعد ولمّا بلغ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۱۹

كربلاء انصرف الى الحسين عليه السلام.

ولعلّ من لم يحضر لم يلتفت إلى إمكان هذه المكيدة الحسنة: أعنى الخروج بعنوان عسكر ابن سعد واللحوق فى كربلاء بالحسين عليه السلام.

وإن كان الرجل من غير أهل الكوفة فلأنه مضافاً الى رصد الطرق، لم تطل المُدَّة ولم يمهل ابن زياد حتى يبلغهم الخبر، فإنّ أسباب وصول الخبر يومئذٍ من البريد والبرق لم يكن متهيئاً، ورصد الطرق أوجب تأخير وصول الخبر، ولذا لم يدر الأغلب بالوقعة إلّا بعد وقوعها، فعدم الحضور غير قادح فى الرجل بعد إحراز وثاقته أو حسن حاله، إلّا إذا ثبت علمه بالحال وقدرته على الحضور وتخلّفه عنه كما لايخفى.

وأمّا المتخلّفون عنه عند حركته من المدينة، فلأنّ الحسين عليه السلام حين حركته وإن كان يدرى هو وجمع من المطّلعين على إخبار النبيّ الأمين بمقتضى خبره صلى الله عليه و آله أنه يستشهد بالعراق إلّا أنّه فى ظاهر الحال لم يكن ليمضى الى الحرب حتى يجب على كلّ مكلّف متابعته، وإنّما كان يمضى للإمامة بمقتضى طلب أهل الكوفة، فالمتخلّف عنه غير مؤاخذ بشىء! وإنّما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطفّ او كان قريباً منه على وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته، ومع ذلك لم يفعل وقصّر فى نصرته، فالمتخلّفون بالحجاز لم يكونوا مكلّفين بالحركة معه حتى يوجب تخلّفهم الفسق، ولذا فإنّ جملة من الأخيار الأبدال الذين لم يكتب الله تعالى لهم نيل هذا الشرف الدائم بقوا فى الحجاز، ولم يتأمّل أحدٌ فى عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!». «۱»

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۰

مناقشة كلام المامقانى (ره) ..... ص : ۳۲۰

۱)- إنّ الإخبارات الكثيرة التى أُثرت عن النبىّ صلى الله عليه و آله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، (ومنها قليلٌ عن الحسن عليه السلام)، وعن الحسين عليه السلام نفسه، كانت قد شخّصت زمان استشهاده عليه السلام، ومكان الوقعة التى يستشهد فيها، بل وشخّصت الحاكم الآمر بقتله عليه السلام وهو يزيد، وأمير جيشه عمر بن سعد، بل وشخّصت حتى صفة القاتل المباشر للذبح شمر بن ذى الجوشن، وكانت هذه الإخبارات على كثرتها ووفرة تفصيلاتها قد انتشرت فى أوساط الصحابة خاصة وفى كثير من أوساط الأمّة عامة، فمن البعيد ألّا يكون المخلصون من الصحابة (فضلًا عن سواهم من الصحابة الذين كانوا يعملون فى خطّ حركة النفاق) قد علموا- أو توقّعوا على الأقلّ- أنّ الإمام عليه السلام فى خروجه من المدينة ثمّ فى خروجه من مكّة الى العراق ماضٍ إلى حرب وقتال! نعم، قد يُعذر المتخلّفون عنه عند خروجه من المدينة بأنهم ربّما لم يعلموا بخروجه لأنّ خروجه من المدينة تمّ بسرعة ولم يعلم به إلّا المقرّبون منه عليه السلام، أو لأنهم لم يكونوا آنذاك فى المدينة، ولكن ما عذرهم فى عدم الالتحاق به عليه السلام فى مكّة وقد أقام فيها ما يقرب من مائة وخمسة وعشرين يوماً!؟ خصوصاً وأنه قد شاع فى أواخر تلك الأيام بين الناس فى الحجاز أنّ أهل الكوفة قد كاتبوه وأنه عليه السلام عازم على التوجّه الى العراق، بما يكفى لمن يُريد الإلتحاق به أن يلتحق به حتى وإن تحرّك إليه من المدينة.

۲)- من هنا وجب أن نبحث عن عذر كلّ واحدٍ من هؤلاء المخلصين فى تخلّفه عن الإلتحاق بالامام عليه السلام على حدة، فإن علمنا عذره فى عدم إلتحاقه بالامام عليه السلام فبها ونعمت، وإن علمنا بأنه لا عذر له فى تخلّفه وانّه قصّر عن نصرة الإمام عليه السلام وقعد عن الجهاد معه عمداً فلا يمكننا حينذاك أن نقول بحسنه وعدالته، وإن لم نعلم بعذره أو عدم عذره استصحبنا حسن حال الرجل أو عدالته

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۱

ووثاقته إذا ثبت ذلك من مجموع تأريخ سيرته، خصوصاً إذا أثنى عليه السلام الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام أو أحد ممن جاء من بعده من الأئمة عليهم السلام.

۳)- لم ينجُ أحدٌ من أعلام الأمّة ممن بقى فى الحجاز ولم يلتحق بالإمام عليه السلام من التأمّل فى عدالته من خلال التساؤل عن سرّ عدم التحاقه، ولعلّ أكثر من تعرّضوا للتأمّل فى عدالتهم المتخلّفين من بنى هاشم، كابن عبّاس وابن جعفر وابن الحنفيّة، ولعلّ الأخير أكثر المتعرضين لهذا التأمّل منذ أيّام الأئمة عليهم السلام «۱» وإلى الآن، مع أنّ المأثور أنّ ابن الحنفيّة (رض) أقعده وأعجزه المرض عن الإلتحاق بالإمام عليه السلام، وورد أنّ ابن جعفر كان مكفوفاً، وتحقّق عندنا أنّ ابن عبّاس (رض) كان عذره فى كونه مكفوفاً أو ضعيف البصر جدّاً آنذاك. «۲»

فالأمر ليس كما ذهب إليه المامقانى (ره) بقوله: «.. ولم يتأمّل أحدٌ فى عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!».

۴)- أمّا فيما يتعلّق بأمر أبى سعيد الخدرى (ره)، فقد وردت روايات عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام تثنى عليه وتمدحه، كقول الإمام الصادق عليه السلام فيه:

«رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً» «۳»

، وعدّه الإمام الرضا عليه السلام فيمن لم يُغيّروا ولم يبدّلوا، وهذا يكفى فى الإطمئنان الى حسن حاله ووثاقته وعدالته.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۲

رسالة المسور بن مخرمة ..... ص : ۳۲۲

اشارة

روى ابن عساكر أنّ المسور بن مخرمة كتب الى الإمام الحسين عليه السلام رسالة يقول فيها: «إيّاك أن تغترَّ بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك! إيّاك أن تبرح الحرم، فإنّهم إن كانت لهم بك حاجة فسيضربون إليك آباط الإبل حتّى يوافوك! فتخرج فى قوّة وعدّة.». «۱»

«فجزّاه الحسين خيراً وقال: أستخير الله فى ذلك!». ۲

تأمّلٌ وملاحظات: ..... ص : ۳۲۲

۱)- إنّ محتوى هذه الرسالة كاشف عن أنّ المسور بن مخرمة بعث بها إلى الامام عليه السلام فى مكّة، بدليل قوله: «إيّاك أن تغترّ بكتب أهل العراق! ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك!»، ذلك لأن كتب أهل الكوفة لم تصل إلى الامام عليه السلام إلّا فى مكّة، كما أنّ ابن الزبير لم يُشر على الامام عليه السلام بالتوجّه الى العراق إلّا فى مكة المكرّمة، هذا فضلًا عن الدليل الواضح فى قوله: «إيّاك أن تبرح الحرم!».

۲)- صاحب هذه الرسالة هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشى الزهرى، وأمّه عاتكة أخت عبدالرحمن بن عوف وهى زهرية أيضاً، ولد بعد الهجرة بسنتين، وكان من صغار الصحابة، قدم دمشق بريداً من عثمان يستصرخ معاوية، وكان ممن يلزم عمر بن الخطّاب ويحفظ عنه، وقد انحاز الى مكّة مع ابن الزبير وسخط إمرة يزيد، وقد أصابه حجر منجنيق فى الحصار فبقى ايّاماً ومات، وكانت

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۳

الخوارج تغشاه وتنتحله. «۱»

وأمّا عندنا فهو مجهول، وذكر السيّد الخوئى (ره) أنّ الشيخ عدّه فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تارة، وأخرى فى أصحاب علىّ عليه السلام قائلًا: المسور بن مخرمة كان رسوله عليه السلام الى معاوية، «۲» وقد روى الشيخ الطوسى رحمه الله فى الأمالى رواية يُشَمُّ منها ضعف المسور بن مخرمة، «۳» ونقل القرشىّ عن كتاب الإصابة أنه كان من أهل الفضل والدين، «۴» كما نقل الأمينى (ره) عن كتاب أنساب الأشراف قائلًا:

«وكان مسور بن مخرمة الصحابىّ ممّن وفد الى يزيد، فلمّا قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر، فكُتب الى يزيد بذلك، فكتب الى عامله يأمره أن يضرب مسوراً الحدَّ، فقال أبوحرّة:

أيشربُها صهباء كالمسكِ ريحها أبوخالد، والحدَّ يُضربُ مسورُ» «۵»

۳)- قد يُستفاد من بعض الأقوال التى أوردناها فى النقطة الثانية أنّ المسور بن مخرمة كان عمرىّ الميْل عثمانى الهوى، كما قد يُستفاد من نقل الشيخ (ره) أنه كان رسول علىٍّ عليه السلام إلى معاوية، ومن رواية البلاذرى أنه شهد على يزيد بالفسق

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۴

وشرب الخمر، ومن قول الذهبى أنه سخط إمرة يزيد، أنّ المسور بن مخرمة ربّما كان ذا شىء من التدين، وعلى هذا يحتمل أنه كتب رسالته الى الامام عليه السلام بدافع الشفقة والخوف عليه من غدر أهل الكوفة، ويساعد على هذا الإحتمال ما ورد فى آخر رواية ابن عساكر أنّ الإمام عليه السلام جزّاه خيراً، هذا على فرض صحة الرواية أصلًا!!

كما يظهر من متن الرسالة أنّ المسور كان عارفاً بمكر ابن الزبير حيث يقول:

«ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنّهم ناصروك!» لكنّ العجيب أنّ الذهبى يذكر أنه انحاز بعد ذلك إلى مكّة مع ابن الزبير، وقتله حجر منجنيق أصابه فى الحصار!

رسالة عمرة بنت عبدالرحمن ..... ص : ۳۲۴

اشارة

وروى ابن عساكر أيضاً قائلًا: «وكتبت إليه عمرة بنت عبدالرحمّن، تعظّم عليه ما يريد أن يصنع [من إجابة أهل الكوفة]، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره أنّه إنّما يُساق الى مصرعه وتقول: اشهد لحدّثتنى عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: يُقتل حسين بأرض بابل!. فلمّا قرأ [الحسين عليه السلام] كتابها قال:

فلابُدَّ لى إذن من مصرعى! ومضى.». «۱»

إشارة: ..... ص : ۳۲۴

عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد الأنصارية المدنية، لم يرد لها ذكر فى كتبنا الرجالية ولا التراجم، لكنّ كتب السنّة ترجمت لها بإطراء وثناء عليها! فها هو الذهبى يقول فيها: «الفقيهة، تربية عائشة وتلميذتها ... كانت عالمة، فقيهة، حجّة، كثيرة العلم، وحديثها كثير فى دواوين الإسلام، توفيت عام ثمان وتسعين.». «۲»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۵

ويُغنينا قول الذهبى فيها إنها تربية عائشة وتلميذتها عن كلّ تعليق!

ذلك لأنّ كراهية عائشة لأهل البيت عليهم السلام وحقدها عليهم أمر أوضح من الشمس فى رابعة النهار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأمّا فلانة فأدركها رأى النساء وظغن غلا فى صدرها كمرجل القين!»، «۱»

ولم تتورّع عائشة عن إعلان هذه الكراهية فى مواقف كثيرة، وهل ينسى منعها دفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جوار جدّه صلى الله عليه و آله وقولها: «تريدون أن تُدخلوا بيتى من لا أهوى ولا أحبّ!» «۲» وقولها: «نحّوا ابنكم عن بيتى!». «۳»

فإذا كان هذا حال الأستاذة فما حال مريدتها وربيبتها!؟ وهل يُتوقَّع منها غير أن تأمر الإمام عليه السلام بإطاعة يزيد وعدم شقّ عصا الجماعة! والقعود عن أىّ قيام فى وجه الطاغوت!

حركة الأمّة فى الكوفة ..... ص : ۳۲۵

كان الكوفيون يكاتبون الإمام الحسين عليه السلام- بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام- باذلين له الطاعة ويدعونه الى القيام والنهضة ضد معاوية، فقد روى البلاذرى أنّه:

«لمّا توفى الحسن بن علىّ اجتمعت الشيعة، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۶

وهب المخزومى، «۱» وأمُّ جعدة أمّ هانى بنت أبى طالب، فى دار سليمان بن صرد، وكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا فى كتابهم: إنّ الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك،

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۷

المسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك. وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأى أهل الكوفة فيه، وحبّهم لقدومه، وتطلّعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يُرضى هديه ويُطمأنّ إلى قوله، ويُعرف نجدته وبأسه، فأفضَوا إليهم ماهم عليه من شنآن ابن أبى سفيان

والبراءة منه، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه ...»، «۱» وكذلك نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبى والمدائنى وغيرهما من أصحاب السير أنّهم قالوا: «لمّا مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام فى خلع معاوية، والبيعة له ...» «۲» وكان الإمام الحسين عليه السلام فى كلّ ذلك يمتنع عليهم، ويذكر لهم أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لايجوز له نقضه حتى تمضى المدّة، فإذا مات معاوية نظر فى ذلك.

لكنّ الثابت- من قرائن تأريخية عديدة- أنّ نبأ موت معاوية وصل الى أهل الكوفة بعد وصول الامام الحسين عليه السلام إلى مكّة المكرّمة أو وهو فى الطريق إليها، ومعنى هذا: أنه لم تصل الى الامام عليه السلام وهو فى المدينة- فى غضون أيّام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلى حين خروجه عنها- أيّة رسالة من أهل الكوفة تُنبىء عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الإمام عليه السلام إليهم، ولا من أهل مكّة أيضاً، ولا من سواهما. «۳»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۲۸

أوّل اجتماع للشيعة فى الكوفة بعد هلاك معاوية ..... ص : ۳۲۸

روى الطبرى قائلًا: «فلمّا بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرجف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسينٌ وابن الزبير ولحقا بمكّة، فكتب أهل الكوفة الى حسين ...»، وروى ايضاً عن أبى مخنف، عن الحجّاج بن علىّ، عن محمّد بن بشر الهمدانى «۱» قال: «اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صرد، «۲» فذكرنا هلاك

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۲

معاوية فحمدنا الله عليه.

فقال لنا سليمان بن صرد: إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج الى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه!

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه!

قال: فاكتبوا إليه.

فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم.

لحسين بن علىّ، من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، «۱» ورفاعة بن

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۳

شدّاد، «۱» وحبيب بن مظاهر، «۲» وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.

سلام عليك. فإنّا نحمد إليك اللّه الذى لا إله إلّا هو.

أمّا بعدُ: فالحمد لله الذى قصم عدوّك الجبّار العنيد الذى انتزى على هذه الأمّة فابتزّها وغصبها فيأها وتأمّر عليها بغير رضىً منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۴

شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير فى قصر الإمارة لسنا نجتمع معه فى جمعة، ولانخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.». «۱»

رسل الكوفة إلى الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۳۴

اشارة

«ثمّ سرّحوا بالكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمدانى، «۲» وعبدالله بن وال، «۳»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۵

وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكّة لعشر مضين من شهر رمضان.». «۱»

وقال ابن كثير: «فكان أوّل من قدم عليه عبدالله بن سبع الهمدانى، وعبدالله إبن وال، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية ..». «۲»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۶

وروى ابن الجوزى عن الواقدى صيغة أخرى للرسالة الأولى التى بعث بها أهل الكوفة- ولعلّها رسالة أخرى- قائلًا: «ولمّا استقرّ الحسين بمكّة، وعلم به أهل الكوفة كتبوا إليه يقولون: إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك! ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم علينا فنحن فى مائة ألف! وقد فشا فينا الجور، وعُمل فينا بغير كتاب اللّه وسنّة نبيّه، ونرجوا أن يجمعنا الله بك على الحقّ، وينفى عنّا بك الظلم، فأنت أحقّ بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذى غصب الأمّة فيئها، وشرب الخمر ولعب بالقرود والطنابير، وتلاعب بالدين.

وكان ممّن كتب إليه سليمان بن صُرد والمسيّب بن نجبة ووجوه أهل الكوفة.». «۱»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۷

إشارة: ..... ص : ۳۳۷

لايخفى على المتأمّل فى محتوى الرسائل التى بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وفى تعبير ابن كثير «ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية» أنّ جوّاً نفسياً طافحاً بالإبتهاج والفرحة عمَّ الشيعة فى الكوفة لموت معاوية، الذى كان قد أذاقهم الويلات فى جميع جوانب حياتهم، وجثم على صدورهم سنين عجافٍ طويلة مريرة يخنق أنفاسهم ويحصيها عليهم، ويرصد الشاردة والواردة من حركاتهم، ويجرّعهم مرارة الفقر وعذاب مكابدة حروبه فى الداخل والخارج، وكان يُضاعف فى فظاعة هذا الكابوس، وفى شوقهم إلى يوم الخلاص منه، أنّهم كانوا كلّما كاتبوا الإمام عليه السلام يدعونه إلى القيام والنهضة ردّ عليهم يوصيهم- لحكمته البالغة- بالتزام الصبر ومواصلة الإنتظار مادام معاوية حيّاً، فلمّا مات معاوية شعر أهل الكوفة وكأنهم أُطلقوا من عقال، وأفاقوا وقد تحرّرت ألسنتهم وأيديهم بعد أن زال عنهم ذلك الكابوس المطبق، فتباشروا فرحاً وتبادلوا التهانى والسرور بموت الطاغية، وأعينهم كقلوبهم تنظر بلهفة إلى ماذا سيفعل الإمام عليه السلام منتظرة إشارته.

لكنّ الصادقين منهم قليل، إذ كان الشلل النفسى ومرض إزدواج الشخصية وحبّ الدنيا وكراهية الموت قد تفشى فى حياة هذه الأمة، وكان بدء نشوئه فى السقيفة وتعاظم فيما بعدها، حتى نُكِسَ جُلُّ الناس على رؤوسهم، فصارت قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم عليه، فكان انقلابهم وتخاذلهم عن مواصلة النهضة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ذلك الإنقلاب الذى يحارفيه المتأمل المتدبّر ويذهل من سهولة وسرعة وقوعه! ثمَّ كانت نكسة هذه الأمّة الكبرى بقتلها الإمام عليه السلام فى عاشوراء.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۳۸

دفعة أخرى من الرُسُل والرسائل! ..... ص : ۳۳۸

قال الشيخ المفيد (ره): «ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهّر الصيداوى، وعبدالله وعبدالرحمن ابنى شدّاد الأرحبى، وعمارة بن عبدالله السلولى، إلى الحسين عليه السلام، ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة، من الرجل، والإثنين، والأربعة ...». «۱»

ثمّ دفعة أخرى! ..... ص : ۳۳۸

قال الشيخ المفيد (ره) أيضاً: «ثمَّ لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هانى بن هانى السبيعى «۲» وسعيد بن عبدالله الحنفى، «۳» وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علىّ عليهما السلام من شيعته من المؤمنين والمسلمين: أمّا بعدُ، فحىَّ هلّا فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأى لهم فى غيرك، فالعجل العجل، ثمّ العجل العجل، والسلام.». «۴»

ثمّ ما برحت الرسائل تترى على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة «يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأنّى ولايجيبهم، فورد عليه فى يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها فى نُوَبٍ متفرّقة إثنى عشر ألف كتاب.». «۵»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۰

ولقد روى السيّد ابن طاووس (ره) نفس الرسالة التى حملها الى الإمام عليه السلام هانى بن هانى السبيعى وسعيد بن عبدالله الحنفى، ولكن بتفاوت وإضافة مفصّلة، ويرى السيّد (ره) أنّ هذه الرسالة كانت آخر ما ورد على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة، ولعلَّ من الأفضل أن ننقل متن هذه الرسالة أيضاً كما رواها السيد ابن طاووس (ره)، وهى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن علىّ أمير المؤمنين عليه السلام من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. أمّا بعد: فإنّ الناس ينتظرونك، لا رأى لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضّرت الجنّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فإنّما تقدم على جُند مجنّدة لك، والسلام عليك ورحمة الله وعلى أبيك من قبلك.». «۱»

دور المنافقين فى موجة الرسائل: ..... ص : ۳۴۰

ركب المنافقون والذين فى قلوبهم مرض موجة الرسائل التى بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، فشاركوا فيها، أو كتبوا إليه مستقلّين عن غيرهم يدعونه أيضاً الى القدوم عليهم مدّعين الطاعة له والإستعداد لنصرته!

روى السيّد ابن طاووس (ره) أنّ الإمام عليه السلام بعد أن قرأ الكتاب الذى حمله إليه هانى بن هانى وسعيد الحنفى سألهما قائلًا:

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۱

«خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب به إلىّ معكما؟»

فقالا: يا ابن رسول الله، شبث بن ربعى، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمّد بن عمير بن عطارد!». «۱»

لكنّ الشيخ المفيد (ره) ذكر أنّ هؤلاء- المنافقين- كتبوا إلى الإمام عليه السلام رسالة مستقلّة عن رسائل غيرهم، فقال: «ثمّ كتب شبث بن ربعى، «۲» وحجّار بن أبجر، «۳»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۲

ويزيد بن الحارث بن رويم، «۱» وعروة بن قيس، «۲» وعمرو بن الحجّاج الزبيدى، «۳»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۴

ومحمّد بن عمرو التيمى «۱»: أمّا بعدُ، فقد اخضّر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جُنُدٍ لك مجنّدة.». «۲»

التعاطف الكبير مع سفير الحسين عليهما السلام ..... ص : ۳۴۴

بعد أن عمّت الفرحة الكوفة وشاع أريجُ الإبتهاج فيها لموت معاوية بن أبى سفيان، كان همُّ أكثر أهل الكوفة- بعد أن علموا بامتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعة يزيد وارتحاله الى مكّة المكرّمة- استنهاض الإمام عليه السلام للقيام ودعوته الى التوجّه إليهم، فكانت رسائلهم الكثيرة إليه.

ولم تزل قلوبهم وأعينهم ترقب الأنباء القادمة إليهم من مكّة، إذ لعلّ طالعاً بالخير يحمل إليهم نبأ البشرى بقدوم الإمام عليه السلام، أو قدوم نائب عنه يسبقه إليهم، فلمّا أفاقوا ذات يوم على خبر مجيء مسلم بن عقيل عليه السلام إليهم ونزوله دار المختار بين ظهرانيهم سفيراً عن الحسين عليه السلام، هبّوا للقائه ولتقديم البيعة

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۵

للإمام عليه السلام على يديه، وكان أقلّ عدد ذكره المؤرّخون لمن بايع مسلماً عليه السلام منهم اثنى عشر الفاً.

قال ابن عساكر: «كان مسير الحسين بن على من مكّة الى العراق بعد أن بايع له من أهل الكوفة إثنا عشر ألفاً على يدى مسلم بن عقيل، وكتبوا إليه فى القدوم عليهم ..». «۱»

وقال المحقّق المقرّم (ره): «وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً، وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً.». «۲»

وعن ابن نما (ره): «إنّ أهل الكوفة كتبوا إليه: إنّا معك مائة ألف!، وعن داود بن أبى هند، عن الشعبى قال: بايع الحسين عليه السلام أربعون الفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم.». «۳»

ولاشكّ أنّ هذا العدد سواء فى أقلّ تقدير له أو أعلى تقدير حاكٍ عن انتفاضة شعبية وتحرّك جماهيرىّ واسع النطاق تأييداً للإمام عليه السلام ورفضاً للحكم الأموىّ، بل يُستفاد من رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الإمام عليه السلام أنّ الكوفة كلّها كانت مع الإمام عليه السلام! فإنَّ نصّ الكتاب: «أمّا بعدُ، فإنّ الرائد لايكذب أهله، وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابى هذا، فإنّ النّاس كلّهم معك! ليس لهم فى آل معاوية رأىٌ ولاهوى، والسلام.». «۴»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۶

الإجتماع الأوّل مع سفير الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۴۶

اشارة

روى الطبرى يقول: «ثم أقبل مسلم حتّى دخل الكوفة، «۱» فنزل دار المختار بن أبى عُبيد، وهى التى تُدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلمّا اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون! فقام عابس بن أبى شبيب الشاكرى، «۲» فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعدُ فإنّى لاـ أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم! واللّهِ، أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسى عليه، واللّه لأُجيبنّكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنَّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتّى ألقى اللّه، لا أريد بذلك إلّا ما عند اللّه!

فقام حبيب بن مظاهر الفقعسى فقال: رحمك الله، قد قضيت ما فى نفسك بواجزٍ من قولك! ثمّ قال: وأنا والله الذى لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه!. ثم قال الحنفىّ مثل ذلك!». «۳»

إشارة: ..... ص : ۳۴۶

لهذه الرواية تتمة تتحدّث عن جوّ آخر غير الجوّ الحماسىّ الحسينى الذى تجلّى فى مقالات ومواقف رجال مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أمثال عابس بن أبى شبيب الشاكرى، وحبيب بن مظاهر الأسدى، وسعيد بن عبدالله الحنفى، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

جوّ آخر يُخفى نفسه- على استيحاء- فى الأجواء الحماسية فلا يبين! وإن

مع‌الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۳۴۷

كان تأثيره هو التأثير الأقوى والفاعل فى تحديد ورسم مواقف أكثر الناس من أهل الكوفة يومذاك، إنه جوّ الشلل النفسى الذى تفشّى فى أكثر الناس آنذاك وطغى عليهم حتى تنكّروا لبصائرهم، فاستحبّوا العمى على الهدى، وخالفت أيديهم قلوبهم، فأطاعت سيوفهم من كرهوا! فقتلت أعزَّ من أحبّوا!، وماذاك إلّا للوهن الذى أصابهم حين كرهوا الموت وأحبّوا الحياة الدنيا، فصاروا من خوف الموت فى ذلّ! فازدوجوا وتناقض الظاهر مع الباطن فيهم، وكذلك يستحوذ الشيطان على من يؤثر الدنيا على الآخرة!

يقول الحجّاج بن علىّ- الذى يروى عنه أبومخنف قصة هذا الإجتماع-:

فقلت لمحمّد بن بشر- الهمدانى الذى كان حاضراً هذا الإجتماع وروى قصّته-:

فهل كان منك أنت قول؟

فقال: أنى كنتُ لأُحبُّ أن يُعزّ الله أصحابى بالظفر، وما كنت لأحبّ أن أُقتلَ، وكرهتُ أن أكذب!! «۱»

الكوفة بانتظار الحسين عليه السلام ..... ص : ۳۴۷

فى غمرة التفافها حول مسلم بن عقيل عليه السلام، وعدم مبالاتها بواليها يومذاك النعمان بن بشير الذى ضعف قبال موجة انتفاضة الامّة أو كان يتضعّف!، كانت أعين أهالى الكوفة ترقب طريق القوافل القادمة من الحجاز، وقلوبهم بأيديهم بإنتظار لحظات القدوم المبارك، قدوم الإمام الحسين عليه السلام، ليفرشوا تلك القلوب زرابىَّ مبثوثة على تراب طريق مقدم ابن رسول الله صلى الله عليه و آله.

مع‌الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۳۴۸

وذات يوم أبصرت أعين أهل الكوفة رجلًا متلثّماً، معتمّاً بعمامة سوداء، وعليه ثياب يمانية، قادماً وحده، راجلًا ممسكاً بزمام بغلته! فظنّوا أنه الإمام الحسين عليه السلام!- وبالسذاجة هذا الظنّ!- «فقالت إمرأة: اللّه أكبر! ابن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وربِّ الكعبة! فتصايح الناس، وقالوا: إنّا معك أكثر من أربعين ألفاً! وازدحموا عليه حتّى أخذوا بذنب دابّته، وظنّهم أنّه الحسين عليه السلام ..». «۱»

فكان لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول اللّه! قدمتَ خير مقدم!، وجعل يمرّ بالمحارس، فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنّه الإمام الحسين عليه السلام! فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله! وهو لايكلّمهم! وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم! يسايرونه طريقه الى قصر الإمارة، وهو لايحييهم ولايكلّمهم!

وسمع النعمان بن البشير بالصخب القادم على الطريق، فأغلق عليه وعلى خاصته القصر! وهو لايشكّ أيضاً أنّ هذا القادم هو الحسين عليه السلام ومعه الخلق يضجّون! ملتفّين حوله، فلمّا انتهى إليه قال له النعمان: أُنشدك اللّه إلّا تنحيّت! فما أنا بمسلّم إليك آمانتى! ومالى فى قتالك من أرب!.

والقادم لايكلّمه! حتى دنا وتدلّى النعمان بين شرفتين قريباً جدّاً منه، فقال هذا القادم: إفتح لا فتحتَ! فقد طال ليلك! فسمعها إنسان كوفىّ خلفه، فانكفأ الى الناس وقد أخذته الدهشة وهو يقول: أى قوم! ابن مرجانة! والذى لا إله غيره! فاندهش الناس، وقالوا- وهم

يتشبّثون بظنّهم الساذج-: ويحك إنّما هو الحسين! «۲» وفى رواية ابن نما (ره): «.. فحسر اللثام وقال: أنا عبيدالله! فتساقط القوم، ووطىء

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۴۹

بعضهم بعضاً، ودخل دار الإمارة ...». «۱»

فالقادم إذن لم يكن الإمام عليه السلام، بل كان عبيد الله بن زياد وابن مرجانة لعنهم الله، الوالى الذى أرسلته السلطة الأموية المركزية فى الشام بمشورة من سرجون النصرانىّ إلى الكوفة، للسيطرة على طوارىء حركة الأمّة فيها، لماله من معرفة بخصائص النفسية الكوفية، وخبرة إدارية شيطانية، وقدرة على الظُلم والغشم.

أهل الكوفة .. والمبادرة المطلوبة ..... ص : ۳۴۹

هناك مجموعة من العوامل والشرائط اللازمة لنجاح أىّ تحرك ثورى يهدف الى تغيير الاوضاع السياسية فى بلدٍ ما من البلدان، ينبغى لقيادة هذا التحرّك الإنتباه إليها والعمل على تحقيقها لضمان نجاح هذا التحرّك فى الوصول إلى أهدافه المنشودة.

والمتأمّل فى تحرّك أهل الكوفة بعد موت معاوية- فى رفضهم خلافة يزيد بن معاوية، ومكاتبتهم الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، باذلين له الطاعة، وطالبين منه القدوم إليهم- يرى أنّ هناك مجموعة من الشرائط اللازمة لنجاح هذا التحرّك كان ينبغى لوجهاء وأشراف أهل الكوفة الذين تصدّوا لهذا العمل أن يسعوا إلى تحقيقها وتوفيرها حتّى يُوفَّقَ هذا التحرك وهذه الإنتفاضة فى بلوغ الأهداف المنشودة.

ومن أهمّ واوّل الأمور التى كان ينبغى للعقل الكوفى المعارض أنْ يُعدِّ العدّة لتحقيقه ويستبق الأيّام للقيام به المبادرة إلى السيطرة على الأوضاع فى الكوفة قبل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۰

مجىء الإمام عليه السلام إليها، وذلك مثلًا باعتقال الوالى الأموىّ، وجميع معاونيه وأركان إدارته، ومن عُرف من عيونه وجواسيسه، ومنع الخروج من الكوفة إلّا بإذن خاص، وذلك لحجب أخبار ما يجرى فيها عن مسامع السلطة الأموية أطول مدّة ممكنة من أجل تأخير تحرّكها لمواجهة الإنتفاضة فى الكوفة قبل وصول الإمام عليه السلام، حتّى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة إلى حيث كامل الأهداف.

والإهتداء الى ضرورة القيام بمثل هذ المبادرة ليس بدعاً من الأمر، أو من الأفكار التى لايهتدى إليها إلّا الأوحدىّ من الناس، بل هو من إدراكات الأذهان العامة، ها هو عبدالله بن العبّاس (رض) يتحدّث عن ضرورة القيام بهذه المبادرة قائلًا للإمام عليه السلام: «فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمّ اقدم عليهم»، «۱» وهذا عمر بن عبدالرحمن المخزومى يقول للإمام عليه السلام أيضاً: «إنّك تأتى بلداً فيه عمّاله وأمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يُقاتلك معه»، «۲» وهذا عمرو بن لوذان يخاطب الإمام عليه السلام قائلًا: «وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطّأوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأمّا على هذه الحال التى تذكر فإنّى لا أرى لك أن تفعل!». «۳»

والإمام عليه السلام لا يُخطّىء مقولات هؤلاء، بل يُقرّر عليه السلام أن ذلك من النصح والعقل والرأى! فهو يقول لابن عبّاس: «يا ابن عمّ، إنّى واللّه لأعلم أنك ناصح

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۱

مشفق!»، «۱» ويقول للمخزومى: «فقد واللّه علمتُ أنك مشيت بنصحٍ وتكلّمت بعقل!»، «۲» ويقول لعمرو بن لوذان: «يا عبدالله، ليس يخفى علىَّ الرأى!». «۳»

ومن المُلفت للإنتباه أيضاً أنّه ليس فى رسائل الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة ولا فى وصاياه لمسلم بن عقيل عليه السلام ما يمنع أهل الكوفة من القيام بهذه المبادرة التى أقرّ الإمام عليه السلام أنها من العقل والرأى! بل لقد دعاهم عليه السلام الى القيام مع مسلم عليه السلام، حيث قال عليه السلام فى رسالته الأولى إليهم- على رواية ابن أعثم-: «فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه وانصروه ولاتخذلوه!». «۴»

وفى رسالته الثانية التى بعثها إليهم بيد قيس بن مسهرّ الصيداوى (رض)- والتى لم تصل إليهم لأنّ ابن زياد كان قد قبض على الرسول- دعاهم الإمام عليه السلام إلى السرعة والعزم على الأمر والجدّ فيه، حيث قال عليه السلام فيها: «فإذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمركم وجدّوا!»، «۵» إذ الكمْشُ فى الأمر هو العزم عليه والسرعة فيه! «۶»

إذن ما هى علّة عدم مبادرة الشيعة فى الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها!؟ مع أنّ فيهم عدداً يُعتدُّ به من رجال ذوى خبرات عريقة فى المجالات

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۲

العسكرية والسياسية والإجتماعية! ولاشكّ أنّ التفكير بمثل هذه المبادرة قد طرأ على أذهانهم أكثر من مرّة! فلماذا لم يبادروا!؟

لعلّ الإجابة على هذا السؤال من أصعب ما يواجه المتأمّل فى حركة أحداث النهضة الحسينية المقدّسة، ومع هذا فإنَّ من الممكن هنا أن نتحدّث باختصار فى أهمّ الأسباب التى أدّت الى عدم مبادرة الشيعة فى الكوفة الى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها، وهى:

۱)- لم يكن للشيعة فى الكوفة- وهم من قبائل شتّى- خصوصاً فى فترة ما بعد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عميدُ من شيعة أهل الكوفة، يرجعون إليه فى أمورهم وملمّاتهم، ويصدرون فيها عن رأيه وقراره وأمره.

نعم، هناك وجهاء وأشراف متعدّدون من الشيعة فى الكوفة، لكلٍّ منهم تأثيره فى قبيلته، لكنهم لاتصدر مواقفهم إزاء الأحداث الكبرى المستجدّة عن تنسيق بينهم وتنظيم يوّحد بين تلك المواقف، وينفى عنها التشتّت والتفاوت.

ولقد ترسّخت هذه الحالة فى شيعة الكوفة خاصة نتيجة السياسات التى مارسها معاوية- بتركيز خاص على الكوفة خلال عشرين من السنوات العجاف الحالكة- فى خلق الفرقة والتناحر بين القبائل، والإرهاب والقمع، والمراقبة الشديدة التى ترصد الأنفاس، والإضطهاد المرير والقتل الذى تعرّض له كثير من الشيعة ومن زعمائهم خاصة، الأمر الذى زرع بين الناس على مدى تلك السنين العشرين العجاف الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة السلطان، وضعف الثقة وقلّة الإطمئنان فيما بينهم، والفردية فى اتخاذ الموقف والقرار.

ويكفى دليلًا على كلّ ما أشرنا إليه من التعددية والتشتّت نفس المنحى الذى تمّت فيه مكاتبة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، فلولا التعددية فى مراكز

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۳

الوجاهة والزعامة لما تعددّت الرسائل والرسل منهم إلى الإمام عليه السلام.

فلوكان لهم زعيم واحد يصدرون عن رأيه وأمره لكفى الإمام عليه السلام منهم رسالة واحدة تأتى من زعيمهم، لا إثنا عشر ألف رسالة!، ولما احتاج الإمام عليه السلام إلى أن يسأل آخر الرسل: «خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كُتب به إلىَّ معكما؟». «۱»

كما يكفى دليلًا على ضعف الثقة والإطمئنان، والفردية فى إتخاذ الموقف والقرار، قول الشهيد الفذّ عابس بن أبى شبيب الشاكرى (رض) بين يدى مسلم بن عقيل عليه السلام: «أمّا بعدُ، فإنّى لا أُخبرك عن النّاس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرُّك منهم! واللّه أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسى عليه، واللّه لأجيبنّكم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتّى ألقى اللّه، لا أريد بذلك إلّا ما عند اللّه». «۲»

۲)- هناك ظاهرة عمّت القبائل العربية التى استوطنت الكوفة، وهى ظاهرة انقسام الولاء فى أفرادها، ففى كلّ قبيلة إذا وجدتَ من يعارض الحكم الأمويّ أو يوالى أهل البيت عليهم السلام فإنّك تجد أيضاً قبالهم من يوالى الحكم الأمويّ ويخدم فى أجهزته، ولعلّ الموالين للحكم الأموى فى جلّ هذه القبائل أكثر من المعارضين له عامة والموالين لأهل البيت عليهم السلام خاصة.

وهذه المشكلة ربّما كانت هى المانع أمام زعماء من الشيعة كبار فى قبائلهم الكبيرة من أن يُثَوِّروا قبائلهم ضد الحكم الأمويّ علانية، وينهضوا بهم للقيام بمثل تلك المبادرة المطلوبة، ذلك لأنّ افراداً كثيرين هناك فى نفس القبيلة ممّن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۴

يخدمون فى أجهزة الأمويين ويوالونهم سيسارعون إلى اخبار السلطة الأموية بما عزم عليه زعيم قبيلتهم الشيعىّ، فيقُضى على ذلك العمل قبل البدء فيه، كما يُقضى على الزعيم الشيعىّ وعلى أنصاره أيضاً، ففى قبيلة مذحج الكبيرة فى الكوفة مثلًا، كما تجد زعيماً شيعياً رائداً مثل هانى بن عروة (رض) تجد إزاءه ايضاً زعيماً آخر- أو أكثر- مثل عمرو بن الحجّاج الزبيدى، يتفانى فى خدمة الأمويين إلى درجةِ أنْ يؤثر مصلحة الأمويين حتى على مصلحة مذحج نفسها، حينما قام بدوره المريب فى ركوب موجة انتفاضة مذحج وقيامها لإطلاق سراح هانى (رض) فردّهم عن اقتحام القصر وصرفهم وفرّق جموعهم، بمكيدة منه ومن شريح وابن زياد.

وهذه الظاهرة تجدها فى بنى تميم، وبنى أسد، وكندة، وهمدان، والأزد، وغيرها من قبائل أهل الكوفة.

إذن فقد كان من العسير عملياً على أىّ زعيم كوفى شيعى أن يقود جموع قبيلته فى عملٍ ما ضدّ الحكم الأمويّ، وذلك لوجود زعماء آخرين من نفس القبيلة موالين للحكم الأموىّ، باستطاعتهم التخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعى الزعيم الشيعى، أو من خارجها بالإستعانة بالسلطة الأموية نفسها.

۳)- يُضاف إلى السببين الأوّل والثانى- وهما أهمُّ الأسباب- سبب ثالث وهو تفشىّ مرض الشلل النفسى، وازدواج الشخصية، والوهن المتمثّل فى حبّ الدنيا والسلامة وكراهية الموت، فى جُلّ أهل الكوفة آنذاك خاصة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما عبّر به محمّد بن بشر الهمدانى- الذى روى تفاصيل اجتماع الشيعة الأوّل مع مسلم بن عقيل عليه السلام فى دار المختار، وروى مقالة عابس الشاكرى ومقالة حبيب بن مظاهر ومقالة سعيد بن عبدالله الحنفى رضوان الله عليهم، فى استعدادهم للتضحية والموت فى نصرة الإمام عليه السلام- حينما سأله الحجّاج بن علىّ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۵

قائلًا: فهل كان منك أنت قول؟

أجاب قائلًا: إنّى كُنت لأُحبُّ أنْ يُعزَّ اللّه أصحابى بالظفر، وما كنت لأحبَّ أنْ أُقتل، وكرهت أن أكذب! «۱»

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أيضاً، قول عبيد الله بن الحرّ الجعفى مخاطباً الإمام عليه السلام: «واللّه إنى لأعلمّ أنّ من شايعك كان السعيد فى الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغنى عنك ولم أخلّف لك بالكوفة ناصراً!؟ فأنشدك اللّه أن تحملنى على هذه الخطّة، فإنّ نفسى لم تسمح بعدُ بالموت!». «۲»

وكان زعماء الشيعة الكوفيون قد أدركوا خطورة إنتشار هذا المرض، وتفطّنوا لأثره السَّيء على كلّ نهضة وقيام، فكانوا يحسبون لخذلان الناس فى أىّ مبادرة جهادية ألف حساب، نلاحظ ذلك مثلًا فى قول سليمان بن صرد الخزاعى فى اجتماع الشيعة الأوّل: «فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإنْ خفتم الوهل والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه!». «۳»

ونلمح أيضاً هذا الإدراك والمعرفة بتفشّى هذا المرض فى قول عابس الشاكرى (رض) وهو يخاطب مسلماً عليه السلام: «فإنّى لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم! ...». «۴»

وبعدُ: فلعلّ هذه الأسباب المهمة الثلاثة التى ذكرناها تشكّل إجابة وافية عن علّة عدم مبادرة زعماء الشيعة فى الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۶

حركة الأمّة فى البصرة ..... ص : ۳۵۶

اشارة

كان ظاهر الحياة السياسية والإجتماعية فى البصرة سنة ستين للهجرة يوحى بأنّ عبيد الله بن زياد كان قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجارى أمورها وعلى حركة الأحداث فيها، لما اتصف به من قدرة على الغشم والظلم والجور، وبراعة شيطانية فى التفريق بين القبائل، وخلق الكراهية بين الوجهاء والأشراف فيها، وما سوى ذلك من فنون المكر والخداع لمواصلة إخضاع وإذلال الأمّة التى عرفت فساد الطغاة الأمويين وولاتهم.

ويساعد على هذا الإيحاء فى الظاهر أيضاً وجود مجموعة كبيرة من أشراف ووجهاء البصرة ورؤساء الأخماس «۱» فيها ممن لهم علاقات ودّية حميمة مع الحكّام الأمويين عامة وعبيد الله بن زياد خاصة.

أمّا باطن الحياة السياسية والاجتماعية فى البصرة آنذاك فكان يشهد أمراً آخر، إذ كان فى البصرة أشراف ووجهاء ورؤساء أخماس آخرون- وإن كانوا قلّة- يعرفون حقائق الأمور ويحبّون الحقّ وأهله! كما كان فى عمق الحياة البصرية نشاط سرىّ لمعارضة شيعيّة، لها منتدياتها واجتماعاتها فى الخفاء، تتداول فيها الأخبار ومستجدّات الأحداث، ولها نوع من الإرتباط والعلم بأنشطة المعارضة الشيعية فى الحجاز وفى الكوفة، وكان عبيدالله بن زياد على علم إجمالى بوجود هذه المعارضة الشيعية فى البصرة، وكان يتوجّس منها ويحذرها.

ويمكننا هنا أن نتابع حركة الأمة فى البصرة من خلال:

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۷

ردّ رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام ..... ص : ۳۵۷

۱)- ردّ الأحنف بن قيس: ..... ص : ۳۵۷

كتب الأحنف بن قيس رداً على النسخة التى وصلته من كتاب الإمام الحسين عليه السلام الى رؤساء الأخماس فى البصرة وأشرافها قائلًا: «أمّا بعدُ: فاصبر إنّ وعد اللّه حقٌ ولايستخفنّك الذين لايوقنون»، «۱» ولم يزد على الآية «۲» شيئاً! فكأنَّ الأحنف قد رأى أنه أدّى واجبه وتكليفه إزاء دعوة الإمام عليه السلام للنهضة لإحياء سنّة رسول الله صلى الله عليه و آله، فهو يكتفى بأن يوصى الإمام عليه السلام بالصبر! وأن لايستخفّه الذين لايوقنون!

ولايخفى على العارف بسيرة الأحنف بن قيس أنّ هذا الرجل كان من أوضح مصاديق (الذين لايوقنون)، فموقفه هذا فى جوابه هذا كاشف عن تردّده عن نصرة الإمام عليه السلام مع علمه بأحقيّة الإمام عليه السلام بالخلافة وقيادة الأمّة، وموقفه الآخر من قبلُ فى البصرة أيضاً فى فتنة عبدالله بن عامر الحضرمى الذى دعا أهل البصرة- بعد صفين- الى نكث بيعة أميرالمؤمنين علىّ عليه السلام مرّة أخرى، حيث قال الأحنف رداً على ما دعا إليه الحضرمى رسول معاوية: «أمّا أنا فلا ناقة لى فى هذا ولاجمل!»، «۳» بدلًا من أن يهبّ للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام ويدعو أهل البصرة فى المقابل إلى الثبات على البيعة والسمع والطاعة!، وله موقف آخر من قبل ذلك أيضاً نمَّ عن تردّده وضعف يقينه، إذ بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّى مقيمٌ على طاعتك فى قومى فإن شئتَ أتيتك فى مائتين من أهل بيتى فعلتُ، وإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بنى سعد!. فبعث إليه أميرالمؤمنين عليه السلام:

بل

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۸

احبس وكُفَّ ..». «۱»

۲)- خيانة المنذر بن الجارود: ..... ص : ۳۵۸

وكان هذا أيضاً من البصريين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، فلمّا أتاه رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين (رض) بالكتاب قرأه، ثمّ أخذ الكتاب والرسول الى عبيد الله بن زياد، زاعماً «۲» أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسة من ابن زياد!، فقتل ابن زياد الرسول! ثمّ صعد المنبر فخطب وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف! «۳»

كان عبيد الله بن زياد صهراً للمنذر بن الجارود، إذ كانت بحرية بنت المنذر (أو أخته) «۴» زوجة له، وقد كافأ ابن زياد، المنذر على جريمته النكراء هذه مكافئة كان يصبو إليها المنذر الذى كشف تماماً فى هذه الواقعة عن سوء عنصره وحقارته، حيث ولّاه السند من بلاد الهند، لكنّه لم يهنأ طويلًا بجائزته على خيانته تلك، إذ هلك فى السند سنة ۶۲ ه. «۵»

ودعوى ابن الجارود أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسة من ابن زياد دعوى كاذبة، إذ لم يكن طريق معرفة حقيقة الأمر منحصراً بتسليم الرسول والكتاب الى ابن زياد!، لقد كان بإمكان المنذر بن الجارود- لو كان صادقاً- أن يعرف صدق الرسول بأبسط تحقيق معه، لابتسليمه ليُقتل!.

۳)- يزيد بن مسعود النهشلى .. والموقف المحمود: ..... ص : ۳۵۸

ما إنْ وصلت إلى يد يزيد بن

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۵۹

مسعود النهشلىّ نسخته من رسالة الإمام الحسين عليه السلام فقرأها حتى جمع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، فلمّا حضروا قال: يا بنى تميم، كيف ترون موضعى منكم وحسبى فيكم؟

فقالوا: بخٍّ بخٍّ! أنتَ والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللتَ فى الشرف وسطاً، وتقدّمتَ فيه فرطاً!

قال: فإنى قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه.

فقالوا: واللّه إنّا نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأى، فقلْ نسمع.

فقال: إنّ معاوية قد مات، فأهون به واللّه هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً وظنّ أنه قد أحكمه، وهيهات والذى أراد!، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام إبنه يزيد، شارب الخمور، ورأس الفجور، يدّعى الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قِصر حلم، وقلّة علم، لايعرف من الحقّ موطىء قدمه.

فأُقسم باللّه قسماً مبروراً، لجهادُه على الدّين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علىّ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله ذو الشرف الأصيل، والرأى الأثيل، له فضل لايوصف، وعلم لاينزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعى رعيّة وإمام قوم وجبت للّه به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا- تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكّعوا فى وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه و آله ونصرته، واللّهِ لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلّا أورثه اللّه الذلّ فى ولده، والقلّة فى عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۰

لامتها، وأدّرعت لها بدرعها، من لم يُقتل يمتْ، ومن يهرب لم يفتْ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميتَ بنا أصبت، وإن غزوتَ بنا فتحت، لا تخوض واللّه غمرة إلّا خُضناها، ولاتلقى واللّه شدَّة إلّا لقيناها، ننصرك واللّهِ باسيافنا، ونقيك بأبداننا فانهض لما شئت.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس «۱» أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقى عزّنا فينا! فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا ابا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لانرضى إن غضبتَ، ولا نقطن إن ظعنت، والأمر إليك، فادعنا نجبك، ومُرنا نطعك، والأمر إليك إذ شئت.

فقال: واللّه يا بنى سعد لئن فعلتموها لايرفع اللّه السيف عنكم أبداً، ولايزال سيفكم فيكم!

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ: فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمت ما ندبتنى إليه ودعوتنى له، من الأخذ بحظّى من طاعتك والفوز بنصيبى من نصرتك، وإنَّ اللّه لايُخلى الأرض من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته فى أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وانتم فرعها، فاقدم سُعِدتَ بأسعد طائر، فقد ذلّلتُ لك أعناق

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۱

بنى تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسها لورود الماء، وقد ذلّلت لك رقاب بنى سعد، وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مُزنٍ حين استهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال:

«آمنك اللّه يوم الخوف، وأعزّك، وأرواك يوم العطش الأكبر.». «۱»

وفى رواية ابن نما (ره) قال: «فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع لذلك جزعاً عظيماً لما فاته من نصرته.». «۲»

ملاحظات وتأمّل: ..... ص : ۳۶۱

۱)- كان الإمام الحسين عليه السلام قد كتب نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس فى البصرة وإلى الأشراف فيها، وذكر الطبرى «۳» أنّ الإمام عليه السلام كتب إلى مالك بن مسمع البكرى، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر.

لكنّ التأريخ لم يسجّل أنّ أحداً من هؤلاء قد أجاب على رسالة الإمام عليه السلام أو ردَّ رداً حميداً، فالأحنف بن قيس ردّ على رسالة الإمام عليه السلام يوصيه بالصبر! وألّا يستخفّه الذين لايوقنون!، أمّا المنذر بن الجارود فقد سلّم الرسالة والرسول إلى ابن زياد الذى قتل الرسول!، وأمّا مالك بن مسمع البكرى فقد كان أموىّ الهوى، «۴»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۲

ولم يسجّل التأريخ أنه أجاب على رسالة الإمام عليه السلام!، وأمّا قيس بن الهيثم فقد كان عثمانى الهوى متباعداً عن أهل البيت عليهم السلام إلى آخر عمره، «۱» ولم يذكر التأريخ أيضاً أنّ قيس بن الهيثم قد أجاب على رسالة الإمام عليه السلام!، وأمّا عمر (أو عمرو) بن عبيد الله بن معمر فلم تذكر له كتب التواريخ والتراجم أيّة علاقة طيّبة مع أهل البيت عليهم السلام، بل عُرف عنه ولاؤه لابن الزبير أيّام سلطانه، وكان على ميمنة مصعب ابن الزبير فى قتال المختار، ثمّ انقلب ولاؤه لعبد الملك بن مروان! فكان يأتمر بأمره، حتّى وفد

عليه بـدمشق، فمات عنده بالطاعون سـنة ۸۲ ه، «۲» ولم يـذكر التأريـخ أيضاً أنّ هـذا الرجل قد أجاب على رسالة الإمام الحسـين عليه السـلام!، وأمّا مسـعود بن عمرو الأزدى فقـد كان أيضاً مجانباً ومعادياً لأهل البيت عليهم السـلام، وصـديقاً حميماً وناصـراً وحامياً لابن زياد حتى بعد مقتل الحسـين عليه السـلام، «۳» ولم يـذكر التأريـخ أيضاً أنّ مسـعود بن عمرو الأزدى هـذا قد أجاب على رسالة الإمام الحسين عليه السلام! «۴»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۳

فإذا كان جلُّ رؤساء الأخماس فى البصـرة وأشرافها بين متباعد عن أهل البيت عليهم السلام مجانب لهم، وبين متردّد متذبذب فى حبّه إياهم وموقفه منهم، وبين متربّص خائن طامع فى دنيا أعدائهم، فما هو السرّ فى كتابة الإمام عليه السلام إلى مثل هؤلاء!؟

لعلّ مجموعة الأسباب التالية هى التى دعت الإمام عليه السلام إلى كتابة هذه الرسالة إلى رؤساء الأخماس والأشراف فى البصرة:

أ- كـانت مخاطبـة القبائـل فى ذلـك الوقت لاتتمُّ ولاتثمر إلّا من خلال رؤسائها وأشـرافها ذلك لأنّ أفراد كلِّ قبيلـة كانوا لايتجاوزون رؤساءهم وأشـرافهم فى إتخاذ أى موقف وقرار، والمتأمّل فى خطبـة يزيـد بن مسـعود النهشـلى فى بنى تميم وبنى حنظلـة وبنى سـعد، وردّهم عليه يرى هذه الحقيقة واضحة جليّة.

ب- إلقاء الحجّة على جميع أهل البصرة بما فيهم رؤساؤهم وأشراف

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۴

قبائلهم، خصوصاً وأنّ البصـرة برغم سـيطرة ابن زياد عليها- ما يزيـد على خمس سـنين حتى ذلك الوقت- لم تكن قـد انغلقت لصالح الأمويين كما هو حال مـدن الشام، إذ كان فيها أشـراف ورؤساء يعرفون حقّانيـة أهل البيت عليهم السـلام، وأفئدتهم تهوى إليهم، كما كان فى البصـرة معارضـة شـيعية لها اجتماعاتها ومنتدياتها السـريّة، إذن ففى مبادرة الإمام عليه السـلام فى الكتابة إلى كلّ هؤلاء إلقاء للحجّة عليهم وقطع العذر عليهم بالقول إنهم لم ينصروا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله لأنهم لم يعلموا بقيامه ونهضته.

ج- قد تُثمر رسالة الإمام عليه السـلام صدّ المتردّد من الأشـراف ورؤساء الأخماس عن الإنضمام إلى أىّ فعل مُضادّ لحركة الإمام عليه السـلام، وقد يعتزل هو وكثير من أفراد قبيلته فلا ينصرون الحكم الأموىّ، وهذا على أيّة حال أفضل من اشتراكهم فى القتال ضدّ الإمام عليه السلام.

د- من ثمرات هذه الرسالة إعلام البصـريين الراغبين فى نصـرته عليه السـلام بأمر نهضـته، وتعبئتهم لذلك من خلال أشرافهم الموالين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى وأمثاله.

۲)- فى قصـة رسالـة الإمـام الحسـين عليه السـلام إلى رؤسـاء الأخمـاس فى البصـرة وإلى أشـرافها، لم يوفّق أحـدٌ منهم إلى المـوقف المحمود إلّا يزيد بن مسـعود النهشـلى (ره)، الذى كشفت خطبته فى بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، ورسالته الى الإمام عليه السلام، عن أنّه كان مؤمناً بمقام أهل البيت عليهم السـلام عامـة وبمقام الإمام الحسـين عليه السـلام خاصـة، وكان عارفاً بحقّهم، ويكفيه مجداً وفخراً مـوقفه الرائـع هـذا، كمـا يكفيه سـعادة دعـاء الإمـام عليه السـلام له: «آمنـك اللّه يـوم الخـوف، وأعزّك، وأرواك يوم العطش الأكبر!».

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۵

لكنّ ممّا يؤسف له أننا لم نعثر فى كتب التواريـخ والتراجم على ما يزيـدنا معرفـة بهـذا الرجل الشـريف الوجيه الماجـد عدا ماورد فى قصة هذه الرسالة، وعدا أنّه أرسل جوابه إلى الإمام عليه السـلام مع الحجّاج بن بدر التميمى السعدى (رض)، الذى أوصل الرسالة إلى الإمام عليه السلام بمكّة، وبقى معه ورافقه إلى كربلاء واستشهد بين يديه يوم عاشوراء. «۱»

۳)- قـال يزيـد بن مسـعود النهشـلى (ره) فى خطبته: «إنّ معاويـة مـات، فـأهون به واللّه هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قـد انكسـر باب الجور والإثم، وتضعضـعت أركان الظلم ...»، والظاهر من طبيعـة هذه العبائر أنّ يزيد النهشـلى (ره) كان يقرّر لجموع بنى تميم حقيقة مسلّمة

عندهم وعند جميع أهل البصرة، فى أنّهم كانوا قد عانوا الأمرّينَ من ظلم وجور ومآثم معاوية وولاته عليهم.

إنّ الكوارث التى أصابت البصريين على يد ولاة الأمويين لم تكن اقلّ من تلك التى أصابت الكوفة طيلة حوالى عشرين من السنوات العجاف من بعد شهادة أمير المؤمنين علىٍّ عليه السلام.

هذا سمرة بن جندب مثلًا، «۲» كان «فى زمن ولايته البصرة يخرج من داره مع

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۷

خاصته ركباناً بغارة، فلا يمرُّ بجيوان ولاطفل ولاعاجز ولاغافل إلّا سحقه هو واصحابه بخيلهم! وهكذا إذا رجع! ولايمرُّ عليه يوم يخرج به إلّا وغادر به قتيلًا أو أكثر!»، «۱» و «قتل من أهل البصرة ثمانية آلاف رجل من الشيعة فى ستّة أشهر، وهى ايّام إمارته على البصرة!». «۲»

ويروى الذهبى، عن عامر بن أبى عامر قال: «كنّا فى مجلس يونس بن عبيد، فقالوا: ما فى الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه- يعنون دار الإمارة- قُتل بها سبعون ألفاً! فسألتُ يونس فقال: نعم، من بين قتيل وقطيع! قيل: من فعل ذلك!؟ قال: زياد وإبنه وسمرة ..». «۳»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۸

وروى الطبرى عن محمّد بن سليم قال: «سألتُ أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يُحصى من قتلهم سمرة!؟ إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، وقد قتل ثمانية آلاف من الناس! فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم ما خشيت!». «۱»

من هنا يمكننا أن نستفيد بُعداً آخر ودافعاً جديداً يُضاف الى مجموعة الدوافع التى كانت من وراء كتابة الإمام عليه السلام رسالته إلى أهل البصرة، وهو أنّ أهل البصرة- كما أهل الكوفة- أولى من غيرهم فى مجال المبادرة الى النهوض مع الإمام عليه السلام والجهاد بين يديه لإزالة الظلم والجور وإحقاق الحقّ، لأنهم عانوا الأمرَّين من جور وظلم بنى أميّة الذين قتلوا الآلاف منهم، ولعلّ يزيد بن مسعود النهشلى (ره) كان ايضاً قد اراد هذا المعنى فى مخاطبته بنى تميم حينما ابتدأ خطبته بتذكيرهم بهذه الحقيقة.

المؤتمر الشيعىّ السرّىُّ فى البصرة ..... ص : ۳۶۸

اشارة

روى الطبرى عن أبى مخارق الراسبى قال: «اجتمع ناسٌ من الشيعة بالبصرة فى منزل امرأة من عبدالقيس يقال لها ماريّة «۲» ابنة سعد- أو- منقذ أيّاماً، وكانت

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۶۹

تتشيّع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه!

وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ الطريق!

قال: فأجمع يزيد بن نبيط «۱» الخروج وهو من عبدالقيس الى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيّكم يخرج معى؟ فانتدب معه إبنان له: عبدالله وعبيد الله، فقال لأصحابه فى بيت تلك المرأة: إنّى قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج.

فقالوا له: إنّا نخاف عليك اصحاب ابن زياد. فقال: إنّى واللّه لو قد استوت اخفافهما بالجُدد لهان علىَّ طلب من طلبنى!

قال: ثمّ خرج فقوىَ فى الطريق حتّى انتهى الى حسين عليه السلام فدخل فى رحله بالأبطح ...». «۲»

إشارة: ..... ص : ۳۶۹

شهدت البصرة فى السرّ انعقاد هذا المؤتمر الشيعىّ فيها فى الأيام التى كانت تشهد أيضاً فى العلانية تحرّكات رؤساء الأخماس والأشراف على أثر وصول رسالة الإمام عليه السلام إليهم، وكان الفارق كبيراً جدّاً بين المشهدين!

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۰

ذلك لأنها شهدت فى تحرّكات الرؤساء والأشراف: تردّداً فى نصرة الإمام عليه السلام، وشهدت إعراضاً عنه، وخيانة وغدراً! أللّهمّ إلّا ماشهدته فى تحرّك يزيد بن مسعود النهشلى (ره) من تحريك وتوجيه المشاعر القبلية- من خلال مزجها بمشاعر دينية- باتجاه نصرة الامام عليه السلام.

لكنّ ما شهدته البصرة فى السرّ كان شهوداً من نوع آخر!

إذ شهدت اجتماعاً استمرّ أيّاماً فى السرّ، لم يقم على أساس الإنتماء القبلى، فالمجتمعون كانوا من قبائل شتّى، بل قام على أساس الولاء لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وقد تذاكر فيه المجتمعون أمر الإمامة وما آل إليه الوضع الراهن يومذاك، «۱» وتداولوا ما يجب عليهم القيام به أداءً للتكليف الدينى «فأجمع رأى بعضٍ على الخروج فخرج، وكتب بعض بطلب القدوم»، «۲» وبالفعل فقد نتج عن هذا المؤتمر المبارك أن انطلقت كوكبة كريمة من البصريين برغم أعين الرصد وحواجز الحصار، تتجّه مسرعة إلى مكّة المكرّمة لتلتحق بالركب الحسينى ولتفوز الفوز العظيم.

خمسمائة من البصريين فى سفر ابن زياد الى الكوفة! ..... ص : ۳۷۰

اشارة

روى الطبرى عن عيسى بن يزيد الكنانى قال: «لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيدالله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبدالله بن الحارث بن

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۱

نوفل، «۱» وشريك بن الأعور، «۲» وكان شيعة لعلىّ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك، فيقال إنه تساقط غمرة ومعه ناس، ثمَّ سقط عبدالله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوى عليهم عبيدالله ويسبقه الحسين الى الكوفة! فجعل لايلتفت إلى من سقط، ويمضى حتّى ورد القادسية، وسقط مهران مولاه فقال: أيا

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۲

مهران، على هذه الحال إن أمسكتَ عنك حتى تنظر الى القصر فلك مائة ألف! قال: لا واللّه ما استطيع. فنزل عبيد اللّه فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليمن، ثمّ اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته ثمّ انحدر راجلًا وحده ...». «۱»

إشارة: ..... ص : ۳۷۲

يبدو من ظاهر نصّ هذا الخبر أنّ عدد الشيعة الذين صحبوا ابن زياد الى الكوفة فى هذا السفر لم يكن قليلًا- إن لم يكونوا هم الأكثر- فقد تساقط شريك الحارثى ومعه ناس! وكذلك تساقط عبداللّه يتأخّر إبن الحارث ومعه ناس! راجين أن يتأخّر ابن زياد لأجلهم فلا

يسبقُ الإمام عليه السلام فى الوصول الى الكوفة!

تُرى هل كان هذا التساقط أفضل الوسائل لتعويق ابن زياد ومنعه من دخول الكوفة قبل الإمام عليه السلام!؟

وإذا كان شريك ومن معه من الشيعة يعرفون الدور الخطير الذى سيقوم به ابن زياد لاستباق حركة الأحداث فى الكوفة وإدارتها لصالح يزيد! أفلم يكن من الراجح أن يقتلوا ابن زياد بأيّة صورة، سرّاً أو علناً، وإن أدّى ذلك إلى قتل أحدهم أو جماعة منهم أو جميعهم بعد ذلك، ترجيحاً لمصلحة الإسلام العُليا!؟

أم أننا هنا ايضاً أمام صورة أخرى من صور الوهن والشلل النفسى الذى أصاب الأمّة وتفشّى فيها، فأصاب هؤلاء أيضاً، فرأوا أنّ أقصى ما يمكنهم المبادرة إلى هو التساقط فى الطريق فقط! متمنّين للإمام عليه السلام أن ينصره الله على أن لاتتعرّض دنياهم لأىّ ضرر أو خطر!

إننا لانشكُّ فى إخلاص شريك وأمثال شريك من شيعة علىّ عليه السلام، ولكننا

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۳

نعجب من إقتصارهم على التفكير فى التساقط فقط! وعدم تدبيرهم لخطّة يتخلّصون بها من ابن زياد ويخلّصون الأمّة منه فى ثنايا الطريق من البصرة إلى الكوفة! وربّما كان قتل ابن زياد بتدبير خفىّ غامض فى ليلة ظلماء فى هذه الرحلة أيسر بكثير- من حيث الإعتبارات العرفيّة والتبعات- من قتله فى بيت هانى بن عروة على ضوء الخطّة التى أقترحها شريك نفسه يومذاك! نقول هذا كلّه بحسب الموازين والحسابات الظاهرية، ونعلم أنّ إرادة الله وتقديراته شىء آخر!

الملتحقون بالركب الحسينىّ فى مكّة المكرّمة ..... ص : ۳۷۳

اشارة

إلتحق بالإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة مجموعة من أخيار هذه الأمّة وأبرارها، فانضمّوا إلى الركب الحسينىّ المتشكّل آنذاك ممن كان قد قُدم مع الإمام عليه السلام من المدينة المنوّرة، ومنهم من لازم الإمام عليه السلام حتّى استشهد معه فى كربلاء يوم عاشوراء، ومنهم من أرسله الإمام عليه السلام فقُتل أو عاد إليه، ويمكننا أن نصنّفهم حسب الأمكنة التى انطلقوا منها للإلتحاق بالإمام عليه السلام فى مكّة المكرّمة الى:

۱)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة

۲)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة ولم تحدد التواريخ والتراجم أمكنة انطلاقهم.

۳)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل الكوفة.

۴)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل البصرة.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۴

۱) - الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل المدينة: ..... ص : ۳۷۴

روى ابن عساكر قائلًا: «وبعث الحسين إلى المدينة فقدم عليه من خفَّ معه من بنى عبدالمطّلب وهم تسعة عشر رجلًا، ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم ..». «۱»

ولايخفى أنّ متن هـذه الروايـة لا يحـدّد لنا أسـماء هؤلاء الملتحقين من بنى هاشم! كما أنّه «لم يرد فى الكتب التاريخية ذكر تفصيلىٌّ لأسـماء الهاشـميين فى الركب الحسينىّ القاصـد من المدينة الى مكّة المكرّمة، بل ورد فى أغلب هذه الكتب ذكر إجمالى لمن خرج من الهاشـميين مع الإمام عليه السلام من المدينة ..»، «۲» ولذا فقد يعسـر تماماً على المتتبّع أن يحدّد بدقّة كاملة أسماء جميع بنى هاشم الـذين خرجوا مع الإمام عليه السـلام من المدينة، فيعرف على ضوء هذا أسـماء من التحقوا به عليه السـلام فى مكّة. ولذا فالمسألة بهذا الصدد تبقى على إجمالها وإبهامها!

نعم، تشـير مجموعة من الدلائل التأريخية «۳» إلى أنّ الإمـام عليه السـلام كان قـد خرج من المدينـة المنوّرة بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الإمام الحسن عليه السـلام، وجميع بقيّة إخوته لأبيه عدا محمّد بن الحنفيّة (رض)، وعدا عمر الأطراف كما هو الظاهر من سيرته. «۴»

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۵

وتشير هذه الدلائل «۱» أيضاً إلى أنّ مسـلم بن عقيل عليه السـلام كان معه أيضاً فى خروجه من المدينـة. ومع هـذا فإنّ ذلك لايُخرج القضـية من الإجمال الى التفصـيل التام، ذلك لأننا مثلًا لانسـتطيع القول- على ضوء ما عندنا من وثائق تأريخية- بالنسـبة إلى آل عقيل الذين كانوا مع الإمام عليه السلام فى مكّة: مَن منهم التحق به فى مكّة، ومَن منهم جاء معه من المدينة.

نعم، تفيـد بعض المصـادر التاريخيـة أنّ ولـدى عبـدالله بن جعفر: عونـاً ومحمّـداً كانـا مع أبيهما فى القـدوم الى مكّـة للقاء الإمام عليه السـلام، ثمّ التحقا بالركب الحسينى أوائل خروجه من مكّة المكرّمة، «۲» وتفيد مصادر أخرى أنّ أباهما أرسـلهما من المدينة الى مكّة بكتاب الى الامام عليه السلام، وفى مكّة إلتحقا بالإمام عليه السلام. «۳»

هـذا غايـة مـا اتّضـح لنا حول من التحق بالإمام عليه السـلام فى مكّـة المكرّمـة من بنى هاشم، أمّا من غير بنى هاشم فلا نعلم أنّ أحـداً إلتحق بالإمـام عليه السـلام فى مكّـة قادمـاً إليه من المدينـة المنوّرة سوى مـانظنّه ظنّاً بالنسـبة إلى جُنادة بن كعب بن الحرث الأنصارى الخزرجى (رض)، الذى التحق مع عائلته بالإمام عليه السـلام فى مكّة المكرّمة، ذلك لأننا لم نعثر فى التواريخ على أنّه كان من سـكنة مكّـة أو الكوفـة أو البصـرة أو حاضـرة أخرى من حواضـر العالم الإسـلامى آنذاك، وربّما كان مع عائلته من المعتمرين، أو ممّن أراد الحجّ سـنة ستين للهجرة، فالتحق بالإمام عليه السـلام فى مكّة وصـحبه إلى كربلاء، وكذلك الأمر بالنسـبة إلى عبدالرحمن بن عبدربّ الأنصارى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۶

الخزرجى (رض)، لكننا صنّفناهما مع عمّار بن حسّان الطائى (رض) تحت العنوان التالى، مع أننا نظنّ ظنّاً قوّياً أيضاً أنّ عمّار بن حسّان الطائى (رض) كان من سكنة الكوفة.

۲)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة ولم تحدّد التواريخ والتراجم أمكنة إنطلاقهم ..... ص: ۳۷۶

: جنادة بن كعب بن الحرث الأنصارىّ الخزرجى (رض): ..... ص: ۳۷۶

قال المحقّق السـماوى (ره): «كان جنادة ممّن صحب الحسين عليه السلام من مكّة، وجاء معه هو وأهله، فلمّا كان يوم الطفّ تقدّم الى القتال فقُتل فى الحملة الأولى.». «۱»

وذكرته بعض المصادر التأريخيـة بإسم (جنادة بن الحارث الأنصارى)، «۲» كما ذكرت ابنه الذى استشهد بعده فى الطفّ بإسم (عمرو بن جنادة)، أما السماوىّ (ره) فقد ذكر ابنه بإسم (عمر بن جنادة). «۳»

لكنّ السـماوى (ره) لمّـا ذكر أسـماء أنصـار الإمـام عليه السـلام الـذين التحقوا بالإمام عليه السـلام مع عوائلهم، ذكر جنادة هـذا باسـم

(جنادة بن الحرث السلمانى). «۴»

ويرى النمازى إتحاد جنادة بن الحرث الأنصارى مع جنادة بن كعب بن الحارث الأنصارى، ويراه غير جنادة بن الحارث السلمانى الأزدى الذى عدّه المامقانى، من أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله وأميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يجد النمازى فى زيارة الناحية المقدسة أو فى الرجبية ذكراً لإسم جنادة- خلافاً لما قال المامقانىّ «۵»-

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۷

بل وجد فى الموضعين: السلام على حيّان بن الحارث السلمانى الأزدى، «۱» وهذا هو الوارد فى متن الزيارتين بالفعل. «۲»

وروى فى بعض الكتب أنّ جُنادة (رض) قُتل بين يدى الإمام عليه السلام فى الحملة الأولى، «۳» كما روى فى بعض كتب المقاتل هكذا: «ثُمّ خرج من بعده- أى بعد نافع بن هلال (رض)- جنادة بن الحرث الأنصارى وهو يقول:

أنا جنادة، أنا ابن الحارث لستُ بخوّار ولا بناكثِ

عن بيعتى حتى يقوم وارثى من فوق شلوٍ فى الصعيد ماكثِ

فحمل ولم يزل يُقاتل حتى قُتل.

ثمّ خرج من بعده عمرو بن جنادة وهو يُنشد ويقول:

أضق الخناق من ابن هند وارمه فى عقره بفوارس الأنصار

ومهاجرين مخضّبين رماحهم تحت العجاجة من دم الكفّار

خضبت على عهد النبىّ محمّد فاليوم تُخضب من دم الفجّار

واليوم تُخضب من دماء معاشرٍ رفضوا القُران لنصرة الأشرار

طلبوا بثأرهم ببدرٍ وانثنوا بالمرهفات وبالقنا الخطّار

واللّه ربّى لا أزال مضارباً للفاسقين بمرهف بتّار

هذا علىَّ اليوم حقٌّ واجب فى كلّ يوم تعانق وحوارِ

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۸

ثُمَّ حمل فقاتل حتى قُتل.». «۱»

وقال السيد المقرّم (ره): «وجاء عمرو بن جنادة الأنصارى بعد أن قُتل أبوه، وهو ابن إحدى عشرة سنة، يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلامٌ قُتل ابوه فى الحملة الأولى، ولعلّ أمّه تكره ذلك. قال الغلام: إنّ أمّى أمرتنى!. فأذن له، فما اسرع أن قُتل ورمى برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلًا قريباً منها فمات! وعادت الى المخيّم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

أنا عجوز فى النسا ضعيفه خاوية بالية نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه دون بنى فاطمة الشريفه

فردّها الحسين الى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين.». «۲»

ولعلّ عمرو بن جنادة هو الشاب المقصود فى الرواية التالية- لمشتركاتها الكثيرة مع الرواية السابقة- تقول هذه الرواية: «ثمّ خرج شاب قُتل أبوه فى المعركة، وكانت أمّه معه، فقالت له أمّه: أخرج يا بُنَىَّ وقاتل بين يدى ابن رسول الله! فخرج، فقال الحسين عليه السلام: هذا شابٌ قُتل أبوه ولعلَّ أمّه تكره خروجه. فقال الشاب: أمّى أمرتنى بذلك!. فبرز وهو يقول:

أميرى حسينٌ ونِعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

علىٌّ وفاطمةٌ والداه فهل تعلمون له من نظير

له طلعةٌ مثل شمس الضحى له غرّة مثل بدرٍ منير

وقاتل حتّى قُتل، وجُزَّ رأسه ورُمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمّه رأسه وقالت: أحسنتَ يا بُنيَّ يا سرور قلبى ويا قُرّة عينى. ثُمَّ رمت برأس ابنها

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۷۹

رجُلًا فقتلته، وأخذت عمود خيمة، وحملت عليهم وهى تقول:

أنا عجوزٌ سيّدى ضعيفه خاوية باليةٌ نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه دون بنى فاطمة الشريفه

وضربت رجلين فقتلتهما! فأمر الحسين عليه السلام بصرفها، ودعا لها.». «۱»

: عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصارى الخزرجى (رض): ..... ص : ۳۷۹

قال المحقّق السماوى (ره): «كان صحابياً، له ترجمة ورواية، وكان من مخلصى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن عقدة: حدّثنا محمد بن إسماعيل بن إسحق الراشدى، عن محمّد بن جعفر النميرى، عن علىّ بن الحسن العبدى، عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد علىٌّ عليه السلام الناس فى الرحبة: من سمع النبىّ صلى الله عليه و آله قال يوم غدير خمٍّ ما قال إلّا قام ولايقوم إلّا من سمع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يقول. فقام بضعة عشر رجلًا فيهم أبوأيّوب الأنصارى، وأبو عمرة بن عمرو بن محصن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت، وحبشى بن جنادة السلولى، وعبيد بن عازب، والنعمان بن عجلان الأنصارى، وثابت بن وديعة الأنصارى، وأبو فضالة الأنصارى، وعبدالرحمن بن عبدربّ الأنصارى، فقالوا:

نشهد أنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «ألا إنّ اللّه عزّ وجلّ وليّى، وأنا وليّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلىٌّ مولاه، أللّهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه، وأعِنْ من أعانه». «۲»

وقال صاحب الحدائق: وكان علىٌّ بن أبى طالب عليه السلام هو الذى علّم

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۰

عبدالرحمن هذا القرآن وربّاه. «۱»

وكان عبدالرحمن جاء مع الإمام الحسين عليه السلام فيمن جاء معه من مكّة، وقُتل بين يديه فى الحملة الأولى. «۲»

: عمّار بن حسّان الطائى (رض): ..... ص : ۳۸۰

قال المامقانى (ره): «هو عمّار بن حسّان بن شريح، قال علماء السير إنّه كان من الشيعة المخلصين فى الولاء، ومن الشجعان المعروفين، صحب الحسين عليه السلام من مكّة ولازمه حتى أتى كربلاء، فلمّا شبّ القيام بوم الطفّ تقدّم واستشهد بين يديه رضوان الله عليه، ومع شرف الشهادة نال شرف تخصيصه بالسلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة». «۳»

وقال المحقّق السماوىّ (ره): «كان عمّار من الشيعة المخلصين فى الولاء، ومن الشجعان المعروفين، وكان أبوه حسّان ممن صحب أميرالمؤمنين عليه السلام وقاتل بين يديه فى حرب الجمل، وصفين، فقُتل بها، وكان عمّار صحب الحسين عليه السلام من مكّة ولازمه حتى قُتل بين يديه. قال السروى: قُتل فى الحملة الأولى. «۴»

وورد السلام على عمّار فى زيارة الناحية المقدّسة هكذا: «السلام على عمّار

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۱

بن حسّان بن شريح الطائى»، «۱» وكذلك فى الزيارة الرجبيّة وقد احتمل التسترى «۲» إتحاد عمار بن حسّان الطائى (رض) مع عمّار

بن أبى سلامة الدالانى (رض)، لكنّ هذا الإحتمال غير وارد، لأنّ السلام قد ورد فى زيارة الناحية المقدسة على كلٍّ منهما بإسمه. «۳»

۲) – الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل الكوفة: ..... ص : ۳۸۱

: بُريرُ بن خُضير الهمدانى المشرقى (رض): ..... ص : ۳۸۱

كان برير شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، من شيوخ القُرّاء، ومن أصحاب أمير المومنين عليه السلام، وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين، وقال أهل السير: إنّه لمّا بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكّة ليجتمع بالحسين عليه السلام، فجاء معه حتى استشهد.

وروى الطبرىّ عن السروىّ أنّ الحرّ لمّا ضيّق على الإمام الحسين عليه السلام جمع الإمام عليه السلام أصحابه فخطبهم بخطبته التى قال فيها «أمّا بعدُ، فإنّ الدنيا قد تغيّرت ...»، فقام إليه جماعة من أنصاره فتكلموا وأظهروا استعدادهم وإصرارهم على الموت دونه، وكان برير من هؤلاء المتكلّمين حيث قام فقال: «واللّه يا ابن رسول الله لقد منّ اللّه بك علينا أن نقاتل بين يديك، تُقطّعُ فيك أعضاؤنا، حتى يكون جدّك يوم القيامة بين أيدينا شفيعاً لنا، فلا أفلح قوم ضيّعوا ابن بنت نبيّهم، وويل لهم ماذا يلقون به الله!؟ وأُفٍّ لهم يوم ينادون بالويل والثبور فى نار جهنّم!

وقال أبو مخنف: أمر الحسين عليه السلام فى اليوم التاسع من المحرّم بفسطاط فضُرب، ثمّ أمر بمسكٍ فميث فى جفنة عظيمة، فأطلى بالنورة، وعبدالرحمن بن

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۲

عبد ربّه، وبرير على باب الفسطاط تختلف مناكبهما، فازدحما أيّهما يُطلى على أثر الحسين عليه السلام، فجعل بُرير يُهازل عبدالرحمن ويضاحكه.

فقال عبدالرحمن: دعنا، فواللّه ما هذه ساعة باطل!

فقال بُرير: والله، لقد علم قومى أنّى ما أحببت الباطل شاباً ولاكهلًا، ولكنّى والله لمستبشرٌ بما نحن لاقون، واللّه إنَّ بيننا وبين الحور العين إلّا أن نحمل على هؤلاء فيميلون علينا بأسيافهم، ولوددتُ أن مالوا بها الساعة! «۱»

: عابس بن أبى شبيب الشاكرى (رض): ..... ص : ۳۸۲

وورد إسمه فى زيارة الناحية المقدّسة والزيارة الرجبية هكذا: عابس بن شبيب الشاكرىّ. «۲»

«كان عابس من رجال الشيعة، رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجّداً، وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أميرالمؤمنين عليه السلام، وفيهم يقول عليه السلام يوم صفين: لو تمّت عدّتهم ألفاً لعُبد اللّه حقّ عبادته! وكانوا من شجعان العرب وحماتهم، وكانوا يُلقّبون فتيان الصباح.». «۳»

ولمّا كتب مسلمٌ عليه السلام إلى الإمام عليه السلام من الكوفة يطلب إليه التعجيل بالقدوم، أرسل كتابه مع عابس (رض) وصحبه شوذب مولاه (رض)، ثمّ بقيا مع الإمام عليه السلام فى مكّة، وصحباه فى مسيره الى كربلاء، واستشهدا بين يديه. وروى أبو مخنف أنه لما التحم القتال فى يوم عاشوراء، وقُتل بعض أصحاب الحسين عليه السلام جاء عابس الشاكرى ومعه شوذب.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۳

فقال لشوذب: «يا شوذب، ما فى نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع!؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و آله حتّى أُقتل!

فقال: ذلك الظنّ بك، أمّا الآن فتقدّم بين يدى أبى عبداللّه حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتّى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معى الساعة أحدٌ أنا أولى به منّى بك لسرّنى أن يتقدّم بين يدى حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغى لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما نقدر عليه، فإنه لاعمل بعد اليوم، وإنّما هو الحساب!». «۱»

ولمّا تقدّم عابس (رض) إلى الإمام عليه السلام يستأذنه فى القتال قال: «يا أبا عبداللّه، أما واللّه ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولابعيد أعزّ علىَّ ولا أحبّ إلىَّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشىء أعزّ علىَّ من نفسى ودمى لفعلته، السلام عليك يا أبا عبداللّه، أشهد أنىّ على هداك وهدى أبيك. ثمّ مشى بالسيف مصلتاً نحو القوم وبه ضربة على جبينه». «۲»

وروى أبومخنف عن ربيع بن تميم الهمدانى أنه قال: «لمّا رأيتُ عابساً مقبلًا عرفته، وكنت قد شاهدته فى المغازى والحروب وكان أشجع النّاس فصحت: أيها الناس، هذا أسدُ الأُسود! هذا ابن أبى شبيب! لايخرجنّ إليه أحدٌ منكم!. فأخذ عابس ينادى: ألا رجلٌ لرجل!؟

فقال عمر بن سعد: إرضخوه بالحجارة!، قال: فرمى بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره! ثمّ شدَّ على الناس، فوالله لرأيته يكردُ «۳» أكثر من مائتين من الناس! ثمّ إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقُتل. قال: فرأيت رأسه فى

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۴

أيدى رجال ذوى عدّة! هذا يقول أنا قتلته، وهذا يقول أنا قتلته! فأتوا عمر بن سعد فقال: لاتختصموا، هذا لم يقتله سنان واحد! ففرّق بينهم.». «۱»

: شوذب بن عبداللّه الهمدانى الشاكرى (رض): ..... ص : ۳۸۴

وهو مولى لشاكر، «۲» «وكان شوذب من رجال الشيعة ووجوهها، ومن الفرسان المعدودين، وكان حافظاًللحديث حاملًا له عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال صاحب الحدائق الوردية:

وكان شوذب يجلس للشيعة فيأتونه للحديث وكان متقدّماً فى الشيعة (وجهاً فيهم).». «۳»

وقد صحب شوذب عابس بن أبى شبيب الشاكرى مولاه من الكوفة إلى مكّة بعد قدوم مسلم الكوفة بكتاب لمسلم ووفادة على الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، وبقى معه حتى جاء إلى كربلاء، «۴» ولمّا التحم القتال حارب أوّلًا، ثم دعاه عابس، فاستخبره عمّا فى نفسه، فأجاب بحقيقتها- كما مرَّ- فتقدّم الى القتال، وقاتل قتال الأبطال، ثمّ قُتل رضوان الله تعالى عليه. «۵»

: قيس بن مسهّر الصيداوى (رض): ..... ص : ۳۸۴

هو قيس بن مُسَهَّر بن خالد بن جندب ...

بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، الأسدى الصيداوى، وصيدا بطنٌ من أسد، كان قيس رجلًا شريفاً فى بنى الصيدا شجاعاً مخلصاً فى محبّة أهل البيت عليهم السلام،

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۵

وكان رسول أهل الكوفة مع الأرحبى والسلولى الى الإمام عليه السلام فى مكّة فى الدفعة الثانية من رسائلهم إليه، وقد فصّلنا القول فى

قصته وترجمته فى الفصل الأوّل. «۱»

: عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى (رض): ..... ص : ۳۸۵

هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن بن أرحب ... وبنو أرحب بطنٌ من همدان، كان عبدالرحمن وجهاً تابعياً شجاعاً مقداماً.

قال أهل السير: أوفده أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام فى مكّة مع قيس بن مسهّر ومعهما كتب نحو من ثلاث وخمسين صحيفة .. وكانت وفادته ثانية الوفادات، فإنّ وفادة عبدالله بن سبع وعبدالله بن وال الأولى، ووفادة قيس وعبدالرحمن الثانية، ووفادة سعيد بن عبدالله الحنفى وهانى بن هانى السبعى الثالثة، وقال أبومخنف: ولمّا دعا الحسين مسلماً وسرّحه قبله إلى الكوفة سرّح معه قيساً وعبدالرحمن وعمارة بن عبيد السلولى، وكان من جملة الوفود، ثمَّ عاد عبدالرحمن إليه فكان من جملة أصحابه. «۲»

وقال المامقانى: «وهو أحد النفر الذين وجههم الحسين عليه السلام مع مسلم، فلمّا خذلوا أهل الكوفة وقُتل مسلم ردَّ عبدالرحمن هذا إلى الحسين عليه السلام من الكوفة ولازمه حتى نال شرفى الشهادة وتسليم الإمام عليه السلام فى زيارتى الناحية المقدّسة والرجبية رضوان الله عليه.». «۳»

وعلى هذا يكون لعبدالرحمن الأرحبى (رض) إلتحاقان بالإمام عليه السلام، الأوّل

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۶

فى مكّة، والثانى بعد خروجه عليه السلام من مكّة، لأنّ مقتل مسلم عليه السلام كان عند أوائل خروج الإمام عليه السلام منها الى العراق.

«حتى إذا كان اليوم العاشر، ورأى الحال، استأذن فى القتال، فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدّم يضرب بسيفه فى القوم وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنّه صبراً عليها لدخول الجنّه

ولم يزل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه.». «۱»

وقد ورد فى زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبى.»، «۲» أما فى الزيارة الرجبية فقد ورد السلام هكذا: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله الأزدى.»، «۳» والظاهر إتحادهما لأنه ليس فى شهداء الطفّ إلّا رجل واحدٌ اسمه عبدالرحمن بن عبدالله. فتأمل.

هذا وقد تفرّد الشيخ المفيد (ره) فى ذكر أنّ الذين بعثهم أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام فى ثانى وفادة هم: قيس بن مسهّر الصيداوى، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا شدّاد الأرحبى، (بدلًا من عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى)، وعمارة بن عبدالله السلولى، كما قال الشيخ المفيد (ره) إنّ الإمام عليه السلام دعا مسلماً عليه السلام فسرّحه إلى الكوفه مع هؤلاء أيضاً. «۴»

وهو خلاف ما ورد فى سائر التواريخ وخلاف الوارد فى زيارتى الناحية والرجبية.

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۷

: الحجّاج بن مسروق الجعفى (رض): ..... ص : ۳۸۷

وهو الحجّاج بن مسروق بن جعف بن سعد العشيرة المذحجى الجعفى، وكان الحجّاج من الشيعة، صحب أمير المؤمنين عليه السلام فى الكوفة، ولمّا خرج الحسين عليه السلام الى مكّة خرج من الكوفة الى مكّة لملاقاته، فصحبه وكان مؤذّناً له فى أوقات الصلوات، وهو الذى أرسله الإمام عليه السلام مع يزيد بن مغفل الجعفى فى منطقة قصر بنى مقاتل إلى عبيد الله بن الحرّ الجعفى يدعوانه إليه

عليه السلام.

وقال ابن شهراشوب وغيره: لمّا كان اليوم العاشر من المحرّم، ووقع القتال تقدّم الحجّاج بن مسروق الجعفى الى الحسين عليه السلام واستأذنه فى القتال، فأذن له، ثمّ عاد إليه وهو مخضّب بدمائه، فأنشده:

فدتك نفسى هادياً مهديّا اليوم ألقى جدّك النبيّا

ثمّ أباك ذا الندى عليّا ذاك الذى نعرفه الوصيّا

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، وأنا ألقاهما على أثرك.

فرجع يُقاتل حتّى قُتل رضى اللّه عنه. «۱»

: يزيد بن مغفل الجعفى (رض): ..... ص : ۳۸۷

وهو يزيد بن مغفل بن جعف بن سعد العشيرة المذحجى الجعفى، فهو ابن عمّ الحجّاج بن مسروق (رض)، ولقد كان يزيد بن مغفل أحد الشجعان من الشيعة، ومن الشعراء المجيدين، وكان من أصحاب علىّ عليه السلام، حارب معه فى صفّين، وبعثه إلى حرب الخريّت من الخوارج، فكان على ميمنة معقل بن قيس عندما قتل الخريّت.

وروى عبدالقادر البغدادى صاحب كتاب خزانة الأدب: «۲» أنّه كان مع

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۸

الحسين عليه السلام فى مجيئه من مكّة، وأرسله مع الحجّاج الجعفى الى عبيد الله بن الحرّ الجعفى عند قصر بنى مقاتل.

وقال المرزبانى فى معجم الشعراء: كان من التابعين، وأبوه من الصحابة. «۱»

لكنّ المامقانى ذكر «أنّه أدرك النبىّ صلى الله عليه و آله، وشهد القادسية فى عهد عمر، وكان من أصحاب أمير المؤمنين يوم صفين، ثمّ بعثه فى وقعة الخوارج تحت إمارة معقل بن قيس.». «۲»

وذكر أهل المقاتل والسير أنّه لمّا التحم القتال فى اليوم العاشر إستأذن يزيد بن مغفل الحسين عليه السلام فى البراز فأذن له، فتقدّم وهو يقول:

أنا يزيد وأنا ابن مغفلِ وفى يمينى نصل سيف منجل

أعلو به الهامات وسط القسطل عن الحسين الماجد المفضّل

ثمّ قاتل حتى قُتل. «۳»

إذن فمجموع الأبرار من هذه الأمّة من أهل الكوفة الذين التحقوا بالإمام عليه السلام فى مكّة- على ضوء هذه المتابعة- سبعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشى أنّ الصحابى الجليل أنس بن الحارث الكاهلى (رض)- وهو من سكنة الكوفة- قد لازم الحسين عليه السلام وصحبه من مكّة. «۴» ولعلّ الشيخ القرشى عثر على وثيقة تأريخية تقول بذلك، أو لعلَّ هذا من سهو قلمه الشريف، لأنّ الذى عليه أهل السير أنّ أنس بن الحارث الكاهلى قد إلتحق

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۸۹

بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكّة (فى العراق)، «۱» أو عند نزوله كربلاء. «۲»

۳)- الملتحقون به عليه السلام فى مكّة من أهل البصرة: ..... ص : ۳۸۹

اشارة

ومن أهل البصرة كوكبة تتألّف من تسعة من أبرار هذه الأمة، كانوا قد التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام فى مكّة المكرّمة، وهم:

: الحجّاج بن بدر التميمى السعدى (رض): ..... ص : ۳۸۹

وهو من أهل البصرة، من بنى سعد بن تميم، وكان قد حمل رسالة جوابية من يزيد بن مسعود النهشلى (ره) «۳» إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، فلمّا وصل إلى الإمام عليه السلام بقى معه حتّى قُتل بين يديه فى كربلاء. «۴»

قال صاحب الحدائق: «۵» قُتل مبارزة بعد الظهر، وقال غيره: قتل فى الحملة الأولى قبل الظهر. «۶»

: قعنب بن عمر النمرى (رض): ..... ص : ۳۸۹

«كان قعنب رجلًا بصرياً، من الشيعة الذين بالبصرة، جاء مع الحجّاج السعدى إلى الحسين عليه السلام، وانضمّ إليه، وقاتل فى الطف

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۹۰

بين يديه حتّى قُتل. ذكره صاحب الحدائق. «۱» وله فى القائميات ذكر وسلام «۲».». «۳»

: يزيد بن ثبيط العبدى وإبناه عبدالله وعبيدالله (رض): ..... ص : ۳۹۰

كان يزيد من الشيعة، ومن أصحاب أبى الأسْود الدؤلى، وكان شريفاً فى قومه، وكان ممّن حضر المؤتمر السرّى الشيعى فى بيت المرأة المؤمنة مارية بنت منقذ العبدية، التى كانت دارها مألفاً ومنتدى للشيعة فى البصرة يتحدّثون فيه ويتداولون أخبار حركة الأحداث آنذاك، وقد كان ابن زياد قد بلغه عزم الإمام الحسين عليه السلام على التوجّه الى العراق، ومكاتبة أهل الكوفة له، فأمر عمّاله أن يضعوا المراصد ويأخذوا الطريق.

وقد عزم يزيد بن ثبيط (رض) على الخروج الى الإمام عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه.

وقال: أيّكم يخرج معى متقدّماً؟

فانتدب له إثنان هما: عبداللّه، وعبيد اللّه.

فقال لأصحابه فى بيت مارية: إنى قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فمن يخرج معى؟

فقالوا له: إنّا نخاف أصحاب ابن زياد!

مع‌الركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۹۱

فقال: إنى واللّه أن لو قد استوت أخفافها بالجُدد «۱» لهان علىَّ طلب من طلبنى.

ثمّ خرج وإبناه، وصحبه عامر ومولاه، وسيف بن مالك، والأدهم بن أميّة، وقوى فى الطريق حتى انتهى الى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكّة، فاستراح فى رحله، ثم خرج الى الإمام الحسين عليه السلام الى منزله.

وبلغ الإمام عليه السلام مجيئه، فجعل يطلبه حتى جاء إلى رحله، فقيل له: قد خرج إلى منزلك. فجلس فى رحله ينتظره!

وأقبل يزيد لمّا لم يجد الإمام الحسين عليه السلام فى منزله، وسمع أنه ذهب إليه راجعاً على أثره، فلمّا رأى الإمام الحسين عليه السلام

فى رحله قال: «قُل بفضل اللّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا»، السلام عليك يا ابن رسول اللّه.

ثمّ سلّم عليه، وجلس إليه وأخبره بالـذى جاء له، فدعا له الإمام الحسين عليه السـلام بخير، ثمّ ضمّ رحله إلى رحله، وما زال معه حتّى قُتل بين يديه فى الطفّ مبارزة، وقُتل إبناه فى الحملة الأولى.

وفى رثائه ورثاء ولديه يقول ولده عامر بن يزيد:

يا فَرْو قومى فاندبى خير البريّة فى القبور

وابكى الشهيد بعبرة من فيض دمعٍ ذى درور

وارثِ الحسين مع التفجّع، والتأوّه، والزفير قتلوا الحرام من الأئمّة فى الحرام من الشهور.

وابكى يزيدَ مُجدَّلًا وابنَيْه فى حرّ الهجير

متزمّلين، دماؤهم تجرى على لُبَب النحورِ

يا لهف نفسى لم تفز معهم بجنّاتٍ وحورِ «۱»

: الأدهم بن أميّة العبدى (رض): ..... ص : ۳۹۱

كان الأدهم من الشـيعة البصريين الذين يجتمعون فى بيت ماريـة بنت منقذ العبدية (ره)، وكان قد عزم على الخروج إلى الإمام الحسين عليه السـلام فى مكّة مع يزيد بن ثبيط (رض)، فصـحبه، وانضمّ إلى الركب الحسـينى فى مكّة، ثمّ استشهد بين يدى الإمام عليه السلام يوم عاشوراء، وقيل: قُتل فى الحملة الأولى مع من قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام. «۲»

وذهب النمازىّ إلى أنّ الأدهم بن أميّة (رض) كان صحابياً. «۳»

: سيف بن مالك العبدى (رض): ..... ص : ۳۹۱

كان سيف من الشيعة البصريين الذين كانوا يجتمعون فى دار ماريـة بنت منقذ العبدية (ره)، فخرج مع يزيد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه الى الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة، وانضمّ إليه وما زال معه حتى قُتل بين يديه فى كربلاء مبارزة بعد صلاة الظهر. «۴»

: عامر بن مسلم العبدىّ ومولاه سالم (رض): ..... ص : ۳۹۱

كان عامر من الشـيعة فى البصـرة، فخرج هو ومولاه سالم مع يزيـد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه إلى الإمام الحسـين عليه السـلام فى مكّة المكرّمة، وانضـمّا إلى الركب الحسـينى فى جملة كوكبة الأبرار الذين أتوا مع يزيد بن ثبيط (رض)، ولم يفارقا الإمام عليه السلام حتى استشهدا

معالركب الحسينى (ج۲)، ص: ۳۹۳

بين يديه فى كربلاء يوم عاشوراء، وقيل: قُتلا فى الحملة الأولى. «۱»

رضى الله عنه رضى الله عنه

هـذا والحمـدلله على توفيقه لانجاز هـذه السـطور المتواضـعة من كتاب (الأيام المكيـة من عُمر النهضة الحسـينيّة)، وأنا العبد الخاطىء، الراجى ربه، نجم الدين بن العلامة الفقيه الشيخ محمد رضا الطبسى النجفى، عفى الله عنه وعن والديه بحرمة السادة أصحاب الكساء.

الحمد لله

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹